الإيضاح

في علوم البلاغة

للخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩ هـ

شرح وتعليق وتنقيح

د. محمد عبد المنعم خفاجي

الأستاذ والعميد بجامعة الأزهر

الجزء الرابع

دار الجيل

بيروت

جميع الحقوق محفوظة لدار الجيل

الطبعة الثالثة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

صدرت الأجزاء الثلاثة من شرحى على كتاب الايضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى (٦٦٦ — ٧٣٩) بحمد الله وتوفيقه وفضله.

وهذا هو الجزء الرابع من هذا الشرح الجديد .

وهو كالأجزاء التى سبقته فى الشرح والتحليل والتفصيل والدقة وتنظيم البحوث والموضوعات .

ولا أجد ما أقوله الا أن أقدمه لجمهور العلماء ورجال اللغة والأدب والنقد وطلاب البحث والمعرفة والثقافة معتمدا بعد فضل الله على حسن تقديرهم وكريم ثقتهم .

وما توفيقى الا بالله .

محمد عبد المنعم خفاجى

الفن الثـــانى

علم البيـــان (١)

هـــو علم يعرف به ايـــــراد المعنى الواحـــــد (٢) بطريقـــــة

---

(١) انمن عبارة عن الالفاظ فان جعل علم البيان عبارة عن المسائل احتيج لتقدير مضاف اى مدلول الفن الثانى علم البيان او الفن الثانى دال علم البيان . وان جعل علم البيان عبارة عن الملكة او الادراك احتيج لتقدير مضاف آخر وهو « متعلق » .

وقدم علم المعانى على علم البيان لمـــا سبق فى علم المعانى وهو ان مفاد علم المعـــانى من مفاد علم البيان بمنزلة المفرد من المركب لان رعاية المطابقة لمقتضى الحال التى هى مرجع علم المعانى معتبرة فى علم البيـــان مع زيادة شىء آخر هو ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة . قال ابن يعقوب: وفيه نظر لان ايراد المعنى الواحد بطريق من الطرق التى يقبلها لا يستلزم المطابقة لذاته ، فلا توقف ، بل المتبادر ان مفاد البيان هو الذى يتنزل من مفاد المعانى منزلة الجزء من الكل لانه للاحتراز عن التعقيد المعنوى الذى تتحقق به الفصاحة التى هى جزء من البلاغة .

وقدم علم البيان على البديع للاحتياج اليه فى نفس البلاغة لانه يحترز به عن التعقيد المعنوى وهو شرط فى الفصاحة التى هى شرط فى البلاغة وشرط الشرط شرط ، والاحتراز المذكور لا يتيسر لغير العرب العرباء الا بهذا العلم ، والبديع لا تعلق له بالبلاغة انما يفيد حسنا عرضيا للكلام البليغ فهو من توابع البلاغة ، وقال بعضهم هو من تتمة المعانى ، وقيل من تتمة البيان .

هذا وراجع تعريف علم البيان فى المفتاح ص ٧٠ و ١٤٠ .

(٢) قوله « علم » اى ملكة يقتدر بها على ادراكات جزئية ، او اصول وقواعد معلومة ، والسعد سوى هنا بين معنيى العلم وفى « الفن الاول » رجح المعنى الاول ، ويرجح الدسوقى المعنى الثانى.

وقوله « يعرف به » اى برعايته .

وقوله « ايراد المعنى الواحد ، اى المدلول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال ، فاعتبار علم البيان انما هو بعد اعتبار علم المعانى لان علم المعانى يعرف به ايراد المعنى بكلام مطابق لمقتضى الحال وعلم البيان هو علم يعرف =

مختلفة (٣) فى وضوح الدلالة عليه (٤) .

= به ايراد المعنى بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة ، مثلا اذا كان المخاطب منكرا كون زيد مضيافا فالذى يقتضيه الحال بحسب المقام جملة مفيدة لرد الانكار سواء كان افادتها اياه بدلالة واضحة او اوضح او اخفى نحو ان زيدا لمضياف او لكثير الرماد فافادتها لذلك المعنى بدلالة المطابقة كالمثال الاول من وظيفة علم المعانى وافادتها له بغيرها من وظيفة علم البيان .

(٣) اى بتراكيب مختلفة .

ملاحظة :

فائدة علم البيان فهم ما فى الكلام العربى من المجاز والكناية والتشبيه للوقوف على أسرار بلاغته وللقدرة على الاتيان بما يشبهها فى الاسلوب .

او نقول ان فائدته هى الاحتراز عن التعقيد المعنوى بشتى صوره .

(٤) اى عمل ذلك المعنى سواء كانت تلك الطرق من قبيل التشبيه او المجاز او الكناية ، بان يكون بعض الطرق واضح الدلالة وبعضها أوضح ، وانواضح خفى بالنسبة الى الأوضح ، فلا حاجة الى تقدير كلمة « وخفائها » بعد ذلك كما فعل الخلخالى الذى قدر كلمة الخفاء .

وتقييد الاختلاف بالوضوح لبخرج معرفة ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة فى اللفظ والعبارة ، اى ليخرجها عن كونها جزءا من يسمى علم البيان والا فالمعرفة بالنسبة لمعنى واحد لا يصدق عليها الحد استقلالا لأن المراد بالمعنى جميع المعانى الداخلة . ثم اختلاف الطرق فى الوضوح كما يكون باعتبار قرب المعنى المجازى وبعده من المعنى الحقيقى يكون بوضوح القرينة المنصوبة وخفائها .

واللام فى المعنى الواحد للاستغراق العرفى اى كل معنى يدخل تحت قصد المتكلم وارادته فلو عرف احد ايراد معنى قولنا « زيد جواد » بطرق مختلفة لم يكن بمجرد ذلك عالما بالبيان .

ثم الغرض من معرفة هذا الايراد ان يحترز المتكلم عن الخطأ فى تادية الكلام بحيث لا يورد من الكلام ما يدل على مقصوده دلالة خفية عند اقتضاء المقام دلالة واضحة او واضحة عند اقتضائه دلالة خفية او اوضح عند اقتضائه دلالة متوسطة فى الوضوح والخفاء او عند اقتضاء المقام دلالة أوضح او اخفى .

ثم لما لم تكن كل دلالة قابلة للوضوح والخفاء بل منها ما لا يكون الا واضحا كالوضعية ومنها ما يقبل الوضوح والخفاء كالعقلية اراد ان يشير الى تقسيم الدلالة وتعيين ما هو المقصود منها فقال « ودلالة اللفظ الخ » .

ودلالة (٥) اللفظ اما على ما وضع له (٦) أو على غيره •

والثانى (٧) اما داخل فى الأول ، دخول السقف فى مفهوم البيت ، والحيوان فى مفهوم الانسان ، أو خارج عنه خروج الحائط عن مفهوم السقف ، أو الضاحك عن مفهوم الانسان •

وتسمى الأولى (٨) دلالة وضعية (٩) وكل واحدة من الأخيرتين(١٠) دلالة عقلية (١١) •

---

(٥) الدلالة هى كون الشىء بحيث يلزم من العلم به العلم بشىء آخر والاول الدال والثانى المدلول •

والدال ان كان لفظا فالدلالة لفظية والا فغير لفظية كدلالة الخطوط والعقود والاشارات والعلامات المنصوبة •

ثم الدلالة اللفظية اما وضعية بأن يكون للوضع مدخل فيها بأن يكون سببا تاما فيها كما فى المطابقة او جزء سبب كما فى التضمنية والالتزامية ، واما غير وضعية كالدلالة اللفظية العقلية او اللفظة الطبيعية والأولى (الوضعية) هى المقصودة بالنظر ههنا من حيث تقسيمها الى تضمنية والتزامية ومطابقية وهذا لا ينافى ان المقصود بالذات فى هذا الفن هو الدلالة العقلية لا الوضعية لأن ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة لا يتأتى بالوضعية فالمراد بالدلالة السابقة فى التعريف الدلالة العقلية •

(٦) الدلالة الوضعية هى كون اللفظ بحيث يفهم منه المعنى المطابقى او التضمنى او الالتزامى عند اطلاق اللفظ عن القرائن •

هذا وراجع بحث الدلالة فى المفتاح ص ١٤٠ و ١٤١ •

(٧) وهو دلالة اللفظ على غير ما وضع له •

(٨) وهى دلالة اللفظ على تمام ما وضع له •

(٩) لأن الواضع انما وضع اللفظ لتمام المعنى لا لجزئه ولا للازمه •

(١٠) أى الدلالة على الجزء والخارج •

(١١) لتوقف كل منهما على أمر عقلى زائد على الوضع • لأن دلالة اللفظ على كل من الجزء والخارج انما هى من جهة حكم العقل لا من جهة الوضع وحده للجزء أو اللازم فلا ينافى انه من جهة العقل والوضع معا وانما اقتصر على العقل فى بيان التسمية لانه سبب قريب للوضع بخلاف الوضع فانه سبب بعيد ، فالعقل يحكم بأن حصول الكل فى الذهن او الخارج ... وهو المعنى المطابقى — او الملزوم يستلزم حصول الجزء واللازم •

وتختص الأولى بدلالة المطابقة (١٢) ، والثـــانية بالتضمن (١٣) ، والثالثة بدلالة الالتزام (١٤) .

= والمنطقيون يسمون الثلاثة دلالة وضعية باعتبار أن للوضع مدخلا فيها ويخصون العقلية سواء كانت لفظية او لا بما يقابل الوضعية والطبيعية كدلالة الدخان على النار والأحدى بجعل التضمنية وضعية كالمطابقية ويجعل الالتزامية عقلية قال بعض البلاغيين : والظاهر ان كلا من الدلالتين الأخيرتين لا يصدق عليها انها مجاز اذ ليس اللفظ مستعملا فى غير ما وضع له لعلاقة مع قرينـــة .

(١٢) لمطابق وتوافق اللفظ والمعنى .

(١٣) لكون الجزء المفهوم من اللفظ فى ضمن المعنى الموضوع له ؛ فهو بالقياس الى جزئه تضمن واما اذا استعمل اللفظ فى الجزء مجازا كان غيره منه .مطابقة لأنه تمام ما وضع له بالوضع الثانوى المجازى ؛ وقال بعضهم ان التضمن فهم الجزء من اللفظ مطلقا سواء استعمل اللفظ فيـــه أو فى الكل واختاره السيد ضرورة انك اذا استعملته فى الجـــزء فلعلاقة الجزئية فما زالت الجزئية ملاحظة . وهذا الخلاف جار فى دلالة الالتزام ايضا فقيل انها فهم اللازم فى ضمن الملزوم وقيل فهم اللازم مطلقا .

(١٤) لكون الخارج لازما للموضوع له .

ملاحظة :

التضمنية دلالة اللفظ على جزء ما وضع له .

والالتزام دلالة اللفظ على لازم مسماه .

فان قيل اذا فرضنا لفظا مشتركا اشتراكا لفظيا بين الكل وجزئه وبين الملزوم واللازم كلفظ الشمس المشترك مثلا بين الجرم والشعاع ومجموعهما اى وضع للمجموع بوضـــع وللجزء بوضع وللازم بوضع ؛ فاذا اطلق لفظ شمس على المجموع مطابقة واعتبر دلالته على الجرم تضـــمنا — باعتبار الوضع للمجموع — وعلى الشـــعاع التزاما لا باعتبار الوضع للمجموع بل باعتبار وضع آخر وهو وضع الشمس للجرم فقط ؛ فقد صدق على هذا التضمن والالتزام انها دلالة اللفظ على تمام الموضـــوع له وان كان ذلك الصدق بالنظر لوضع آخر وهو الوضـــع لكل واحد منهما على حدته . واذا اطلق على الجرم او الشعاع مطابقة صدق عليها انها دلالة اللفظ على جزء الموضوع له — نظرا لوضع الشمس للمجموع — او على لازمه بالنظر لوضـــعها للجرم وحده — وحينئذ ينتقض تعريف كل من الدلالات الثلاث بالدلالتين الأخريين فيكون التعريف غير مانع .

فالصور المذكورة اربع : وهى انتقاض المطابقة بكل من التضمن =

وشرط الثالثة (١٥) اللزوم الذهنى (١٦) ، أعنى أن يكون حصول

= والالتزام وانتقاض كل من التضمن والالتزام بالمطابقة . وبقى صورتان: انتقاض التضمن بالالتزام وعكسه ، كان اطلق الشمس على الشعاع التزاما بالنظر لوضعه للجرم وحده فقد صدق عليه انه دلالة اللفظ على جزء معناه بالنظر لوضع الشمس للمجموع فيكون الالتزام داخلا فى تعريف التضمن . واذا اطلق الشمس على الشعاع تضمنا بالنظر لوضع الشمس للمجموع فقد صدق عليها انها دلالة اللفظ على لازم معناه بالنظر لوضع الشمس للجرم وحده فيكون التضامن داخل فى تعريف الالتزام وبهذا تمت الصور الست .

والجواب ان قيد الحيثية مأخوذ فى تعريف الأمور التى تختلف باعتبار النسب ، فالمطابقة هى الدلالة على تمام ما وضع له من حيث انه تمام الموضوع له . والتضمن هى الدلالة على جزء ما وضع له من حيث انه جزء ما وضع له . والالتزام هى الدلالة على لازمه من حيث انه لازم ما وضع له. وكثيرا ما يتركون هذا القيد اعتمادا على شهرة ذلك وانسياق الذهن اليه .

(١٥) اى الدلالة الالتزامية .

(١٦) اى كون المعنى الخارجى بحيث يلزم من حصول المعنى الموضوع له فى الذهن حصوله فيه : اما على الفور — وذلك فى اللزوم البين — او بعد التامل فى القرائن وذلك فى اللزوم الغير البين .

وليس المراد باللزوم هنا عدم انفكاك تعقل المدلول الالتزامى عن تعقل المسمى فى الذهن اصلا ، اعنى اللزوم البين المعتبر عند المنطقيين ، بل المراد اعم من ذلك والا لخرج كثير من معانى المجازات والكنايات عن أن تكون مدلولات التزامية ، والمراد بذلك الكثير من معانى المجاز ما عدا الجزء واللازم البين بالمعنى الأخص والمراد بالكثير من معانى الكناية ما كان مفتقرا الى مطلق التامل فى القرائن .

ثم كلام السعد يفهم ان دلالة المجاز على معناه بالالتزام ولكن قيل انها بالمطابقة وان المراد بالوضع فى تعريف الدلالات اعم من الشخصى والنوعى حتى يدخل المجاز والمركبات .

فشرط الالتزام اللزوم الذهنى صاحبه لزوم خارجى اولا ، فاللزوم الخارجى ليس بشرط ، والمراد باللزوم الذهنى ما يشمل اللزوم الغير البين وهو ما لا يكفى فى جزم العقل به تصور اللازم والملزوم بل يحتاج ويتوقف على وسائط كلزوم كثرة الرماد للكرم ، وما يشمل اللزوم البين بالمعنى الأخص وهو ما يكفى فى جزم العقل به تصور الملزوم والبين بالمعنى الأعم وهو =

ما وضع اللفظ له فى الذهن ملزوما لحصول الخارج فيـــه ، لئلا يلزم ترجيح أحد المتساويين على الآخر لكون نسبة (ذلك) الخارج اليـــه حينئذ كنسبة سائر المعانى الخارجية (١٧) .

ولا يشترط فى هذا اللزوم أن يكون مما يثبته العقل ، بل يكفى أن يكون مما يثبتـــه اعتقاد المخاطب اما لعرف (١٨) أو لغيره لامكان الانتقال حينئذ من المفهوم الأصلى الى الخارجى .

وقد وقع فى كلام بعض العلماء (١٩) ما يشعر بالخلاف فى اشتراط اللزوم الذهنى (٢٠) فى دلالة الالتزام ، وهو بديع جدا ، وان صح فلعل السبب فيه توهم ان المراد باللزوم الذهنى اللزوم العقلى ، لامكان الفهم بدون اللزوم الذهنى بهذا المعنى حينئذ كما سبق .

ما يجزم العقل به عند تصور اللازم والملزوم اما عند المناطق فالمراد باللزوم الذهنى هنا اللزوم البين بالمعنى الاخص وقيل المراد البين مطلقا (بالمعنى الاخص أو الأعم) .

(١٧) فتقييد اللزوم بالذهنى اشـــارة الى انه لا يشـــترط اللزوم الخارجى — لا استقلالا ولا منضما للذهنى — كالعمى فانه يدل على البصر التزاما لانه عدم البصر عما من شأنه ان يكون بصيرا مع التناق بينهما فى الخارج . وابن الحاجب ينازع فى اشتراط اللزوم الذهنى فكأنه اراد باللزوم الذهنى المنفى اشتراطه فى دلالة الالتزام اللزوم البين بالمعنى الأخص بمعنى عدم انفكاك تعقله عن تعقل المسمى فاتى المصنف بما يدل على انه ليس المراد باللزوم الذهنى اللزوم البين فقط بل المراد ما يشمل البين وغير البين وذلك بقوله « ولا يشترط الخ » .

(١٨) اى بأن يكون ذلك اللزوم مما يثبته اعتقاد المخاطب وذهنـــه بسبب عرف عام — اذ هو المفهوم من اطلاق العرف ، والعرف العام هـــو ما لم يتعين واضعه — أو غير العرف العام يعنى العرف الخاص كالشرع واصطلاح ارباب الصناعات وغير ذلك كقرائن الاحوال وكالتعريض .

(١٩) وهو ابن الحاجب .

(٢٠) فيمنع اشتراط اللزوم الذهنى ويعتبر اللزوم مطلقا .

ثم ايراد المعنى الواحد على الوجه المذكور (٢١) لا يتأتى بالدلالة الوضعية (٢٢) لأن السامع ان كان عالمـا بوضع الألفاظ (٢٣) لم يكن بعضها أوضح دلالة من بعض ، والا (٢٤) لم يكن كل واحد منها دالا

وانما يتأتى بالدلالات العقلية (٢٥) لجواز أن يكون للشيء لوازم بعضها أوضح لزوما (٢٦) من بعض .

---

(٢١) اى بطرق مختلفة فى الوضوح .

(٢٢) اى بالدلالات المطابقية .

(٢٣) اى بوضع كل واحد منها لذلك المعنى .

(٢٤) اى وان لم يكن عالمـا بوضع جميع الالفاظ لم يكن كل واحد من الالفاظ دالا عليه لتوقف الفهم على العلم بالوضع ، فلا يوصف اذا بوضوح الدلالة ولا بخفائها . مثلا اذا قلنـا « خده يشبه الورد » فالسامع ان كان عالمـا بوضع المفردات والهيئة التركيبية — اى بمدلول اسناد « يشبه » الى « الخد » ، بنـاء على موضوعه — امتنع ان يكون لكلام آخر يؤدى هذا المعنى بطريق المطابقة دلالة أوضح او اخفى لانه اذا اقيم مقام كل لفظ ما يرادفه مثل « وجنته تماثل الورد » فالسامع ان علم وضع هذه المفردات فلا تفاوت فى الفهم والا لم يتحقق الفهم ، وعلى كلا التقديرين لم يكن تفاوت فى الدلالة وضوحا وخفاء .

ملاحظة :

الدلالة المطابقية يندرج فيها دلالة سائر المجازات مرسلة كانت او لا ، لانها دلالة اللفظ على تمام الموضوع له بالوضع النوعى بناء على ان المراد بالوضع فى تعريف المطابقة اعم من الشخصى والنوعى فليست دلالة المجاز على معناه تضمن او التزام بل مطابقة اذ المراد بالوضع فى الدلالات الثلاث اعم من الجزئى الشخصى كما فى المفردات والكلى النوعى كما فى المركبات والا لبقيت دلالة المركبات خارجة عن الاقسام ، والمجاز موضوع بازاء معناه بالنوع .

وقيل ان دلالة المجاز ليست وضعية اى مطابقية لان الوضع المعتبر شخصيا او نوعيا تعيين اللفظ نفسه بازاء المعنى بلا واسطة قرينة لا تعيينه مطلقا بازائه فانتفى الوضع مطلقا فى المجاز فدلالته تضمنية او التزامية نظرا الى تحقق الفهم ضمنا فتكون عقلية كدلالات المركبات على موضوعها .

(٢٥) وهى التضمن والالتزام .

(٢٦) المراد باللزوم ما يشـمل لزوم الجزء للكل فى التضمن ولزوم اللازم للملزوم فى الالتزام . =

. . . . . .

= فيجوز أن تختلف مراتب لزوم الأجزاء للكل فى التضمن كالحيوان والجسم النامى والجسم المطلق والجوهر التى هى أجزاء للانسان ، وأن تختلف مراتب لزوم اللوازم — التى هى المدلول الالتزامى — للملزوم فى دلالة الالتزام .

واختلاف مراتب اللزوم فى الوضوح فى دلالة الالتزام ظاهر فانه يجوز أن يكون للملزوم لوازم متعددة بعضها اقرب اليه من بعض وأسرع انتقالا من ذلك الشىء اليه ، اى الى ذلك البعض ، لقلة الوسائط فيمكن تادية الملزوم كالكرم مثلا بالالفاظ الموضوعة لهذه اللوازم المختلفة الدلالة عليه وضوحا وخفاء . وكذا يجوز أن يكون للازم ملزومات — هذا اذا استعمل لفظ الملزوم لينتقل منه الى اللازم كما فى المجاز وكما فى الكناية على مذهب المصنف — لزومه لبعضها أوضح من اللزوم للبعض الآخر فيمكن تادية اللازم بالالفاظ الموضوعة للملزومات المختلفة وضوحا وخفاء .

واما اختلاف مراتب اللزوم وضوحا فى التضمن فلانه يجوز أن يكون المعنى جزءا من شىء وجزء الجزء من شىء آخر كالجسم فهو جزء من الحيوان وجزء الجزء من الانسان فدلالة الشىء كحيوان الذى ذلك المعنى جزء منه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشىء كالانسان الذى ذلك المعنى وهو الجسم جزء من جزئه ، مثلا دلالة الحيوان على الجسم أوضح من دلالة الانسان عليه ، ودلالة الجدار على التراب اوضح من دلالة البيت عليه .

ويمكن الاعتراض « على ان دلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء منه أوضح من دلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى » بأن يقال : بل الأمر بالعكس فدلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء من جزئه على ذلك المعنى أوضح من دلالة الشىء الذى ذلك المعنى جزء منه عليه فدلالة انسان على الجسم أوضح من دلالة حيوان عليه على عكس ما ذكرتم من ان دلالة حيوان عليه أوضح : لأن فهم الجزء سابق على فهم الكل وماكان أسبق فى الفهم فهو أوضح ، وقولنا « سابق على فهم الكل » اى وحينئذ فيكون فهم جزء الجزء سابقا على فهم الجزء لكونه كلا بالنسبة الى جزء الجزء .

والجواب ان المراد بالتضمن هنا انتقال الذهن الى الجزء — اى المراد من اللفظ على حدة لا فى ضمن الكل — وملاحظته بعد فهم الكل ، وكثيرا ما يفهم الكل من غير التفات الى الجزء كما ذكره ابن سينا فى الشفاء قال : « يجوز أن يخطر الوع — اى كالانسان — بالبال — اى على سبيل

ثم اللفظ المراد به لازم ما وضع له (٣٧) .

الاجمال لا التفصيل — ولا يلتفت الذهن الى الجنس — الذى هو جزء من النوع كالحيوان .

ملاحظـــات :

١ — المراد بالاختلاف فى الوضوح أن يكون ذلك بالنظر لنفس الدلالة ودلالة الالتزام كذلك لانها من حيث انها التزام قد تكون واضـــحة كما فى اللوازم القريبة وقد تكون خفية كما فى اللوازم البعيدة ، بخلاف المطـــابقة فان فهم المعنى المطابقى واجب قطعا عند العلم بالوضع والتفاوت فى سرعة الحضور وبطئه انما هو من جهة سرعة تذكر السامع للوضع وبطئه .

٢ — السبب فى الوضوح فى دلالة الالتزام اما كون اللزوم ذهنيا بينـــا تستوى فيه العقول واما قلة الوســـائط عند ضميمة كثرة الاستعمال ، والسبب فى الخفاء كثرة الوسائط المحوجة لمزيد التأمل لقلة الاستعمال .

٣ — المراد هنا باللازم التابع وبالملزوم المتبوع والا لم يصح كلامه لان دلالة الالتزام مؤدية للازم بلفـــظ الملزوم لا العكس . وقيـــل ان كلامه على مذهب السكاكى فى الكناية بأن الانتقال فيها عنـــده من اللازم للملزوم بعكس المجاز .

٤ — دلالة التضمن والالتزام المرادة هنا فى هذا الفن لابد أن تكون مقصودة مرادة اى قصد من اللفظ نفس الجزء او اللازم واما اذا اتفق ان فهما من الكل او الملزوم فلا يكون ذلك من التضمن والالتزام المراد هنـــا وانما يكون كذلك عند المناطقة فلا يكون من المجاز ولا من الكناية المبنيين على التضمن والالتزام هنا .

٥ — قال السعد بعد انتهاء هذه المقدمة المذكورة قبل بحث التشبيه : « هذا هو اللائق فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى وانت خبير بما فيه من الاضطراب . والأقرب أن يقال علم البيان يبحث فيه عن التشبيه والمجاز والكناية ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات الى الابحاث التى اوردها فى صدر هذا الفن » .

وهو كلام جميـــل :

(٣٧) فى هذا الكلام اشارة الى انه لابد فى المجاز والكناية من قرينة لتعيين المراد غير انها مانعة من ارادة المعنى الموضوع له فى المجـــاز دون الكناية .

وفيه اشارة ايضا الى ان دلالتى الالتزام والتضمن لابد أن تكون كل منهما مقصودة من اللفظ ، ففى المجاز يراد باللفظ الجزء او اللازم فقط بأن =

ان قامت (٢٨) قرينة على عدم ارادة ما وضع له فهو مجاز والا(٢٩) فهو كناية (٣٠) .

ثم المجاز منه الاستعارة وهى ما تبتنى على التشبيه (٣١) فيتعين التعرض له (٣٢) فانحصر المقصود فى : التشبيه (٣٣) ، والمجاز والكناية.

وقدم التشبيه على المجاز لما ذكرناً من ابتناء الاستعارة التى هى مجاز على التشبيه .

=توجد قرينة مانعة من ارادة المعنى المطابقى ، وفى الكناية يراد اللازم أو الجزء لكن مع صحة ارادة المعنى المطابقى لكون القرينة لا تمنع ارادته ، فان اطلق لفظ الكل او الملزوم على كل منهما واتفق ان فهم من الأول جزؤه ومن الثانى لازمه فليس من الكناية ولا من المجاز .

(٢٨) اى دلت .

(٢٩) بان وجدت قرينة دالة على ارادة اللازم الا انها غير مانعة .

(٣٠) فعند المصنف الانتقال فى المجاز والكناية كليهما من الملزوم الى اللازم اذ لادلالة للازم من حيث انه لازم على الملزوم ، الا ان ارادة المعنى الموضوع له بالتبع لا بالذات جائز فى الكناية دون المجاز .

هذا وقد قدم المجاز على الكناية لان معنى المجاز كجزء معنى الكناية لان معنى المجاز هو اللازم فقط ومعنى الكناية يجوز ان يكون هو اللازم والملزوم جميعا وان كان القصد الاصلى منها الى اللازم ، والجزء مقدم على الكل ، فقدم المجاز على الكناية وانما قلنا « كجزء معناها » لظهور أن ليس المجاز جزء معناها حقيقة فان معنى الكناية ليس هو مجموع اللازم والملزوم على الجزم بل هو اللازم مع جواز ارادة الملزوم ، فالملزوم فيها انما هو ارادة اللازم وأما الملزوم فيجوز ان يراد وان لا يراد لا انه يراد قطعا .

(٣١) وهى التصريحية التحقيقية والمكنية على مذهب الجمهور والتخييلية عند السكاكى ففى هذه الأنواع شبهنا ثم بالغنا فى التشبيه وادعينا أن المشبه فرد من افراد المشبه به فاستعرنا له اسمه .

(٣٢) اى للتشبيه .

(٣٣) قدم التشبيه على المجاز لانه لما كان احد اقسام المجاز وهو الاستعارة مبنيا على التشبيه ناسب ذكر التشبيه قبل المجاز مطلقا مبنيا على التشبيه أم لا . =

وقدم المجاز على الكناية لنزول معناه من معناها منزلة الجزء من الكل .

ولما كان فى التشبيه مباحث كثيرة وفوائد جمة لم يجعل مقدمة لبحث الاستعارة بل جعل مقصدا برأسه . وقد يقال ان البيانيين قد تعرضوا للتشبيه لذاته من حيث توقف الاستعارة عليه . وقد يقال انه باب مستقل لذاته لأن الاختلاف فى وضوح الدلالة موجود فيه فهو من الفن قصدا وان توقف عليه بعض ابوابه .

التشـــبيه

القول فى التشـــبيه (١)

التشبيه (٢) للدلالة على مشاركة أمر (٣) لآخر (٤) فى معنى (٥) والمراد بالتشبيه ههنا (٦) ما لم يكن على وجه الاستعارة التحقيقية (٧) ولا الاستعارة بالكناية (٨) ، ولا التجريد (٩) .

---

(١) ملاحظات :

١ — راجع ذكر طرق التشـــبيه على وجْـــه يتبىء او لا يتبىء عن التشبيه فى الشروح (١٧١ و ١٧٢ ج ١) ، وفى « فصل حسن الاستعارة » فى الشروح ايضا) .

٢ — التشبيه الضمنى يسميه العسكرى بالاســـتشهاد والاحتجاج (راجع ٤٠٣ صناعتين) .

٣ — يحقق السبكى ان التشبيه حقيقة ويرد على من يقول انه مجاز (راجع ٢٩٠ ج ٣ السبكى) وراجع حقيقة التشبيه ايضا عند الســـبكى (٣٩٤ ج ٣ السبكى) .

(٢) اى مطلق التشبيه وهو التشبيه اللغوى اعم من ان يكون على وجه الاستعارة بالفعل او بالصلوحية مثل زيد كالأسد او غير ذلك كالتشبيه المضمر كما فى بعض صور التجريد ، يعنى ان معنى التشبيه فى اللغة هو الدلالة الخ .

(٣) وهو المشبه .

(٤) وهو المشبه به .

(٥) اى فى وصف وهو الشبه الجامع بين الطرفين المشترك بينهما . وهذا شامل لمثل « قاتل زيد عمرا » و « جاءنى زيد وعمرو » مما هو تشبيه لغوى فكان الواجب ان يزيد « بالكاف ونحوها لفظا او تقديرا » لاخراج مثل هذا .

(٦) اى المصطلح عليه فى علم البيان .

(٧) مثل رايت اسدا يحارب الأعداء .

(٨) وهى التشبيه المضمر فى النفس المدلول عليه بلفظ يدل عليـــه عند المصنف، او لفظ المشبه المستعمل فى المشبه به ادعاء عند الســـكاكى او لفظ المشبه به المطوى المرموز اليه بذكر لازمه عند الجمهور مثل انشبته المنية اظفارها .

(٩) التجريد قسمان : ١ — ان ينتزع الشىء شىء آخر مساو له فى =

فدخل فيه مايسمى (١٠) ، تشبيها بلا خلاف وهو ماذكرت فيه أداة التشبيه ، كقولنا زيد كالاسد ، أو كالاسد بحذف زيد لقيام قرينة ، وما يسمى تشبيها على المختار كما سيأتى ، وهو ما حذفت فيه أداة التشبيه وكان اسم المشبه به خبرا للمشبه أو فى حكم (١١) الخبر ، كقولنا زيد أسد ، وكقوله تعالى صم بكم عمى ، أى هم (١٢) ، ونحوه

= صفاته للمبالغة فى ذلك الشىء حتى صار بحيث ينتزع منه شىء آخر مساو له فى صفاته مثل لهم فيها دار الخلد وهذا ليس فيه مشاركة امر لآخر حتى يحتاج الى اخراجه .=

٢ — ان ينتزع المشبه به من المشبه للمبالغة فى التشبيه حتى صار المشبه بحيث يكون اصلا ينتزع منه المشبه به مثل لقيت بزيد اسدا وهذا هو المحترز عنه واخراج التجريد المذكور بناء على انه لا يسمى تشبيها اصطلاحا وقيل انه تشبيه حقيقة فلا يحتاج لاخراجه وهو راى السكاكى .

فهذه الثلاثة (الاستعارة التحقيقية والمكنية والتجريد) لا يسمى شىء منها تشبيها اصطلاحيا بل هى تشبيه لغوى .

أما الاستعارة التخيلية كاثبات الاظفار للمنية فى المثال المذكور فليست فيها مشاركة امر لآخر فى معنى على راى المصنف والجمور فهى عندهم حقيقة وليس لفظ الاظفار مجازا اصلا اذ المراد بالاظفار ههنا معناها الحقيقى والتجوز فى اثباتها للمشبه فالتخييلية عنده مجاز عقلى ولذا لم يخرجها وأما عند السكاكى فالتجوز فى نفس الاظفار فهى داخلة فى الجنس .

فالتشبيه الاصطلاحى هو الدلالة على مشاركة امر لامر فى معنى= هووجه الشبه ولابد ان يكون له زيادة اختصاص بهما وقصد اشتراكهما فيه — بأداة لا على وجه الاستعارة التحقيقية والاستعارة بالكناية والتجريد .

(١٠) أى فى التشبيه الاصطلاحى .

(١١) أى من حيث افادة الاتحاد وتناسى التشبيه كما فى الحال والصفة والمضاف والمفعول الثانى فى باب علمت وكونه مبينا له .

(١٢) فالمحققون على ان مثل ذلك تشبيه بليغ لا استعارة لان الاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له — وهو المشبه كالرجل الشجاع فى رايت اسدا ، وعلى المستعار له انما هو فى التصريحية لا المكنية — ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه — المشبه به المستعار منه — والمنقول اليه لولا دلالة الحال — وهى القرينة الحالية — او نحوى الكلام وهى القرينة المقالية . وقولنا « لولا دلالة الحال او =

قول من يخاطب الحجاج (١٣) .

أســـد على ، وفى الحروف نعامة فتخاء ، تنفر من صفير الصافر

وكقولنا رأيت زيدا بحرا .

= الفحوى راجع للأول اعنى ارادة المنقول عنه فهو شرط فيه لان القرينـــة حالية او مقالية مانعة من ارادة المنقول عنه اعنى المعنى ، الحقيقى وبلاحظ انه عند عدم القرينة يحمل على المعنى الحقيقى (المنقول عنه) لأنه لايراد به المنقول اليه الا بواسطة القرينة . وقيل عند عدمها يجوز حمل اللفظ على المعنى الحقيقى والمجازى . وممن حمل هذا على التشبيه الســـكاكى (١٥١ مفتاح) وعبد القاهر (٢٧٧ — ٢٨٨ اسرار البلاغة) .

هذا وقد ادعى بعضهم ان مثل زيد اسد » استعارة بناء على ان حمل الاسد على زيد لا يصح الا بادخاله فى جنس الاسد المعلوم كما فى الاستعارة وعلى هذا فلا يدخل فى تعريف التشبيه ، وجوز السعد ان يكون من باب الاستعارة ولكن ادعى ان المشبه ليس زيدا بل كليه وهو الرجل الشجاع .

(١٣) هو عمران بن حطان من شعراء الخوارج . فتخاء من فتخ كفرح : استرخت مفاصله ولانت فهو افتح وهى فتخاء .

ملاحظات :

١ — التشبيه ليس يكذب — راجع رد عمران بن حطان على امراته فى ذلك فى ٨٨ ج ٢ كامل المبرد .

٢ — صور التشبيه كثيرة :

منها مثل : زيد كالبحر بالاداة .

ومثل : زيد بحر بحذف الاداة وجعل المشبه به خبرا عن المشبه

ومثل بدت قمرا بحذفها وجعل المشبه به حالا من المشبه

ومثل : فلان رجل بحر بحذفها وجعل المشبه به صـــفة للمشبه .

ومثل : وهى تمر مر السحاب بحذفها وجعل المشبه به مصدرا مبينا لنوع المشبه .

ومثل : ذهب الاصيل باضافة المشبه به الى المشبه .

ومثل : الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر « بتبيين المشبه به بالمشبه » .

٣ — التشبيه عند المبرد اربعة اضرب : =

واذا قد عرفت معنى التشبيه فى الاصطلاح فاعلم (١٤) أنه مما اتفق العقلاء على شرف قدره وفخامة أمره فى فن البلاغة وان تعقيب المعانى به لا سيما قسم التمثيل منه يضاعف قواها فى تحريك النفوس الى المقصود بها مدحا كانت أوذما أو افتخارا أو غير ذلك (١٥) وان أردت تحقيق هذا فانظر الى قول البحترى :

كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب (١٦)

دان على أيدى العفاة ، وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب

أو قول ابن لنكك (١٧) .

اذا أخو الحسن أضحى فعله سمجا رأيت صورته من أقبح الصور

= تشبيه مفرط متجاوز كقولهم للسخى هو كالبحر وللشجاع هو كالاسد وتشبيه مصيب كقول النابغة :

فبت كانى ساورتنى ضئيلة من الرقش فى انيابها السم ناقع

وتشبيه مقارب :

وتشبيه يحتاج الى تفسير كقوله :

بل لو رانى اخت جيراننا اذ انا فى الدار كانى حمار

(٨٧ — ٨٩ ج ٢ الكامل للمبرد) .

(١٤) راجع ص ٩٢ اسرار البلاغة .

(١٥) راجع ٩٣ — ٩٦ من الاسرار .

(١٦) راجع البيتين فى الاسرار ٩٨ و ١١٢ و ٢٧٢ ، وفى الوساطة ٢٠٤ و ٢٠٥ .

العفاة جمع عاف وهو طالب الفضل أو الرزق . الند : المثل والنظير . السارين : السائرون ليلا . جد قريب : بالغى الغاية فى القرب .

السمج : القبيح :

(١٧) تجده فى الاسرار ١٠٠

ملاحظات :

١ — يتجلى التمثيل فى مظهرين :

اولهما : ان يجىء فى اعقاب المعانى متاثرا لها لايضاحها وتمكينها فى النفوس وتقريرها فى الاذهان كقول الله عز وجل : =

وهبه كالشمس فى حسن ألم ترنا نفر منها اذا مالت الى الضرر

= « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا » بعد ان ذكر الله عز وجل امر التوحيد منوها به داعيا اليه ناعيا على المشركين سفههم واشراكهم موضحا للدليل النير والبرهان المبين ، وكقول الشاعر :

دان على ايدى العفاء وشاسع عن كل ند فى الندى وضريب
كالبدر أفرط فى العلو وضوؤه للعصبة السارين جد قريب

او قول المتنبى :

يهز الجيش حولك جانبيه كما نفضت جناحيها العقاب

ثانيهما : أن ترتدى المعانى ثوبه ابتداء ، فتمثل فى صورة من التمثيل رائعة وتجلى فى معرض من الجمال الادبى الساحر .

وهذا بالنسبة للاول قليل نادر وهو مع قلته كثير فى كتاب الله الحكيم وسنة رسوله الكريم وكلام البلغاء المعجز ، ومنه قول امرىء القيس :

وليل كموج البحر ارخى سدوله على بانواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه واردف اعجازا ونآء بكلكل
ألا ايها الليل الطويل الا انجلى بصبح وما الاصباح منك بامثل

٢ — يقع التمثيل فى جميع اغراض الكلام من مدح وهجاء ، ووصف ورثاء وحجاج واعتذار ، ونسيب وافتخار ، وعظة وشكوى وهو فى كل ذلك ، وسواء وقع فى اعقاب المعانى او ظهر المعنى فى صورته ابتداء يكسو الكلام بهاء ويكسبه رواء ، يرفع من أمره ، ويضاعف من سحره ، ويدعو الى الاعجاب به والتأثر منه ، ويستثير عواطف السامع ، ومشاعر القارىء ويبعث شغف الأريب ، وكلف الأديب وبالتمثيل يشرف المعنى وينبل ، ويفخم المقصود ويكمل ، فيأخذ الكلام الحسن من اطرافه ، ويأتى الجمال من ابوابه ، والبلاغة من نواحيها ، والاجلالة من مناحيها .

فترى التمثيل فى المدح ابلغ فى رفعة الممدوح ، واظهر لشانه ، وابلك للبه واهز لعطفه ، فيفيض بالعطاء ، ويؤوب بخالد الثناء ، ويسير ذكره على مر الأيام وتوالى الاحقاب والاجيال .

وهو فى الهجاء أوجع واشد عابا واحط للشرف وابقى للمثالب .

وفى المناظرة اقهر سلطانا وابهر برهانا واسحر بيانا ، وفى المفاخرة أبين للمآثر واجد للمفاخر وادعى للفوز بقصبات الرهان وخلد الزمان .

وفى الاعتذار اسل للموجدة ، وانفى للوشاية ، وابعث على الصفح الجميل ، وادعى للعفو النبيل . =

أو قول ابن الرومى (١٨) :

بـــذل الوعـــد للاخـــلاء ســـمحا وأبى بعد ذاك بذل العطـــــاء
فغدا كالخـــــلاف يورق للعـــــ ين ويأبى الاثمـــــار كل الاباء

أو قول أبى تمام (١٩) :

واذا أراد اللـــــه نشر فضـــــيلة طويت أتاح لها لســـان حســـود
لولا اشتعال النـــار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العـــود

أو قوله أيضا (٢٠) :

وطول مقام المرء فى الحى مخلق لديبـــاجتيه فاغترب يتجـــدد
فانى رأيت الشمس زيدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد

وقس(٢١) حالك وأنت فى البيت الأول ولم تنته الى الثانى ، على حالك وأنت قد انتهيت اليه ووقفت عليه ، تعلم بعد ما بين حالتيك فى

= وفى الوعد اعدى سبيلا واقوم قيلا وابلغ ارشادا وامكن للفضائل فى النفوس واقتل للرذائل فى القلوب .
وفى جميع فنون الكلام للتمثيل المثل الاعلى فى السحر ، والمنزلة الرفيعة فى التأثير . وهل يرى على قول أبى تمام فى المدح :
واذا اراد اللـــه نشـــر فضـــيلة طويت أتاح لهـــا لسان حســـود
سمة من السحر لولا قوله بعده :
لولا اشـــتعال النـــار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العـــود
(١٨) راجعه فى ٩٩ و ١٢٨ من الاسرار .
الخلاف : سنف من الصفصاف .
(١٩) راجعه فى ص ١٠٠ من الاسرار ، ٢٤٨ ج ١ زهر الآداب .
نشرها : اذاعتها . اتاح لها : هيالها . عرف العود : رائحته .
(٢٠) راجعه فى ١٠٦ من الاسرار ٣٨٢ من الدلائل ، ١٤٢ ج ٢ البيان—
مخلق من اخلق اى ابلى . ديباجتيه : اى صفحتى وجهه . السرمد : الدائم
(٢١) راجع هذا فى الاسرار ص ٩٨ .

تمكن المعنى لديك : وكذا (٢٢) تعهد الفرق بين أن تقول : الدنيا لا تدوم وتسكت ، وان تذكر عقيبه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة » أو تنشد .

قول لبيد :

وما المال والاهلون الا ودائع ولابد يوما أن ترد الودائع (٢٣)

وبين أن تقول : أرى قوما لهم منظر وليس لهم مخبر ، وتقطع الكلام وأن تتبعه نحو قول ابن لنكك (٢٤) :

فى شجر السرو منهم مثل له رواء وماله ثمر

وانظر فى جميع ذلك الى المعنى فى الحالة الثانية كيف يتزايد شرفه عليه فى الحالة الأولى .. ولذلك أسباب (٢٥) : منها ما يحصل للنفس من الانس : باخراجها من خفى الى جلى كالانتقال مما يحصل لها بالفكرة الى ما يعلم بالفطرة ، أو باخراجها مما لم تألفه الى ما ألفته كما قيل .

(نقل فؤادك حيث شئت من الهوى) .
ما الحب الا للحبيب الأول (٢٦)

---

(٢٢) راجع هذا فى الأسرار ص ١٠١ .
(٢٣) ١٠٠ من الأسرار ، وهو من قصيدة للبيد فى الرثاء .
(٢٤) هو ابو الحسن محمد بن لنكك البصرى . والبيت فى الأسرار ص ٩٩ هذا والكلام على هذا البحث فى المطول ص ٣٢١ .
(٢٥) راجع ٢٢٧ من الصناعتين .
(٢٦) البيت لأبى تمام — راجعه فى ١٠٢ من الأسرار ، ١٧٨ ج ٣ من البيان والتبيين .

أو مما تعلمه الى ما هى به أعلم كالانتقال من المعقول الى المحسوس فانك قد تعبر عن المعنى بعبارة تؤديه وتبالغ ، نحو أن تقول وأنت تصف اليوم بالقصر يوم كأقصر ما يتصور ، فلا يجد السامع له من الانس ما يجده لنحو قولهم أيام كأباهيم القطا(٢٧) وقول الشاعر :

ظللنا عند باب أبى نعيم بيوم مثل سالفة الذباب (٢٨)

وكذلك (٢٩) تقول : فلان اذا هم بالشىء لم يزل ذاك عن ذكره وقصر خواطره على امضاء عزمه فيه ولم يشغله عنه شىء ، فلا يصادف السامع له أريحية ، حتى اذا قلت « اذ هم القى بين عينيه عزمه (٣٠) » امتلأت نفسه سرورا وأدركته هزة لا يمكن دفعها عنه . ومن الدليل (٣١)

---

(٢٧) الابهام : الاصبع العظمى جمعه اباهيم ، والبهيم الذى لا يخالط لونه شىء سوى لونه ، قال جرير :

ويوم كابهام القطاة محبب الى صباه غالب لى باطله

(٢٨) البيت فى الأسرار ص ١٠٨ ، والسالفة : ناحية مقدم العنق والمراد انه مثلها فى قصرها ومثله البيت :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

(٢٩) راجع ذلك فى ١٠٨ من الأسرار .

(٣٠) قال سعد بن ناشب وهو شاعر أموى :

اذا هم القى بين عينيه عزمه ونكب عن ذكر العواقب جانبا

(٢٥ ج ١ شرح الحماسة) . وقال :

اذا هم القى بين عينيه عزمه وصمم تصميم السريجى ذى الأثر

(٢٧٧ ج ١ شرح الحماسة للرافعى) .

(٣١) راجع ذلك فى ص ١٠٦ من الأسرار .

ملاحظة :

تكلم عبد القاهر فى الأسرار بتفصيل على اسباب روعة التمثيل وسحره ، ويمكننا أن نوجز بيان ذلك على ضوء كلامه فيما يلى :

يرجع سر سحر التمثيل وقوة تأثيره الى عدة اسباب :

على أن للاحساس من التحريك للنفس وتمكين المعنى ما ليس لغيره أنك اذا كنت أنت وصاحب لك يسعى فى أمر على طرف نهر وأنت

---

١ — فالسبب الاول :

هو أنس النفوس بالتمثيل ، لاخراجه اياها من خفى الى جلى ، ولرده لها من الشىء الذى تعلمه الى ما هى به أعلم ، كان ينقلها من المعقول الى المحسوس ، ومن النظرى الى الضرورى ، ولعود التمثيل بالنفس الى ما تألفه وتطمئن اليه .

ولا ريب أن نقل النفس بالتمثيل من الادراك العقلى ، والعلم النظرى ، الى ادراك الحواس ، وما يعلم على وجه الطبع والضرورة ، لا ريب فى أن فى ذلك ايناسا للنفس ، وطمانينة لها فيستقر المعنى ويثبت ، ويصير الشك يقينا والخبر عيانا .

وفى هذا الانس البلاغى الذى يكسبناه التمثيل نفى للريب ، وزوال للشك ، فى المعانى الغريبة البديعة التى يمكن أن يخالف فيها ، ويدعى امتناعها واستحالة امكانها ووجودها ، فيأتى التمثيل لنفى ذلك الريب ، وازالة هذا الشك كقول المتنبى :

فان تفق الانام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وفى الانس ايضا بيان لحال المشبه او مقدار حاله ، او تقرير ، أو تقريب له أو تشويه لجماله او ابرازه فى صورة مستطرفة بديعة ، او غير ذلك من الاسرار البلاغية التى يأتى لها التمثيل الواقع فى عقب المعانى التى ليست غريبة ولا نادرة وليست محتاجة الى حجة وبرهان ، يثبت به دعوى وجودها وامكانها .

وذلك أن الوصف كما يحتاج الى الحجة على امكانه فهو محتاج الى مابين مقدار حاله او يقرر حاله او يبينها الى غير ذلك ، فاذا جاء التمثيل مصورا ذلك فى صورة رائعة بشاهدة عرفنا منه حقيقة المعنى ، وجوهر المراد ، وكان فى ذلك أنس للنفس ومسرة للفؤاد ، وان لم تصل الى قوة الانس الحاصل بنفى الريب والشك .

ولا شك أن التمثيل بنفى الشك مفيد ، ولا يقل فائدة عنه أن يكون لبيان الحال او تقريره او بيان المقدار الخ ، على انا لو غضضنا النظر عن ذلك كله للرؤية التى يقربها التمثيل — فى احداث الانس ما لها من التأثير والمزية .

٢ — والسبب الثانى من اسباب سحر التمثيل هو جمعه بين المختلفين ، وتأليفه بين المتناقضين حتى ليبرزها فى سلك واحد ، ترى به الشيئين

تريد أن تقرر له أنه لا يحصل من شعيه على طائل ، فأدخلت

= مثلين متباينين ، ومؤتلفين مختلفين ، فترى الصورة الواحدة فى الارض والسماء ، واللفظ والماء ، والخلق والندى ، والرفعة والسنى ، وترى الحياة والموت مجموعين ، والماء والنار مقترنين والحسن والقبح متمازجين ، والسواد والبياض متآلفين .

وذلك أن مبنى التمثيل على جمعه بين المختلفات ، وتأليفه بين المتناقضات .

فان التشبيهات سواء كانت عامية مشتركة أم خاصية مبتدعة ، لا يقع بها اعتداد ، ولا يكون لها جمال فى نفس السامعين ، وهزة لوجداناتهم ، الا اذا كان الشبه مقررا بين شيئين مختلفين فى الجنس .

فتشبيه بلالة الخلق وأريحته ببسمة الورد ونضرته فى قول ابن زيدون :

رعت أخلاقكم فابتسمت كابتسام الورد عن لؤلؤ طل

هو تشبيه حاصى جميل ، والتباين بين طرفى التشبيه ظاهر للعيان ، وضح عند كل انسان .

وتشبيه حالة الحبيب حين صده واعراضه بالنفس المرتد فى قول بشار .

صددت بخد وجئت عن خد ثم انثنت كالنفس المرتد

كذلك خاصى رائع ، وبين طرفى التشبيه بعد بين جلى .

وتشبيه الخد بالورد أو الثغر بالافحوانة كقوله :

بسمت افحوانة الثغر فى ور د نضير من الخدود جميل

عامى مشترك ، وطرفاه بعيدان :

وكذلك تشبيه الحبيب بالريحانة النضرة فى قول صبرى :

ريحانة أنت فى صحراء مجدبة من الرياحين حيانا بها الله

عامى ، مع بعد ما بين الطرفين .

وكلما كان التباعد بين طرفى التشبيه أكثر كان الاعجاب به أكبر ، والهزه لسماعه أنبل وأكرم ، وذلك لان المثير للدفين من الارتياح والباعث على النشوة بالتشبيه نشوة الراح ، والباعث على العجب به ، والحائز للطرب منه ، هو رؤية الشيئين بالتشبيه متحدين مختلفين ، ومثلين متناقضين ، فتسحر السامع روعة الحسن وفتنته وترميه رهبة الجمال الأدبى وبهجته ، وتنثال عليه طرائف يلتمحها فى موكب الحسن ، ومراح البيان ، وقد فطر الانسان على الاعجاب بالشىء اذا ظهر له من مكان لم=

يـدك فى المـاء ثم قلت له « انظر هل حصـل فى كفى من المـاء شىء

= يعهد ظهوره منه ، ولم يألف اشراقا فيه ، فنرى الصبابة به اكثر ، والشغف بسحره اجدر ، وسيان فى اثارة التعجب ، ومرى درة الحمد والثناء عثورنا على الشىء فى مكان ليس من مواضعه ، أو وجود شىء لم يوجد ولم يعرف من اصـله .

واذا كان جمع التشبيه بين المختلفين ، له هذا الاثر وذلك الخطر ، فما أجدر التمثيل بهذه الآية ، وما اقمنه بأن يوفى فى هذا السبيل على الغاية .

أو ليس التمثيل هو ذروة التشبيه البيانى وسنامه ، أو ليس هو رب السحر وامامه ؟ وهل يشك اديب فى ان التمثيل يعمل عمل السحر فى تاليف المبايين وجمع المفترقين ، وان له فى ذلك القدح المعلى ، والشرف الكريم .

ان محاولة اثبات ذلك كتكلف الاحتجاج للضرورات وكفى من افتئاته وابتداعه انه يريك العدم وجودا والوجود عدما ، والسقم صحة ، والصحة سقما ، بل انه يجعل الموت نفسه حياة مستانفة ، ويأتى للشىء الواحـد بنظائر عدة واشباه جلى .

ولا يبعد مدى التمثيل الا بهذه الصنعة الساحرة ، والفتنة الباهرة ، وتقرير الشبه بين الأشياء المختلفة المتباينة ، فان الأشـياء المشتركة فى الجنس المتفقة فى النوع تستغنى بثبوت الشبه بينها وقيام الاتفاق فيها عن التعصب فى ايجاب ذلك لها والتعب فى تثبيته فيها .

٣ — والسبب الثالث من اسباب سحر التمثيل :

هو أن المعنى اذا كان ممثلا لا يتجلى فى الذهن الا بعد أن يحوج المرء الى طلبه بالفكرة ، وتحريك الخاطر له ، وبذل الجهود فى نشدانه .

وكل ما نيل بعد الطلب له ، والاشتياق اليه ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله احلى ، وفضله اجلى ، وموقعه فى النفس الطف ، والقلب به اهيم واشغف .

وهذا الضرب من المعانى كالسـهل المتنـع ، لا يريك جماله حتى يستأذن عليه ، ويعص مراقل الفكر اليه ، وما كل فكر يهتدى الى مغانته ، ويكشف عن محاسـنه ، كما انه ليس كل فكر يمكنه أن يبتدعه ويبتكره ، ويصوغه وينظمه ، ويقرب هذا البعيد ، ويأتى فى ذلك بالمستطرف الجديد .

وانما هى صنعة تستدعى جودة القريحة وحضـور البديهة ودقة الفكر ولطف النظر ، واعمال الحيل ، والحذق فى عقد اعناق المتباينات فى قرن ، وجمع أشتات المتناقضات فى وطن .

وهل يتسنى لكل انسان ان يأخذ الشبه للشىء مما يخالفه فى الجنس ، او يباينه فى الظاهر ؟ =

فكذلك أنت فى أمرك » كان لذلك ضرب من التأثير فى النفس وتمكين المعنى فى القلب ، زائد على القول المجرد .. ومنها (٣٢) الاستطراف كما سيأتى .

ومن (٣٣) فضائل التشبيه أنه يأتيك من الشىء الواحد بأشباه عدة ، نحو أن يعطيك من الزند بايرائه (٣٤) شبه الجواد والذكى ، والنجح فى الأمور ، وباصلاده شبه البخيل والبليد والخيبة فى السعى، ومن القمر الكمال عن النقصان ، كما قال أبو تمام (٣٥) :

لهفى على تلك الشواهد فيهما ... لو أمهلت حتى تصير شمائلا
لغدا سكوتها حجى وصباهما ... حلما وتلك الاريحية نائلا
ولأعقب النجم المرذ بديمة ... ولعاد ذاك الحال جودا وابلا
ان الهلال اذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيصير بدرا كاملا(٣٦)

= وبحسب دقة المسلك ، ولطف المذهب ، واستخراج الشبه من هذه الخلفات ، وتاليف هذه المتباينات ، بعين نافذة تسبح فى مسارب الفكر ومسارح الخاطر وتحضر ما يستحضر العقل ، وتعلق به الرؤية ،لا ما تناله الرؤية ، وتتملى منه الآذان والأبصار .

وبحسب الاجادة فى اصابة الشبه الصحيح المعقول بين المتباينات ، وفى الملاءمة والتاليف بين هذه المتخالفات ، مع السهولة لا التكلف والاستكراه .

بحسب ذلك استحق الممثل المجيد المدح واستوجب التنويه .

(٣٢) اى من الأسباب فى سحر التشبيه وبالغ اثره فى النفس .

(٣٣) راجع ١١٤ و ١١٥ من الأسرار .

(٣٤) اى اذا أورى ، وباصلاده اى اذا اصلد .

(٣٥) راجع الأبيات فى ١١٥ من الأسرار ، ٢٠٠ صناعتين ، وهما فى ابنى لعبد الله بن طاهر ماتا فى يوم واحد (٢/٢٦٧ الكامل للمبرد ، ١/٢٧٩ زهر الآداب) .

(٣٦) الحجى : العقل . وكذلك الحلم . الأريحة صفة يرتاح الانسان معها الى الجود والخير . النائل العطاء . المرذ اسم فاعل من أرذ والرذاذ المطر الخفيف . الديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق . الطل : المطر الضعيف . الجود : المطر الغزير . الوابل : المطر الشديد .

والنقصان عن الكمال كقول أبى العلاء المعرى :

وان كنت تبغى العيش فابغ توسطا فعند التناهى يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهى أهلة ويدركها النقصان وهى كوامل

وتتفرع (٣٧) من حالتى كماله ونقصه فروع لطيفة ، كقول ابن بابك فى الأستاذ أبى على ، وقد استوزره ، وأبا العباس الضبى فخر الدولة بعد وفاة ابن عباد :

وأعرت ثوب الملك شطر نواله والبدر فى شطر المسافة يكمل (٣٨)

وقول أبى بكر الخوارزمى (٣٩) :

أراك اذا أيسرت خيمت عندنا مقيما وان أعسرت قمت لماما

فما أنت الا البدر أن قل ضوؤه أغب وأن زاد الضياء أقاما

المعنى لطيف وان لم تساعده العبارة على ما يجب ، لأن الأغباب أن يتخلل بين وقتى الحضور وقت يخلو منه ، فانما يصلح لأن يراد أن القمر اذا نقص نوره لم يوال الطلوع فى كل ليلة ، بل يظهر فى بعض الليالى دون بعض وليس الأمر كذلك لأنه على نقصانه يطلع كل ليلة حتى تكون السرار ، كذلك ينظر الى بعده وارتفاعه وقرب ضوئه

---

(٣٧) راجع ذلك فى ص ١١٦ من الأسرار .

(٣٨) الشطر النصف ، يريد بذلك وزارته المشتركة وقيامه بنصف أعمال الدولة لفخر الدولة مع أبى العباس الضبى ، والبيت فى الأسرار ص ١١٦ .

(٣٩) راجع البيتين فى الأسرار ص ١١٦ وهما فى ١١٥ ج ٢ زهر الآداب أيضا ولابراهيم بن العباس الصولى فى محمد بن عبد الملك ابن الزيات :

يعرف الا بعد أن أثرى ولا يعرف الادنى اذا ما افتقرا

(١١٥ ج ٢ زهر الآداب) .

خيمت : أقمت لماما : وقتا بعد وقت .

وشعاعه فى نحو ما مضى من بيتى (٤٠) البحترى ، والى ظهوره فى كل مكان كما فى قول أبى الطيب :

كالبـــدر من حيث التفت وجـــدته يهـــدى الى عينيك نورا ثاقبا (٤١)

أركان التشبيه

ثم النظر فى أركان التشبيه ، وهى أربعـــة :

طرفاه ، ووجهه ، وأداته ، وفى الغرض منه ، وفى تقسيمه بهـــذه الاعتبارات .

(طرفا التشبيه) (٤٢) .

اما طـــرفاه فهما :

أما حسيان (٤٣) كما فى تشبيه الخد بالورد والقد بالرمح ، والقيل بالجبل ، فى المبصرات ، والصوت الضعيف بالهمس (٤٤) فى المسموعات والنكهـــة (٤٥) بالعنبر فى المشمومات ، والريق بالخمر فى المذوقات ، والجلد الناعم بالحرير فى الملموسات (٤٦) .

---

(٤٠) هما « دان على ايدى العفاة وشاسع الخ » .

(٤١) راجع البيت فى ١١٧ من الاسرار ، ٣٠٥ من الوســـاطة وفى معناه للاخوص :

انى اذا خفى الرجـــال وجـــدتنى كالشمس لا تخفى بكل مكان

(٨١ ج ١ الحماسة) .

(٤٢) اى المشبه والمشبه به .

(٤٣) اى مدركان باحدى الحواس الخمس .

(٤٤) هو الصوت الذى اخفى حتى كانه لا يخرج عن فضاء الفم .

(٤٥) ريح الفم .

(٤٦) وفى اكثر ما ذكر تسامح لان المدرك بالبصر مثلا انما هو لون الخد والورد وبالشم رائحة العنبر وبالذوق طعم الريق والخمر وباللمس ملاسة الجلد الناعم والحرير وليتهما ، لا نفس هذه الاجسام ، لكن اشتهر فى العرف ان يقال ابصرت الورد وشممت العنبـــر وذقت الخمـــر ولمست الحرير .

وهذا التسامح مبنى على مذهب الحكماء القائلين المدرك بالحواس انما هو الاعراض وخواص الاجرم لانواتها ، واما على مذهب المتكلمين من ادراك الحواس للاجرام وخواصها فلا تسامح .

واما عقليـــان كما فى تشبيه العلم بالحياة (٤٧) .

واما مختلفان والمعقول هو المشبه كما فى تشبيه المنيـــة بالسبع ، أو بالعكس كما فى تشبيه العطر بخلق كريم (٤٨) .

والمراد بالحسى المدرك هو أو مادته باحـــدى الحواس الخمس(٤٩)

---

(٤٧) ووجه الشبه بينهما كونهما طريقى ادراك ، فالمراد بالعلم الملكة التى يقتدر بها على الادراكات الجزئية لا نفس الادراك ، وقيل وجه الشبه بينهما نفس الادراك اذ العلم نوع من الادراك والحياة مقتضية للحس الذى هو نوع من الادراك ، وهو قول ضعيف لأن كون الحياة مقتضية للحس لا يوجب اشتراكهما فى الادراك على ما هو شرط فى وجه الشبه من كونه مشتركا بين الطرفين قائما بهما الا انه فى المشبه به اظهر ، فالحال القائم بالعلم وهو كونه ادراكا لم يقم بالحياة وانما وجد معها ، وايضا لا يخفى أن ليس المقصود من قولنا العلم كالحياة أن العلم ادراك كما أن الحياة معها ادراك بل ليس فى ذلك كثير فائدة كما فى قولنا العلم كالحس فى كون كل منهما ادراك فالجامع مطلق الادراك ، وانما المقصود ان العلم كالحياة فى ان كلا سبب فى الادراك . قال ابن يعقـــوب : الحق أن الوجه بين العلم والحياة هو حصول الآثار المطلوبة من كل .

(٤٨) فالخلق عقلى لانه كيفية نفسانية يصدر بسببها الافعال بسهولة. واما المنية فى التشبيه السابق اى الموت فهو عقلى لانه عدم الموت عما من شأنه الحياة .

هذا والوجه فى تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر المعقول محسوسا ويجعل كالأصل لذلك المحســـوس على طريق المبالغـــة ويكون من عكس التشبيه ، والا فالمحسوس اصل للمعقول لأن العلوم العقلية مستفادة من الحواس ، فتشبيهه بالمعقول يكون جعلا للفرع اصلا والأصل فرعا وذلك لا يجوز بدون الطريق السابق وقال ابن يعقوب : لا حاجة الى جعل تشبيه الحسى بالعقلى من عكس التشبيه دائما .

(٤٩) البصر — السمع — الذوق — اللمس — الشم .

الظاهرة ، فدخل فيه (٥٠) الخيالى (٥١) كما فى قوله (٥٢) .

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد
أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد (٥٣)

وقوله (٥٤) :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

---

(٥٠) أى فى الحسى بسبب زيادة قولنا « او مادته » — راجع ذلك فى المفتاح ص ١٤٢ .

(٥١) هو المركب المعدوم الذى فرض وتخيل مجتمعا من امور كل واحد منها مما يدرك بالحس وجعل الخياليات من قبيل المحسوسات لاشتراك الحس والخيال فى ادراك الصور وان كان الحس يدركها بسبب حضور المادة والخيال يدركها بدون ذلك .

(٥٢) أى الصنوبرى وهو احمد بن محمد الحلبى م ٣٣٤ هـ — وقوله : كما فى قوله ، أى كالمشبه به فى قول الصنوبرى .

(٥٣) الشقيق ، ورد احمر فى وسطه سواد ، ينبت بالجبال . تصوب : مال الى أسفل . تصعد : مال الى أعلى .

كل من العنم والياقوت والرمح والزبرجد محسوس لكن المركب من هذه الامور ليس بمحسوس لانه ليس بموجود والحس لا يدرك الا ما هو موجود فالمشبه فى البيت مفرد حسى والمشبه به مركب خيالى فان كان بعض المواد غير محسوس كان ذلك المركب وهميا كأنياب الأغوال فان الناب يدرك بالحس دون الغول وسمى ذلك مركبا خياليا لكون صور اجزائه مرتسمة فى الخيال ولكون المركب له القوة المخيلة وهى المفكرة .

(٥٤) أى الصنوبرى — والبيتان فى الأسرار ص ١٥٠ .

النيلوفر : ينبت فى الماء الراكد ، واصله كالجزر ، وساقه الملس فاذا سما وى سطح الماء ازهر واورق . الدبابيس جمع دبوس وهى عصا فى راسها كالكرة .

العسجد الذهب :

فالمشبه به هنا مركب خيالى .

والمراد (٥٥) بالعقلى ما عدا (٥٦) ذلك فدخل فيه الوهمى (٥٧) وهو ما ليس مدركا بشىء من الحواس الخمس الظاهرة مع أنه لو (٥٨) أدرك لم يدرك الا بها ، كما فى قوله امرىء القيس (٥٩) •

وعليه قوله تعالى : « طلعها كأنه رءوس الشياطين » (٦٠) • وكذا ما يدرك بالوجدان (٦١) •

---

(٥٥) راجع ١٤٢ من المفتاح .

(٥٦) وهو مالا يكن هو ولا مادته مدركا باحدى الحواس الخمس الظاهرة .

(٥٧) أى الذى لا يكون للحس باعتبار نفسه أو مادته مدخل فيه .

(٥٨) أى لو وجد فى الخارج وبهذا القيد يتميز على العقلى الصرف كالعلم والحياة .

(٥٩) سبق شرحه فى الاستفهام ، وصدره « أيقتلنى والمشرفى مضاجعى » .

أى أيقتلنى ذلك الرجل والحال أن مضاجعى سيف منسوب الى مشارف اليمن وسهام محددة النصال صافية مجلوة . وانياب الاغوال مما لا يدركها الحس لعدم وجودها فى الخارج ولكنها لو وجدت لكانت مدركه بحس البصر .

والبيت فى ٩١ من الدلائل ، ٢/٧١ من الكامل ، وسبق فى الايضاح .

(٦٠) راجع شرح الآية فى الكامل للمبرد ٦٩ — ٢/٧١ وهو شرح واف.

(٦١) هو القوى الباطنية . وما يدرك بها داخل فى العقلى .

ملاحظة : القوة المتخيلة او المفكرة من قوى الادراك فتسمى متخيلة باعتبار استعمال الوهم لها وتسمى مفكرة باعتبار استعمال العقل لها ولو مع الوهم ، فالنفس تستعمل هذه القوة على اى نظام تريد بواسطة القوة الواهمة او العقل ، وتصرفاتها بحسب العقل قد تكون صوابا وقد تكون خطأ اما بحسب الوهم فهى خطأ .

وهذه القوة من شانها تركيب الصور التى فى الخيال والمعانى المرتسمة فى الحافظة وتفصيلها والتصرف فيها واختراع اشياء لا حقيقة لها . والمراد بالخيال المعدوم الذى ركبته المتخيلة من الأمور التى ادركت بواسطة الوهم بالحواس الظاهرة . والمراد بالوهمى ما اخترعته المتخيلة بواسطة الوهم على صورة المحسوس من عند انفسها كما اذا سمعت عن الغول وانها شىء مهلك كالسبع فتأخذ المتخيلة فى تصويرها بصورة السبع واختراع ناب لها كما السبع فالحاصل ان الوهمى لا وجود لهيئته ولا لجميع مادته ، والخيالى جميع مادته موجود دون هيئته .

كاللذة والألم (٦١) والشبع والجوع .

(وجه التشبيه) :

وأما وجهه فهو المعنى الذى يشترك فيه الطرفان (٦٢) تحقيقا أو تخييلا .

والمراد (٦٣) بالتخييل أن لا يمكن وجوده فى المشبه به الا على تأويل (٦٤) كما فى قول القاضى التنوخى :

وكان النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع(٦٥)

---

(٦١) المراد هنا اللذة والالم الحسيان والا فاللذة والالم العقليان من العقليات الصرفة .

فادراك هذين المعنيين ليس بشىء من الحواس الظاهرة وليس ايضا من العقليات الصرفة لكونهما من الجزئيات المستندة الى الحواس ، بل هما من الوجدانيات المدركة بالقوى الباطنية كالشبع والجوع والفرح والحزن والغضب والخوف . (٦٢) قال المبرد :

اعلم أن للتشبيه حدا ، فالاشياء تتشابه من وجوه وتتباين من وجوه فانما ينظر الى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق الخ (٤٧ و ٢/٤٨ الكامل للمبرد)

وقوله يشترك الطرفان فيه اى قصد اشتراكهما فيه . فزيد والأسد يشتركان فى كثير من الذاتيات وغيرها كالحيوانية والجسمية والوجود وغير ذلك مع أن شيئا منهما ليس وجه شبه اذا كان القصد تشبيه زيد بالأسد فى الشجاعة .

(٦٣) راجع ١٩٤ من الأسرار الى ص ٢٠٤ فى ذلك .

(٦٤) فالتخيل أن لا يوجد ذلك المعنى الجامع بين الطرفين فى احد الطرفين أو فى كليهما الا على سبيل التخييل — أى فرض المخيلة وجعلها ما ليس بمحقق محققاً .

(٦٥) راجع البيت والكلام عليه فى الأسرار ص ١٩٦ وما بعدها وفى المفتاح ص ١٤٦ ، وهو فى البديع لابن المعتز ص ٧٢ شرح محمد عبد المنعم خفاجى .

فان وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود (٦٦) فهى غير موجودة فى المشبه به الا على طريق التخييل ، وذلك أنه لما كانت البدعة والضلالة وكل ما هو جهل يجعل صاحبها فى حكم من يمشى فى الظلمة ، فلا يهتدى الى الطريق ولا يفصل الشىء من غيره فلا يأمن أن يتردى فى مهواة أو يعثر على عدو قاتل أو آفة مهلكة ، شبهت بالظلمة ، ولزم على عكس ذلك أن يشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور ، وعليهما قوله تعالى : يخرجهم من الظلمات الى النور ، وشاع ذلك حتى وصف الصنف الأول بالسواد كما فى قول القائل « شاهدت سواد الكفر من جبين فلان » ، ووصف الثانى بالبياض كما فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « أتيتكم بالحنيفية البيضاء » وذلك لتخييل أن السنن ونحوها من الجنس الذى هو اشراق أو ابيضاض فى العين ، وأن البدعة ونحوها على خلاف ذلك ، فصار تشبيه النجوم ما بين الدياجى بالسنن ما بين الابتداع كتشبيه النجوم فى الظلام ببياض الشيب فى سواد الشباب ، وبالأنوار مؤتلقة بين النبات الشديد الخضرة ، فالتأويل فيه أنه تخيل ما ليس بمتلون ، متلونا ويحتمل (٦٧) وجها آخر ، وهو أن يتأول بأنه أراد معنى قولهم ان سواد الظلام يزيد النجوم حسنا ، فانه لما كان وقوف العاقل على عوار الباطل يزيد الحق نبلا فى نفسه وحسنا فى مرآة عقله ، جعل هذا الأصل من المعقول مثالا للمشاهد المبصر هناك ،

= والدجى الظلمة ، والضمير للنجوم .

فوجه الشبه الكائن فى البيت تخييلى ، فالمشبه النجوم بقيد كونها ظهرت بين اجزاء ظلمة الليل ، والمشبه به السنن المقيدة بكونها لاحت بين الابتداع ، فهو تشبيه مفرد بمفرد من تشبيه المحسوس بالمعقول ، وحينئذ فيقدر أن السنن محسوسة وتجعل كأنها اصل على طريق المبالغة أو يجعل من عكس التشبيه .

(٦٦) وهو الظلمات .

(٦٧) راجع ٩٩ من الأسرار .

غير أنه لا يخرج مع هذا عن كونه على خلاف الظاهر لأن الظاهر أن يمثل المعقول فى ذلك بالمحسوس ، كما فعل البحترى فى قوله (٦٨) :

وقد زادها افراط حسن جوارها خلائق أصفار من المجد خيب
وحسن دراری الكواكب أن ترى طوالع فى داج من الليل غيهب

ومن التشبيه التخييلى قول ابى طالب الرقى (٦٩) :

ولقد ذكرتك والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت أيام المكاره توصف بالسواد توسعا فيقال اسود النهار فى عينى واظلمت الدنيا على ، وكان الغزل يدعى القسوة على من لم يعشق والقلب القاسى يوصف بالسواد توسعا ، تخيل يوم النوى وفؤاد من لم يعشق شيئين لهما سواد ، وجعلهما أعرف به وأشهر من الظلام ، تشبيه بهما . وكذلك قول ابن بابك (٧٠) .

وأرض كاخلاق الكرام قطعتها وقد كحل الليل السماك فأبصرا

فان الاخلاق لما كانت توصف بالسعة والضيق تشبيها لها بالأماكن الواسعة والضيقة ، تخيل أخلاق الكرام شيئا له سعة ، وجعلها أصلا فيها فشبه الأرض الواسعة بها . وكذا قول التنوخى (٧١).

---

(٦٨) راجع ذلك فى الاسرار ص ٢٠٠ .
افراط مفعول ، وجوارها فاعل ، وخلائق مفعول جوار ، اصفار جمع صفر بمعنى الخالى . دراری جمع درى وهو الكوكب الثاقب المضىء كالدر . غيهب : شديد السواد .
(٦٩) راجعه فى ١٩٨ ، ١٩٩ من الاسرار ، ١٤٦ من المفتاح .
(٧٠) راجعه فى ٢٠١ من الاسرار ، ١٤٧ من المفتاح .
السماك نجم معروف وتكحيل الليل له بظلمته . والضمير فى «فابصرا» للسماك لان الليل اذا اشتدت ظلمته ازدادت كواكبه نورا ، ويجوز ان يكون لليل فيعنى انه صار ذا بصر بالسماك .
(٧١) راجع البيت فى ٢٠٠ و ٢٠١ من الأسرار ، ١٤٧ من المفتاح ، ومن التشبيه التخيلى قول على بن بسام :
فى ليلة فيها السماء مرزة سوداء مظلمة كقلب الكافر

فانهض بنار الى فحـــم كأنهمـــا فى العين ظلم وانصاف قد اتفقا

فانه لمـــا كان يقال فى الحق انه منير واضح فيستعار له صـــفة الاجسام المنيرة وفى الظلم خلاف ذلك ، تخيلهما شيئين لهمـــا انارة واظلام فشبه النار والفحم مجتمعين بهما مجتمعين ... وكذا ما كتب به الصاحب الى القاضى ابى الحسن (٧٢) وقد اهدى له الصاحب عطر القطر (٧٣) .

يا أيها القـــاضى الذى نفسى له مع قرب عهـــد لقـــائه مشـــتاقه
أهديت عطـــرا مثـــل طيب ثنائه فكأنما أهـــــدى له أخـــلاقه

فانه لمـــا كان الثناء يشبه بالعطر ويشتق له منه ، تخيله شـــيئا له رائحة طيبة وشـــبه العطر به ليوهم أنه أصـــل فى الطيب وأحق به منه .. وكذا قول الآخر (٧٤) :

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه نجاء من البأســـاء بعـــد وقوع

فانه لمـــا رأى الخلاص من شدة يشبه بخروج البدر من تحت الغيم بانحساره قلب التشبيه ، ليرى أن صـــورة النجاء من الباســـاء لكونها مطلوبة فوق كل مطلوب أعرف من صورة انتضاء البدر من تحت غيمه .

واذا (٧٥) علم أن وجه الشبه هو ما يشترك فيه الطرفان (٧٦) ،

---

(٧٢) هو أبو الحسن الجرجانى صاحب الوساطة والرواية فى الاسرار ص ٢٠٣ .
(٧٣) بضمتين أو بضم فسكون العود الذى يتبخر به .
(٧٤) وهو العلوى الاصفهانى الشاعر . والبيت فى الأسرار ص٢٠٠، وفى المفتاح ١٤٧ .
انتضاء البدر ، انكشافه . النجاء : الخلاص . البأساء : الشدة . الغيم : السحاب .
(٧٥) راجع ٥٥ من الأسرار ، ٦ من الدلائل ، ١٤٥ من المفتاح .
(٧٦) أى تحقيقا أو تخيلا فاذا لم يوجد فيهما كذلك كان جعله وجه شبه فاسدا .

علم فساد جعله فى قول القائل : النحو فى الكلام كالملح فى الطعام ، كون القليل مصلحا والكثير مفسدا ، لأن القلة والكثرة انما يتصور جريانهما فى الملح وذلك بأن يجعل منه فى الطعام القدر المصلح أو أكثر منه ، دون النحو ، فانه اذا كان من حكمه رفع الفاعل ونصب المفعول مثلا فان وجد ذلك فى الكلام فقد حصل النحو فيه وانتفى الفساد عنه وصار منتفعا به فى فهم المراد منه ، والا لم يحصل وكان فاسدا لا ينتفع به ، فالوجه فيه هو كون الاستعمال مصلحا والاهمال مفسدا لاشتراكهما فى ذلك . ومما يتصل بهذا ما حكى أن ابن شرف القيروانى أنشد ابن رشيق قوله :

غيرى جنى وأنا المعاقب فيكم
فكأننى سبابة المتندم (٧٧)

وقال له هل سمعت هذا المعنى ؟ فقال ابن رشيق : سمعته وأخذته أنت وأفسدته ، أما الأخذ فمن النابغة الذبيانى حيث يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع
لكلفتنى ذنب امرىء وتركته كذا العريكوى غيره وهو رائع(٧٨)

وأما الافساد فلأن سبابة المتندم أول شىء يتألم منه (٧٩) فلا يكون المعاقب غير الجانى ، وهذا بخلاف بيت النابغة فان المكوى من الابل يألم وما به عر ألبتة ، وصاحب العر لا يألم جملة .

الوجه اما خارج أو غير خارج (٨٠) :

وهو اما غير خارج عن حقيقة الطرفين (٨١) أو خارج ..

---

(٧٧) البيت فى المطول ص ١٢٠ .

(٧٨) ذو امة بالكسر : ذو استنابة . العر : الجرب : رائع : مقيم .

(٧٩) قال السبكى : يريد أن السبابة تتألم وهى جانية ، وفيه نظر لأن سبابة المتندم قد لا تكون جانية بأن يكون الندم وقع على فعل قلبى أو فعل عضو آخر ولكن اتصال الأعضاء وجعلها كالشىء الواحد سهل ذلك.

(٨٠) راجع ١٤٢ مفتاح ، ٧١ اسرار البلاغة .

(٨١) بأن يكون تمام ماهيتهما وهو النوع او جزء منهما وهو الجنس والفصل .

والأول (٨٣) اما تمـام حقيقتهما كما فى تشبيه انسان بانسان فى كونه انسانا ، أو جزؤهما كما فى تشبيه بعض الحيوانات العجم بالانسان فى كونه حيوانا .

والثانى (٨٤) صـفة اما حقيقية (٨٥) أو اضـافية ، والحقيقيـة اما حسية (٨٦) وهى الكيفيات الجسمية (٨٧) ، مما يدرك بالبصر : من الألوان والاشكال والمقادير والحركات ، وما يتصل بها من الحسـن والقبح وغير ذلك ، أو بالسمع من الأصوات القوية والضعيفة والتى بين بين ، أو بالـذوق من أنواع الطعـوم ، أو بالشـم من أنواع الروائح ، أو باللمس من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والخشونة والملاسـة واللين والصـلابة والخفة والثقل وما ينضـاف اليهـا (٨٩) واما عقلية (٨٨) كالكيفيات النفسية (٨٩) من الذكاء والتيقظ والمعرفة والعلم والقدرة والكرم والسخاء والغضب والحلم ، وما جرى مجراها فى الغرائز (٩٠) والاخلاق والاضافية (٩١) كازالة الحجاب فى تشبيه

---

(٨٢) وهو غير الخارج عن حقيقة الطرفين .
(٨٣) وهو الخارج عن حقيقة الطرفين .
(٨٤) أى هيئة متمكنة فى الذات متقررة أى ثابتة فيها .
(٨٥) أى مدركة باحدى الحواس الظاهرة .
(٨٦) أى المختصة بالأجسام .
(٨٧) أى من البلة والجفاف واللزوجة والهشاشة واللطافة والكثافة وغير ذلك .
(٨٨) أى مدركة بالعقل . وينبغى أن يعلم أن تقسيم الخارج من وجه الشبه الى حسى وعقلى لمزيد الاهتمام به والا فغير الخارج منه أيضا قـد يكون حسيا وقد يكون عقليا .
(٨٩) أى المختصة بذوات الأنفس .
(٩٠) جمع غريزة وهى ملكة تصـدر عنها صفات ذاتية مثل الكرم والقدرة والشجاعة وغير ذلك .
(٩١) عطف على الحقيقة ، ونعنى بالاضافة ما لا تكون هيئة متقررة فى الذات بل تكون معنى متعلقا بشيئين .

الحجة بالشمس (٨٢) .

الوجه اما واحد أو متعدد أو مركب (٨٣) :

وجه التشبيه اما واحد أو غير واحد والواحد اما حسى أو عقلى

وغير الواحد : اما بمنزلة الواحد لكونه مركبا من أمرين أو أمور ، او متعدد غير مرتب (٨٤) .

---

(٨٢) قالها ليست هيئة متقررة فى ذات الحجة والشمس ولا فى ذات الحجاب وقد يطلق الحقيقى على ما يقابل الاعتبارى وهو الذى لا تحقق له الا بحسب اعتبار العقل . وهو الاعتبارى الوهمى وعلى وجود فى هذا الاطلاق يكون الحقيقى شاملا للاضافيات فيراد به الأمر الذى له نفسه سواء كان متصفا بالوجود الخارجى أولا فالحقيقى على هذا الاطلاق اعم منه على كلام المصنف حيث اريد بالحقيقى منه ما له وجود خارجى فالاضافى من قبل الحقيقى على الاطلاق الثانى وغير الحقيقى على اطلاق المصنف الذى يطلق الحقيقى على ما يقابل الاضافى فتكون الاعتبارية الوهمية غير داخلة فى كلامه : لا فى الاضافية وهو ظاهر . ولا فى الحقيقة لانه قسم الحقيقية الى حسية وعقلية مدل على انه أراد بها ما كان متحققا فى ذات الموصوف بدون اعتبار العقل سواء كانت مدركة بالحس او بالعقل فتقسيم المصنف الصفة الى حقيقية واضافية غير تصور .

وفى المفتاح اشارة الى ان اطلاق الحقيقى بمعنى ما قابل الاعتبارى هو المراد هنا اى فى مقام تقسيم الصفة الى حقيقية وغيرها فيراد بالغير الاعتبارية الوهمية ويراد بالحقيقية ما يشمل الاعتبارية الاضافية . قال السكاكى : الوصف العقلى منحصر بين حقيقى كالكيفيات النفسانية وبين اعتبارى ونسبى كانتصاف الشىء بكونه مطلوب الوجود او العدم عند النفس او كانتصافه بشىء تصورى وهمى :

ملاحظة :

مثل هذه التقسيمات عديمة الجدوى وهى بحوث منطقية اكثر منها بلاغية وعبد القاهر حين يلم بشىء من ذلك يلم به المامة يسيرا فى حذر ورفق ولطف .

(٨٣) راجع ص ١٤٣ من المفتاح .

(٨٤) لبيان ذلك بتفصيل نقول :

التشبيه اما مفرد او متعدد او مركب . =

■ • • • • • • • • • • • • • •

١ — فالتشبيه المفـــرد :

هو ما اخذ وجه الشبه فيه من شيء واحد اى امر واحد (هو المشبه به او وجه الشبه الظاهرى اللازم له) والمثال خده كالورد فى الخمر والفاظه كالعسل فى الحلاوة .

٢ — والمركب هو ما انتزع وجه الشبه فيه من عدة امور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون ســـبيله سبيل الشيئين يمزج احدهما بالآخر حتى تحدث لهما صورة غير ما كان لهما فى حال الافراد لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما كما فى المتعدد .

وقال السعد التشبيه المركب بمنزلة الواحد — وهو ما كان وجه الشبه فيه مركبا من متعدد تركيبا حقيقيا او اعتباريا .

اما المركب تركيبا حقيقيا فبان يكون الوجه حقيقة مثنية ومركبة من امرين او امور مختلفة مثل زيد كعمرو فى الانسانية فالانسانية حقيقة مركبة تركيبا حقيقيا من امرين مختلفين (الحيوانية والناطقة) وانما كان التركيب حقيقيا لان الجزءين صارا به شيئا واحدا فى الخارج .

واما المركب من متعدد تركيبا اعتباريا فبان يكون الوجه هيئة انتزعها العقل من ملاحظة عدة امور وتلك الامور لم يصر مجموعها حقيقة واحـــدة بخلاف التركيب الحقيقى ، فالحاصل ان المركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له فى حد ذاته بل هو هيئة يلاحظها العقل من اجتماع امور بحيث لا يصح التشبيه الا باعتبار تعلقها بمجموع الاجزاء . والمثال « كان مثار النقع الخ » فالهيئة فيه (التى هى وجه الشبه) هى هوى اجرام مشرقة على وجه مخصوص فى جوانب شيء مظلم .

والتعميم فى المركب يجعله شاملا للنوعين (الحقيقى والاعتبارى) هو ظاهر كلام السعد ويشعر به كلام السكاكى فى المفتاح .

ولكن صاحب المطول يرى أن المركب تركيبا حقيقيا من قبيل الواحد لا من قبيل ما هو منزل منزلة الواحد فعلى هذا يكون المفرد قسمين (وجه الشبه الواحد ووجه الشبه المركب تركيبا حقيقيا) ويكون المركب قســـما واحدا هو المركب تركيبا اعتباريا فقط ، وهذا هو الراى الجدير بأن يتبع .

٣ — والمتعـــدد :

هو أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئين مرة واحـــدة الا ان احدهما (اى احد الشبيهين) لا يداخل الآخر فى الشـــبه (وجـــه الشبه) ، اى ان يجيء التشبيه فيه معقودا على امرين الا انهما لا يتشابكان هذا التشابك فيكون سبيلهما سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما . —

• • • • • • • • • • • • • • •

= وقال السعد المراد بالمتعدد ان ينظر الى عدة أمور ويقصد اشتراك الطرفين فى كل منها ليكون كل منها وجه شبه بخلاف المركب المنزل منزلة الواحد فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة او فى الحقيقة الملتئمة منها ولهذا لا يجوز حذف بعضه .

ومثال المتعدد هذه الفاكهة مثل هذه الفاكهة فى شكلها ولونها وطعمها ورائحتها .

ويلاحظ ان التشبيه المركب ادرجه بعضهم فى التشبيه المفرد فيجعل المفرد والواحد او ما هو بمنزلته وغير المفرد هو المتعدد فقط .

وبعضهم ادرجه فى المتعدد فيجعل الوجه اما مفردا (وهو الواحد فقط) واما غير مفرد (وهو اما بمنزلة المفرد واما متعدد) .

والحق ان المركب قسم برأسه كما يرى عبد القاهر فاقسام الوجه ثلاثة .

والخلاف لفظى على ما هو ظاهر .

والفروق بين المتعدد والمركب هى :

١ — المتعدد لم يقصد فيه مداخلة احد المشبهين او المشبهين بهما الآخر فى وجه الشبه فله اوجه شبه متعددة بتعدد المشبهات او المشبهات بها بعكس المركب فقد داخل احدهما الآخر فى وجه الشبه فكان له وجه شبه هو هيئة منتزعة من عدة أمور .

٢ — يصح تفريق التشبيهات فى المتعدد كما سبق فى : كأن قلوب الطير رطبا الخ ، بخلاف المركب فانه على نوعين :

ا — نوع منه لو فض تركيبه لوجدت احد طرفيه يخرج عن ان يصلح تشبيها لما جاء فى مقابلته مع التركيب كالبيت :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف اشهب ملقى الجلال

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل ولو قيل كأن الليل جلال لم يكن التشبيه شيئا .

ب — ونوع آخر منه يكون اذا فض تركيبه استوى التشبيه فى طرفيه الا ان الحال تتغير ومثال ذلك :

وكأن اجرام النجوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق

يشبه ابو طالب الرقى النجوم طالعات فى السماء مفترقات مؤتلقات فى أديمها وقد مازجت زرقة لونها بياض نورها بدر منثور على بساط أزرق بجامع

الهيئة الحاصلة من تفرق أجرام متألئة مستديرة صغار المقادير فى مرأى العين على سطح جسم أزرق صافى الزرقة .

فمقابل النجوم (فى طرف المشبه) هو الدرر فى طرف المشبه به وكذلك يقابل السماء المفهومة من ذكر النجوم قوله بساط أزرق .

ونحن وان صح ان نقول كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق مع صحة التشبيه وقبوله وكونه معتادا بعد التفريق .

ولكن يمنع من هذا التفريق ضياع الحسن الذى يقتضيه التركيب المقصود للشاعر ولا يكون مع التفريق .

وذلك ان المقصود من التشبيه ان يشبه الشاعر هيئة بأخرى ويصورها لك بصورة بديعة ولا يخفى أن التفريق يذهب بهذه الصورة فيضيع الاحسان وما فى التشبيه من روعة التركيب وسحر البيان .

٣ — المتعدد لا يجب فى أجزائه ترتيب خاص ولو حذف جزء منه مع ما يقابله لصح ذلك بعكس المركب فى ذينك .

٤ — فائدة التشبيه المتعدد والفضيلة فيه فى اختصار اللفظ وحسن الترتيب فيه لا لأن فى الجمع فائدة فى عين التشبيه أما التشبيه المركب فبلاغته فى نفس التشبيه لأنه موضوع على أن يريك الهيئة ويوضح لك الصور المركبة .

بيان ذلك ان قول الشاعر :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا

للجمع فيه بين عدة تشبيهات مكان من الفضيلة مرموق وشأو يرى فيه سابق ومسبوق لا أن حقائق التشبيه تتغير بهذا الجمع أو أن الصور (التى فى طرفى) التشبيه ، تتداخل وتتركب وتأتلف ائتلاف الشكلين يصيران الى شكل ثالث ؛ فكون قدها كغصن البان لا يزيد ولا ينقص فى تشبيهها بالغزال حين ترنو منه العينان وكذلك كونها تفوح العنبر ويلوح وجهها كالقمر .

وليس كذلك قول الشاعر :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فانه شبه هيئة السيوف المسلولة من اغمادها وهى تعلو وترسب وتتهاوى وتضطرب وتتحرك بسرعة الى جهات وعلى أحوال مختلفة وهى

تبرق وتومض فى أثناء النقع المظلم بهيئة الكواكب فى تهاويها أثناء ظلام الليل الحالك فى الهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة ممتطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم . فوجه الشبه مركب وكذلك الطرفان . ولم يرد بشار تشبيه مثار النقع بالليل فانه غير طائل ولا تشبيه السيوف بالنجوم فانه غير مجد بل قصد تشبيه الهيئة الحاصلة من اجتماعهما على هذه الصورة بالهيئة الحاصلة من الكواكب وهى تتهاوى فى الليل الا ترى ان الكواكب هى صفة لليل فلا يتصور فى متبوعها الانقطاع ولو كانت الكواكب هى صفة لليل فلا يتصور فى متبوعها الانقطاع ولو كانت الكواكب مستبدة بشأنها لم يكن لكلمة (تهاوى) فائدة ، ولقال : ليل وكواكب .

فالمقصود فى هذه الأبيات هو بيان الهيئة ولا يجوز تفريق التشبيهات بأى حال .

ملاحظة :

١ — الفرق بين تشبيه المركب بالمركب والمقيد بالمقيد ، هو من جهة المعنى فحيث كان المقصود الهيئة الحاصلة من مجموع امرين او امور فهو تشبيه مركب بمركب لان كل واحد من اجزاء الطرف الواحد ليس مقصودا وان صح تشبيهه بجزء الطرف الآخر .

وحيث كان المقصود احد اجزاء الطرف الآخر ، ولكن بقيد فيه ، وليس ذلك القيد مقصودا لذاته بل للطرف فهو مقيد بمقيد .

اما ان كان المقصود اشياء منفصلة بأشياء منفصلة ، فهو تشبيه متعدد بمتعدد . والخلاصة ان :

التشبيه المفرد ما كان الشبه فيه منتزعا من شىء واحد مثل جلال الشيخ كالشمس رفعة وأدبه كالزهر جمالا ، وذكره كالمسك تضوعا ، فالرفعة والجمال والتضوع وجوه شبه انتزعت من امر واحد هو وجه الشبه السطحى المشترك المأخوذ من نفس الصفة وجنسها لا من امور متعددة :

والتشبيه المتعدد ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من امرين او من امور متعددة لم يلاحظ امتزاجها وتركيبها مثل علمك بحر زاخر ، وخلقك زهر ناضر ومثل صديق يطلع علينا لماما كالشمس تشرق وتغرب فالشبه منتزع مما بين العلم والبحر وبين الخلق والزهر من سعة سحر ومما بين زيارة الصديق وفراقه وبين الشمس من طلوع وغرب فجمعنا بين تشبيهين فى جملة واحدة بدون ان يلاحظ وجه الشبه فيهما .

والمركب اما حسى أو عقلى :

والمتعدد اما حسى أو عقلى أو مختلف ، والحسى لا يكون طرفاه الا حسيين ، لامتناع أن يدرك بالحس من غير الحسى شىء ، والعقلى

= والتشبيه المركب ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من امرين أو عدة امور جمع بعضها الى بعض واستخرج من مجموعها وجه الشبه مثاله قول الشاعر :

فاصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الاصابع

يريد انه قد خاب ظنه فى أن يتمتع بها ويسعد بوصلها فلم يحظ منها بطائل كما لا يحظى القابض بكفه على الماء فالوجه هو الحرمان مما يظن الفوز به وينشد الظفر بادراكه .

وهذا الوجه منتزع من امور متعددة ممتزجة غير منفصل بعضها عن بعض فقد أخذ من القبض — الحاصل بالكف — متعلقا بالماء فروعى من الرجل فعل مخصوص هو القبض وان يكون المقبوض شيئا مخصوصا هو الماء ، وان يكون القبض بشىء مخصوص هو الكف ، وحصل بهذا الامتزاج الشبه المقصود ولا يمكن ان يحصل من كل واحد من هذه الأمور على الانفراد ، كما لا يمكن ان يقال فيه تشبيه بدون ترتب الاول على الثانى ودخول الثانى فى الاول فقد بطلت صور التشبيه المفرد ، وحدثت صورة جديدة استخرج منها وجه الشبه .

ومثل هذا المثال قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار الخ » . فالوجه حرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه وهو صورة منتزعة من امور متعددة ممزوجا بعضها ببعض حيث روعى من الحمار فعل مخصوص هو الحمل ومحمول مخصوص هو الأسفار التى ينتفع بها لأنها اوعية العلوم ، وان الحمار يجهل ما فيها ، واذا حاول الانسان فصل كل واحد عن الآخر لم يتأت وجه الشبه ، ولم يكن للكلام هذا الجمال وذلك الاعجاز .

وبهذا يمكننا ان نحصر الفروق بين التشبيه المفرد والمتعدد والمركب فيما يأتى باختصار بعد ان بسطنا الكلام عليها تفصيلا فيما سبق .

١ — المركب وجه الشبه فيه متنزع من امرين أو امور ممتزجة ببعض ، والمتعدد وجه الشبه فيه منتزع من امور متعددة غير ملتئمة ، والمفرد منتزع من شىء واحد . =

طرفاه اما عقليان أو حسيان أو مختلفان ، لجواز أن يدرك بالعقل من الحسى شىء ، ولذلك يقال التشبيه بالوجه العقلى أعم من التشبيه بالوجه الحسى .

= ٢ — لا يجب فى التشبيه المتعدد ترتيب مخصوص ، فيجوز فى اجزائه التقديم والتأخير فلا فرق بين ان يقال هو يصفو ويكدر ، وان يقال هو يكدر ويصفو بخلاف المركب فانه لا يصح تغييره بتقديم جزء منه أو تأخيره مثل هو يصفو فيكدر فلا يجوز هو يكدر فيصفو والا لفسد ، المعنى لأن الكدر مرتب على الصفاء فلو عكس لأفاد التمثيل العكس وهو ترتيب الصفاء على الكدر .

٣ — يجوز حذف بعض اجزاء التشبيه المتعدد دون ان يقع خلل فى التشبيه بخلاف المركب ، فلو حذف منه جزء لفسد المعنى وضاع المغزى ففى يصفو ثم لا يكدر لو حذفنا (ثم لا يكدر) لضاع معنى التشبيه ومغزاه ، ولو حذفنا من : (نثرها مسك ووجهها دينار وبنانها عنم) جزءا من هذه التشبيهات لما حدث شىء .

٤ — التمثيل المتعدد له وجوه شبه متعددة بتعدد اجزائه بخلاف المركب .

ملاحظات :

١ — المراد بالواحد ما يعد واحدا فى العرف لا الذى لا جزء له اصلا .

٢ — والمراد بالمركب الذى بمنزلة الواحد ما كان حقيقة مركبة من امرين أو امور مختلفة ، وذلك كالحقيقة الانسانية الواقعة وجه شبه فى قولك زيد كعمرو فى الانسانية ، فهى مركبة تركيبا حقيقيا من امرين مختلفين وانما كان التركيب حقيقيا لأن الجزءين صارا به شيئا فى الواقع ، او كان مركبا تركيبا اعتباريا بأن يكون هيئة استحضرها العقل من ملاحظة عدة امور لم يصر مجموعها حقيقة واحدة ، بخلاف ما فى التركيب الحقيقى ، فالمركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له فى حد ذاته بل هو هيئة ملاحظة من اجتماع امور بحيث لا يصح التشبيه الا باعتبار تعلقها بمجموع الأجزاء كالهيئة المنتزعة فى قول بشار « كان مثار النقع .. الخ » . =

قال الشيخ صاحب المفتاح (٨٥) :

وههنا نكتة لابد من التنبه لها ، وهى أن التحقيق فى وجه الشبه يأبى ان يكون غير عقلى ، وذلك انه متى كان حسيا وقد عرفت أنه يجب أن يكون موجودا فى الطرفين ، وكل موجود فله تعين ، فوجه الشبه مع المشبه متعين ، فيمتنع أن يكون هو بعينه موجودا مع المشبه به لامتناع حصول المحسوس المعين ههنا مع كونه بعينه هناك بحكم الضرورة ، وبحكم التنبيه على امتناعه ان شئت وهو استلزمه اذا عدمت حمرة الخد دون حمرة الورد أو بالعكس كون الحمرة معدومة موجودة معا ، وهكذا فى اخواتها ، بل يكون مثله مع المشبه به ، لكن المثلين لا يكونان شيئا واحدا ، ووجه الشبه بين الطرفين كما عرفت احد فيلزم أن يكون أمرا كليا مأخوذا من المثلين بتجريدهما عن التعين ، لكن ما هذا شأنه فهو عقلى ، ويمتنع أن يقال فالمراد بوجه الشبه حصول المثلين فى الطرفين ، فان المثلين متشابهان ، فمهما وجه تشبيه ،

= فالمركب اما حقيقة مركبة ، واما مركب تركيبا اعتباريا ، وبدأ بشطر لفظ المفتاح حيث قال : الوجه اما واحد او غير واحد والثانى اما ان يكون فى حكم الواحد لكونه اما حقيقة بالتثنية واما اوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة أو لا يكون فى حكم الواحد (١٤٣ من المفتاح) . وفيه نظر : لان المركب تركيبا حقيقيا — كالحقيقة المثنية من عدة أمور — من قبيل الواحد لا من قبيل المركب المنزل منزلة الواحد ، فالأولى كما سبق قصر المركب من متعدد : على المركب تركيبا اعتباريا .

٣ — المتعدد المراد به ان ينظر الى عدة امور ويقصد اشتراك الطرفين فى كل واحد منها ليكون كل منها وجه الشبه بخلاف المركب المنزل منزلة الواحد فانه لم يقصد اشتراك الطرفين فى كل من تلك الأمور بل فى الهيئة المنتزعة فى المركب الاعتبارى او فى الحقيقة المثنية منها فى المركب تركيبا حقيقيا .

٤ — الوجه المركب المنزل منزلة الواحد وان تأتى ان يكون بعض اجزائه حسيا والآخر عقليا ، الا انه لما كان وجه الشبه هو المجموع المركب وهو اما حسى فقط او عقلى فقط لم يلتفت الى تقسيمه لذلك .

(٨٥) راجع ١٤٣ من المفتاح .

فان كان عقليا كان المرجع فى وجه الشبه العقل فى المآل وان كان حسيا استلزم أن يكون مع المائين مثالان آخران . وكان الكلام فيهما كالكلام فيما سواهما ، ويلزم التسلسل هذا لفظه ويمكن أن يقال المراد بكونه حسيا أن تكون أفراده مدركة بالحس ، كالسواد ، فان أفراده مدركة بالبصر ، وان كان هو فى نفسه غير مدرك به ولا بغيره من الحواس .

أولا — وجه الشبه الواحد (٨٦) :

الواحد الحسى (٨٧) : كالحمرة ، والخفاء ، وطيب الرائحة ، ولذة الطعم ، ولين الملمس : فى تشبيه الخد بالورد ، والصوت الضعيف بالهمس ، والذكاء بالعنبر ، والريق بالخمر ، والجلد الناعم بالحرير ، كما سبق .

والواحد العقلى (٨٨) كالغناء عن الفائدة فى تشبيه وجود الشىء بعديم النفع بعدمه ، وجهة الادراك تشبيه العلم بالحياة ، فيما طرفاه معقولان ، والجراءة فى تشبيه الرجل الشجاع بالأسد ، ومطلق الاهتداء فى تشبيه أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ورضى عنهم بالنجوم (٨٩)،

---

(٨٦) الحاصل أن وجه الشبه اما واحد او مركب او متعدد ، وكل من الاولين اما حسى او عقلى والمتعدد اما حسى او عقلى او مختلف ، فتصير الأقسام سبعة .

والثلاثة العقلية طرفاها اما حسيان او عقليان او المشبه حسى والمشبه به عقلى او بالعكس . فصارت ستة عشر قسما .

ويلاحظ ان الخيالى اهمل فى هذا الباب لدخوله فى الحسى ، والوهمى والوجدانى اهملا لدخولهما فى العقلى .

(٨٧) راجع ١٤٣ من المفتاح .

(٨٨) راجع ١٤٣ مفتاح .

(٨٩) راجع ١٤٣ مفتاح ، ٥٩ اسرار البلاغة .

ملاحظة :

المراد بالواحد هنا ما ليس هيئة منتزعة من متعدد فيصدق على الواحد المطلق والمقيد .

فيما طرفاه محسوسان ، والهداية فى تشبيه العلم بالنور ، وتحصيله ما بين الزيادة والنقصان فى تشبيه العدل بالقسطاس ، فيما المشبه فيه معقول والمشبه به محسوس ، واستطابة النفس فى تشبيه العطر بخلق كريم ، وعدم الخفاء فى تشبيه النجوم بالسنن فيما المشبه فيه محسوس والمشبه به معقول .

قال الشيخ (٩٠) صاحب المفتاح : وفى أكثر هذه الأمثلة فى معنى وجدتها تسامح (٩١) .

ثانيا ــ وجه الشبه المركب :

والمركب الحسى طرفاه :

١ ــ اما مفردان كالهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص فى قول ذى الرمة (٩٢) .

وسقط كمين الديك عاودت صاحبى أباها وهيأنا لموقعها وكرا

وكالهيئة الحاصلة من تقارن الصور البيض المستديرة الصغار المقادير فى المرأى على كيفية مخصوصة الى مقدار مخصوص فى قولة احيحة بن الجلاح أو قيس بن الاسلت :

---

(٩٠) ١٤٣ مفتاح .

(٩١) لما فيها من ثنائية التركيب كالعراء عن الفائدة واستطابة النفس .

(٩٢) راجع البيت فى الأسرار ص ١٣٩ والمفتاح ص ١٤٣ .
السقط : النار التى تسقط من الزند : عاودتهم : تناوبت عنهم . وكانت عادتهم حين يريدون استخراج النار ان يأتوا بعودين فيضعوا احدهما اسفل ويسموه انثى ويفرضوا فيه ويجروا فيه عودا آخر يسمونه الاب ، اطال الزمن ولم تخرج النار تناوبه جماعتهم . الوكر : ما تودع فيه النار بعد .

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحيـــة حين نـــور!

(ب) واما مركبان (٩٤) كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار (٩٥) :

---

(٩٣) الملاحى : عنب ابيض فى حبه طول . نور : تفتح نوره .

والبيت نسبه فى الاسرار لقيس بن الخطيم (٧٥ اسرار البلاغة) ، وقيس بن الاسلب لعل صـــحتها « ابى قيس بن الاسلت » وفى المفضليات ص ١٣٥ قصـــيدة له والجاحظ يروى له ابياتا ويســـميه ايضا ابا قيس ابن الأسلت (٢٢ ج ٣ البيان) .

والكلام على البيت وتشـــبيهه تجـــده فى الأســـرار ص ١٤٥ و ١٦٩ وفى المفتـــاح ص ١٤٤ .

وقوله « على كيفية مخصـــوصة » اى بان لا تكون مجتمعة اجتماع التلامس ولا هى شديدة الافتراق ، وهذا يجعله عبد القـــاهر تفسيرا لـــ « مقـــدار مخصوص » اى مقـــدار فى القرب والبعد ، وجمـــع بينهما صاحب المفتـــاح . ويحتمل ان يراد بالكيفية الشكل المخصـــوص لان الشكل من الكيفيات وبالمقدار المخصوص ما اراده الشيخ من التقارب على ما ذكرنا .

(٩٤) معنى التركيب هنا فى الطرفين اذا كان وجه الشبه مركبا هو ان تقصـــد الى عدة اشياء مختلفـــة فتنزع منها هيئـــة وتجعلها مشبها او مشبها به .

فالمراد بالمركب هنا اى فى تقسيم الطرفين ما كان تركيبا اعتباريا فقط فهو هنا فى الطرفين اخص منه فيما ســـبق اى فى التركيب فى الوجه لان التركيب فى الوجه ما كان حقيقة ملتئمة وما كان هيئة .

ولهـــذا صرح السكاكى فى تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة ، وهى لا وجود لهـــا فى الخارج .

وكذا المراد بتركيب وجه الشـــبه ان تعمـــد الى عدة أوصاف لشىء فتنتزع منها هيئـــة .

وليس المراد بالتركيب فى الطـــرفين والوجه ما يكون حقيقة مركبـــة من أجـــزاء مختلفة كحقيقة زيد الحسية وهى ذاته فانها مركبة من أجـــزاء مختلفة وذلك بدليـــل انهم يجعلون المشبه والمشبه به فى قولنا زيـــد كالأســـد مفردين لا مركبين مع ان فى « زيد » حيوانية وناطقية وتشخصا وفى الاســـد حيوانية وافتراسا ويجعلون وجه الشبه فى قولنا زيد كعمرو فى الانسانية واحدا لا منزلا منزلة الواحد .

(٩٥) راجع الكلام على البيت فى : ١٤٤ و ١٥٠ من المفتاح ، ٦٥١ اسرار البلاغة ، ٢٣٩ صناعتين ، ٤١٣ و ٧٥ من الدلائل .

وشرح العسكرى للبيت يدل على انه عنده تشبيه متعدد بمتعدد .

كأن مثـــار النقـــع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه (٩٦)

وكالهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئة مســـتديرة صـــغار المقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صاف الزرقة فى قول أبى طالب الرقى :

وكأن اجـــرام النجـــوم لوامعا درر نثرن على بساط أزرق (٩٧)

---

(٩٦) مثار اسم مفعول من اثار الغبـــــار اذا هيجه والاضافة من اضافة الصفة للموصوف .

تهاوى فعل مضارع اصـــله تتهاوى ، وصيغة المضـــارع تدل على الاستمرار التجددى الذى يدل على كثرة الحركات والتساقط فى جهـــات كثيرة ، علوا وســـفلا ويمينا وشـــمالا ، والتداخل والتلاقى .

وجعل الفعل ماضيا يخل بتلك اللطائف ، وان كان صحيحا ايضا لان التهاوى يشعر بتعددها وسقوط بعضها اثر بعض ، فيؤخذ منها هيئة . وفى الاطول توجيه آخر لعدم جعل الفعل ماضيا هو ان قوله « ليـــل تهاوى كواكبه » يفيد وصف الليل بالخلو عن الكواكب بخلاف «ليل تتهاوى كواكبه» فانه يفيد وصفه بكونه ذا كواكب تسقط تدريجيا ، وهـــــذا هو المطابق لوجود الليل والمناسب للمشبه .

وشرح عبد القاهر التشبيه فى هـــذا البيت وسبب كونه مركبـــــا فى ص ١٧١ وما بعدها و ص ١٥٢ وما بعدها من الاسرار .

والواو فى واسيافنا بمعنى « مع » فاسيافنا لهـــذا فى حكم الصـــــلة للمصدر وهى مثار النقع ، فهى مفعول معه والعـــامل فيه « مثار » .

وسياتى شرح هـــذا التشبيه . وقوله فوق رؤوســـنا ، يروى فوق « رؤوسهم » وهو احسن من جهـــة المعنى .

هذا ولم يجعل « اسيافنا » منصوبا بكأن معطوفا على « مثـــار » لئلا يتوهم انهما تشبيهان مستقلان كل منهما تشبيه مفـــرد بمفرد ، وهذا لا يصح الحمل عليه لانه متى امكن الحمـــل على المركب فلا يعدل الى حمل التشبيه على المفرد لانه يفوت معه الدقة التركيبية المرعية فى الوجه ولأن قوله « تهاوى » صفة فهو تابع لليل فتكون الكواكب مذكورة على ســـبيل التبع غير مستقلة فى التشبيه باعتبار الصناعة قطعا فيكون مقابلها الذى يتوهم كونه مشبها به تبعا لغيره ايضا .

(٩٧) راجع البيت فى اسرار البلاغة ص ١٣٧ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٦٩ ، وفى المفتـــاح ص ١٤٤ .

(ج) واما مختلفان (٩٨) : كما فى تشبيه الشاه الجبلى بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا ، وكما مر فى تشبيه الشقيق والنيلوفر .

التشبيه المركب الحسى الواقع فى هيئة الحركات (٩٩) :

ومن بديع هذا النوع — أعنى المركب الحسى — ما يجىء (١٠٠) فى الهيات التى تقع عليها الحركة .

ويكون على وجهين (١٠١) :

---

(٩٨) راجع ١٤٣ من المفتاح .

(٩٩) راجع ١٥٧ وما بعدها من الاسرار .

(١٠٠) اى وجه الشبه الذى يجىء ويتحقق فى الهيئآت التى توجد وتقع عليها اى معها الحركات : اى يكون وجه الشبه الهيئة التى تقع عليها الحركة من استدارة الحركة واستقابتها وغير ذلك من هيئآت الحركة اى هيئة الجسم التى توجد معها مركبة من وجود الجزء مع الكل لان الحركة جزء من الهيئة فى الوجه الاول وهو ظاهر ، وكذلك فى الوجه الثانى ايضا لان الهيئة فيه منتزعة من حركات فقط ، فيراد بالهيئة مطلق الحركات وبالحركة التى هى جزء منها الحركة المخصوصة ويصح جعل على بمعنى من اى التى توجد منها الحركة ويكون فى الكلام قلب اى التى توجد بين الحركة فيكون التقدير من بديع المركب الحسى وجه الشبه الذى هو هيئة منتزعة من حركات فقط او من حركات وغيرها من اوصاف الجسم ويعتبر فى الهيئة التى تقع عليها الحركة التركيب بأن تكون منتزعة من الحركة واوصاف الجسم فى الاول او من حركات مختلفة فى الوجه الثانى .

(١٠١) لتفصيل الكلام فى هذا البحث نقول :
التشبيه المركب الحسى الذى يجىء فى الهيآت التى تقع عليها الحركة قسمان :
لان الهيئة المقصودة فى التشبيه اما ان تقترن بغيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ونحوهما ، واما ان تجرد هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم حتى لا يراد سواها .
١ — فالقسم الاول وهو ما اقترنت فيه هيئة الحركة المقصودة فى التشبيه بغيرها من اوصاف الجسم كقول الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الأشل

صور لك الشاعر الحركة التى تراها للشمس عند انعام التامل واثر هـذه الحركة فى نور الشمس مع الشكل الذى هو الاستدارة واللون الذى هو الاشراق والتلألؤ على الجملة .

بيان ذلك ان للشمس حركة دائمة سريعة ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب حتى يرى الشعاع كانه يهم بالانبساط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبدو وله فيرجع من الانبساط الذى بدا له الى الانقباض كانه يجتمع مع الجوانب الى الوسط ، وتشبه هيئة الشمس هذه بهيئة المرآة فى كف الاشل اذ لا يتحصل هذا الشبه الا بأن تكون المرآة فى يد الاشل لان حركته تدور وتتصل ويكون فيها سرعة وقلق شديد ، حتى نرى المرآة لا تقر فى العين ، وبدوام الحركة وشدة القلق فيها يتموج نور المرآة ويقع الاضطراب والقلق ، وتلك حال الشمس بعينها عند انعام النظر والتامل فى الحركة العجيبة فى جرمها وضوئها .

ومما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول الشاعر :

كأن فى غدرانها حواجبا ظلت تمط

اراد أن يصور ما يبدو فى صفحة الماء من اشكال كانصاف الدوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها وتقوسها حتى يثقلها من التقوس الى ما يقرب من الاستواء فالتمس لهذه الصورة صورة حسية يشبهها فوجدها فى الحواجب اذا امتدت لان للحاجب كما لا يخفى تقويسا ومده ينقص من تقويسه .

٢ — **والقسم الثانى :** هو ما جردت فيه هيئة الحركة عن غيرها من كل وصف غيرها للجسم فيقع فيها نوع من التركيب بأن يكون للجسم حركات فى جهات مختلفة ، فهناك لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل وبعضه الى قدام والآخر الى الوراء ونحو ذلك وكلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك ابعاض الجسم اليها اشد كان التركيب فى هيئة المتحرك اكثر .

فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لان الجهة واحدة فاتحدت الحركة .

وحركة المصحف فى قول ابن المعتز :

وكأن البرق مصحف قــار فانطبــاقا مرة وانفتــاحا

فيها تركيب لانه يتحرك فى احدى الحالتين الى جهة غير التى يتحرك اليها فى الحــالة الاخرى .

الخلاصـــــة :

١ — المراد من التشبيه المركب الواقع فى هيئة الحركات تشبيه هيئة حركة بهيئة حركة اخرى او بعبارة اخرى تشبيه احدى هيئتين كلتاهما من هيــآت الحــركة بالاخرى .

٢ — التشبيه المركب الواقع فى هيئة الحركات قسمان :

(أ) احدهما : ما يقرن بالحركة او غيرها من اوصاف الجسم كالشكل واللون او الشكل فقط .

(ب) والثانى : ما جردت هيئة الحركة عن كل وصف غيرها للجسم . مع كون هــذه الحركة الواحدة حركات مختلفة ، باعتبار اختلاف الجهات التى تتحرك ابعاض الجسم اليها .

موازنات :

١ — قال الشاعر :

والشمس كالمرآة فى كف الاشــل

فى هــذا التشبيه المركب الحسى الواقع فى هيئة الحركات تشبيه هيئة حركة الشعاع واضطرابه الحادث من تلك الحركة بهيئة حركة المرآة فى كف الاشــل اى على الخصوص الذى يوجبه ارتعاش اليد ، واقترنت هذه الهيئة المقصــودة فى التشبيه بغيرها من اوصاف الجسم وهو الشــكل واللــون .

ومثل هــذا التشبيه وان صور فى غير المرآة قول الشاعر :

الشمس من مشرقها قد بدت مشرقة ليس لهــا حاجب
كأنهــا بوتقــــة احميت يجــول فيهــا ذهب ذائب

فان البوتقــة اذا احميت طويلا وذاب فيهــا الذهب اخذ يتشــكل بشكلها فى الاستدارة ويتحرك فيها بجملته تلك الحــركة العجيبة كأنه يهم

بالانبساط حتى يفيض من جوانبها لما فى طبعه من النعومة ثم يبدو له فيرجع الى الانقباض لما بين أجزائه من شدة الاتصال والتلاحم ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى الماء ونحوه .

فقد شبه الشاعر صورة الشمس وهى تبزغ مشرقة من مطلعها دون ان يحجبها عنا غمام او ضباب بصورة البوتقة المحمية وهى يضطرب فيها ذهب ذائب .

فصور لك هيئة الشمس وحركة شعاعها بهيئة البوتقة وحركة ما فيها من ذهب ذائب وقرن هذه الهيئة بالشكل واللون .

٢ — وقال الشاعر :

كأن فى غدرانها حواجبا ظلت تمط

شبه الشاعر حركة صفحة الماء بحركة الحواجب اذا ظلت تمط ، وجمع فى التشبيه بين الشكل وهيئة الحركة .

ومن لطيف ما جمع فيه بين الشكل وهيئة الحركة قول ابن المعتز يصف وقوع القطر على الأرض :

بكرت تعير الأرض ثوب شباب رحيبة محمودة الاسكاب
نثرت أوائلها حيا فكأنه نقط على عجل ببطن كتاب

٣ — وقال الشاعر :

وكأن البرق مصحف قار فانطباق مرة وانفتاحا

شبه الشاعر هيئة حركة البرق فى ظهوره وخفائه بهيئة حركة المصحف يفتحه القارىء مرة ويطبقه اخرى ، ولم تقترن هيئة الحركة هنا بسواها من أوصاف الجسم من شكل أو لون .

وقال الأعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها وعقد التشبيه على تجريد هيئة الحركة .

ولطف تشبيهه وعرف لما فيه من التفصيل والتركيب قال :

تقص السفين بجانبيه كما ينزو الرباح خلاله كرع

تقص : تثب . ينزو يثب ايضا : الرباح : الفصيل ، وقيل الفرد : الكرع ماء السماء .

. . . . . .

شبه الشاعر السفينة فى انحدارها . وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه فى الماء وقد خلاله فاته يكون له فى سنه فى هذه الحالة حركات متفاوتة تصير لها اعضاؤها فى جهات مختلفة ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب وبحيث تكاد تدخل احدى الحركتين فى الاخرى فلا يثبته الطرف مرتفعا حتى يراه منسفلا ويهوى مرة نحو الراس واخرى نحو الذنب وذلك اشبه شيء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الامواج .

وقال الشاعر : يصف الفصيل وهو يثب على الناقة ويعلوها ويلقى نفسه عليها لانها قد بركت فلا يتمكن من ان يرتضع فهو يفعل ذلك لتثور الناقة .

يقتاعها كل فصيل مكرم كالحبشى يرتقى فى السلم

يقتاعها : اراد ان يعلوها ويثب عليها .

شبه الشاعر الفيصل وهو يثب على الناقة بالحبشى وهو يصعد فى السلم ، وشبه بالحبشى فى هذه الحالة المخصوصة لما يكون له عند ارتفاعه فى السلم من تصعد بعض اجزائه وتسفل بعض على اضطراب مفرط وحمق شديد .

وهذا كحركات الفصيل فى الماء وقد خلاله كرع فى انه اختلاف فى جهات ابعاض الجسم على غير نظام مضبوط .

وقد يقع التشبيه المركب الحسى فى هيئة السكون ايضا بان تشبه احدى هيئتى جسم ساكن فى سكونه تركيب بالاخرى .

وذلك انه كما تعتبر هيئة الحركة فى التشبيه (بتنزيل هيئات اجزاء الجسم المختلفة منزلة تعدد الاجزاء فى التشبيه المركب) فكذلك تعتبر هيئة السكون على الجملة وبحسب اختلافه ، نحو هيئة المضطجع او الجالس ونحو ذلك فاذا وقع فى شيء من هيئات الجسم فى سكونه تركيب وتفصيل لطف التشبيه وحسن ، كقول ابن المعتز يصف سيلا :

عليا طغا ماؤه فى البلاد وغص به كل واد صدى
ترى الثور فى متنه طافيا كضجعة ذى الناج فى المرقد

وقول المتنبى فى صفة الكلب : يقعى جلوس البدوى المصطلى .

• • • • • • • • • • • • • • • •

شبه ابن المعتز هيئة سكون أعضاء الثور الطاق على متن السيل بضجعة ذى النتاج فى مرقد .

وشبه المتنبى هيئة سكون أعضاء الكلب ومواقعها فيها ؛ اى فى تلك الهيئة ؛ بهيئة البدوى المصطلى ؛ ونال التشبيه حظه من الحسن والروعة بما فيه من تفصيل من حيث كان لكل عضو من أعضاء الكلب فى اتعانه موقع خاص وكان مجموع تلك الجهات فى حكم اشكال مختلفة تؤلف فتجىء منها صورة خامسة .

موازنات :

قال الشاعر يصف مصلوبا :

كانه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع الى توديع مرتحل
او قائم من نعاس فيه لوثته ... مواصل لتمطيه من الكسل

وقال الآخر فى هذا المعنى :

لم ار صفا مثل صف الزط ... تسعين منهم صلبوا فى الخط
من كل عال جذعه بالشط ... كانه فى جذعه المشتط
اخو نعاس جد فى التمطى ... قد خامر النوم ولم يغط

بهيئة قائم من نعاس يتمطى ويواصل تمطيه .

الشاعر الاول يشبه فى البيت الثانى هيئة سكون أعضاء المصلوب وأجاد الشاعر ولطف لكثرة ما فى بيته من تفصيل جعلت تشبيهه غريبا مبدعا فأصل التشبيه كانه متمط من نعاس ؛ وهذا تشبيه بقرب أن يكون عاميا قريبا من المتناول ، لانه يقع فى نفس الذى يرى المصلوب ويخطر بباله بدون عسر ومشقة لكونه (اى الشبه) من حد الجملة .

الا ان الشاعر تصرف فى هذا التشبيه تصرفا جعله خاصيا غريبا ، بما فصل وأمعن فى التفصيل حتى اصبح التشبيه بهذا التفصيل بعيد الفكرة غريب المنزع لا يحضر الا مع قوة تأمل الفكر وذلك لانه نظر الى المصلوب نظرة ثاقبة فراى استمرار سكون أعضائه فطلب لذلك نظيرا فى المتمطى فعثر عليه فى مواصلة القائم من النعاس لتمطيه فقال مواصل ثم طلب علة ذلك وهى قيام اللوثة والكسل فى القائم من النعاس فأثبتها .

أحدهما (١٠٢)أن يقرن بالحركة غيرها من أوصاف الجسم كالشكل واللون ، كما فى قوله (١٠٣) :

اما الشاعر الثانى فقد شبه ايضا هيئة سكون أعضاء المصلوب بهيئة اخى نعاس خابر النوم ولم يغط .

فاصل هذا التشبيه ان يقول كأنه متمط فى اوائل نومه الا انه زاد فى هذا التشبيه القريب قيدا فيه تفصيل وهو قوله « جد » فهل هذا القيد يبلغ مبلغ التفصيل فى البيت السابق ؟

الجواب لا ، فان فى اشتراط المواصلة فى البيت السابق من الفائدة ما لا يخفى وذلك لانه يجوز أن يبالغ ويجتهد فى تمطيه ثم يدع ذلك فى الوقت ويعود الى الحالة التى كان عليها فى السلامة مما يدعو الى التمدد فكان المستفاد من قول الشاعر الثانى صورة التمطى وهيئته الخاصة وزيادة معنى وهو بلوغ الصفة غاية ما يمكن ان يكون عليها ، وهذا كله مستفاد من قول الشاعر الاول الذى لم يقف عند هذا الحد بل زاد زيادة اخرى هى اخص ما يخرج من صفة المصلوب وهى الاستمرار على الهيئة والاستدامة لها ، وقول الشاعر الثانى : خابر النوم ولم يغط . ومحاولته أن يرينا هذه الزيادة — من حيث يقال انه اذا اخذه النعاس فتمطى ثم خابر النوم فان الهيئة الحاصلة له من جده فى التمطى تبقى له — فليس ببالغ مبلغ قوله مواصل لتمطيه وتقييده من بعد بأنه من الكسل واحتياطه قبل يقوله فيه لوثته .

وشبيه بالبيت الاول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى صفة المصلوب ايضا :

كان له فى الجو حبلا يبوعه
اذا ما انقضى حبل اتبح له حبل

فاشتراطه أن يكون بعد الحبل الذى ينتهى ذرعه حبل آخر يخرج من بوع وقياس الاول اليه كقوله « مواصل لتمطيه من الكسل » فى استيفاء الشبه والتشبيه على استدامته لانه اذا كان لا يزال يقيس حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده وفى ذلك بقاء شبه المصلوب على الاتصال .

(١٠٢) ١٥٧ من الأسرار .

(١٠٣) ابن المعتز . وينسب لأبى النجم ايضا . وهو فى المفتاح ايضا ص ١٤٣ .

والشمس كالمرآة فى كف الأشـــل
لمـــا رأيتهـــا بدت فوق الجبـــل

من الهيئة الحاصلة من الاستدارة مع الاشراق والحركة السريعة المتصـــلة ، وما يحصـــل من الاشراق بســـبب تلك الحركة من التموج والاضطراب حتى يرى الشـــعاع كأنه يهم بأن ينبسـط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يبـــدو له فيرجع من الانبســـاط الذى بداله الى الانقباض كأنه يجتمع من الجوانب الى الوسط ، فان الشمس اذا أحد الانسان النظر اليها ليتبين جرمها وجدها مؤدية لهذه الهيئـــة ، وكذا المرآة اذا كانت فى يد الأشل .

ومنه قول المهلبى الوزير (١٠٤) :

والشمس من مشـــرقها قد بـــدت
مشرقـــة ليس لهـــــا حاجـــب
كأنهـــا بوتقة أحميت يجول فيها ذهب ذائب (١٠٥)

فان البوتقة اذا أحميت وذاب فيهـــا الذهب تشكل بشـــكلها فى الاستدارة ، وأخذ يتحرك فيها بجملته تلك الحركة المجيبة ، كأنه يهم بأن ينبسـط حتى يفيض من جوانبها لمـــا فى طبعه من النعومة ، ثم يبدوله فيرجع الى الانقباض ، لمـــا بين أجزائه من شـــدة الاتصـــال والتلاحم ، ولذلك لا يقع فيه غليان على الصفة التى تكون فى المـــاء ونحوه مما يتخلله الهواء وكما فى قول الصنوبرى (١٠٦) :

---

(١٠٤) ١٥٧ و ١٥٨ اسرار ، و ١٤٤ مفتاح ، و ٣٢٧ مطول .

(١٠٥) الحاجب : المـــانع من الاشراق . البوتقة : ما يذيب فيهـــا الصائغ الذهب والفضة .

(١٠٦) ١٥٨ اسرار البلاغة .

تبط : تمـــد على البنـــاء للمفعول .

يصف ارضـــا بالطيب وان غدرانها تهب عليها الرياح فيبـــدو على صفحاتها اشكال كأنها حواجب لهـــا تقوس وامتداد .

كأن فى غدرانهـــــا حواجبـــا ظـلت تمـط

أراد ما يبدو فى صفحة المـاء من اشكال المـاء كأنصاف دوائر صغار ثم تمتد امتدادا ينقص من انحنائها فينقلهـا من التقوس الى الاستواء وذلك أشبه شىء بالحواجب اذا امتدت لأن للحاجب كمـا لا يخفى تقويسا ، ومده ينقص من تقويسه .

والوجه الثانى (١٠٧) : ان تجرد هيئة الحركة عن كل وصف للجسم غيرها فهناك أيضا لابد من اختلاط حركات كثيرة للجسم الى جهات مختلفة له كأن يتحرك بعضه الى اليمين وبعضه الى الشمال وبعضه الى العلو وبعضه الى السفل ، فحركة الرحا والدولاب والسهم لا تركيب فيها لاتحاد (١٠٨) الحركة ، وحركة المصحف فى قول ابن المعتز (١٠٩) :

وكأن البـق مصـحف قـــار فانطباقـا مـــرة وانفتـاحا

فيها تركيب لأنه يتحرك فى الحالتين الى جهتين فى كل حالة الى جهة . وكلما كمان التفاوت فى الجهات التى تتحرك ابعاض الجسم اليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك أكثر . ومن لطيف ذلك قول الاعشى يصف السفينة فى البحر وتقاذف الأمواج بها (١١٠) :

---

(١٠٧) ١٥٩ أسرار .

(١٠٨) هـــذا اذا لم يلاحظ معها وصف الجســم من الاستقامة والاستدارة وانتزاع الهيئة من المجموع والا كان وجه الشبه مركبا .

(١٠٩) راجعه فى ١٣١ و ١٣٦ و ١٥٩ أسرار .

قار : مخفف قارىء . وانفتاحا اى وانفتاحا مرة اخرى .

فوجه الشبه هو الهيئة الحاصلة من تقارن هذه الحركات المختلفـة بحسب الجهات مع تكررها ، وهذه الهيئة حسية فى المصحف وخيالية فى البرق . ثم ان الانطباق والانفتـاح للسحاب الذى يخـرج منه البرق لانه ينفتح فيخرج منه البرق ثم ينطبق فيلتئم آخرا ، وأما البرق فلا انفتاح فيـه ولا انطباق ، ويمكن ان يقال ان المراد بانفتاحه ظهوره من خلال السحاب منتشرا ضوؤه وانطباقه بانضمام اجزائه .

(١١٠) راجع ١٥٩ من الأسرار .

تقص الســـــفين بجانبيـــه كما ينزو الرباح خـــــلاله كـــرع

قال الشيخ عبد القاهر (١١١) : الرباح الفصـــيل . والكرع : ماء السماء شبه السفينة فى انحدارها وارتفاعها بحركات الفصيل فى نزوه ، فانه يكون له حينئذ حركات متفاوتة تصير لها أعضاؤه فى جهات مختلفة ، ويكون هناك تسفل وتصعد على غير ترتيب ، وبحيث يدخل أحدهما فى الآخر ، فلا يتبينه الطرف مرتفعا حتى يراه متسفلا ، وذلك أشـــبه شىء بحال السفينة وهيئة حركاتها حين تتدافعها الأمواج ومنه قول آخر (١١٢) :

حفت بسر وكالقيـــــان ولحقت خضر الحرير على قوام معتـــدل

فكأنها والريـــح جـــاء يميلهـــا تبغى التعانق ثم يمنعها الخجل(١١٣)

فان فيه تفصيلا دقيقا ، وذلك أنه راعى الحركتين حركة التهيؤ للدلو والعناق ، وحركة الرجوع الى أصل الافتراق ، وأدى ما يكون فى الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لأن حركة الشجرة المعتدلة فى حال رجوعها الى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال ، وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهم بالدنو لأن ازعاج الخـــوف أقوى أبدا من ازعاج الرجاء .. ومما مذهبه السهل الممتنع من هـــذا الضرب قول امرىء القيس .

---

(١١١) ١٥٩ — ١٦٠ من الأسرار .
تقص : تثب جانبيه : اى جانبى الموج أو الشاطىء .
(١١٢) هما لابن المعتز ويوجدان فى ٨٢ من الأسرار وينسبان للأخيطل الاهوازى .
(١١٣) الضمير فى (حفت) للرياض . القيان : الجوارى وهن يشبهن فى قدودهن بالسرو وقـــد يشبه السرو بهن فيجعل الفرع أصـــلا كما هنا ، لحفت خضر الحرير اى اتخذت ذلك لحافا .

مكر مفـر مقبـل مدبر معـا
كجلمود صخر حطه السيل من عل (١١٤)

يقول ان هـذا الفرس لفرط ما فيـه من لين الرأس وسرعة الانحراف ، ترى كفله فى الحال التى ترى فيها لببه ، فهو كجلمود صخر دفعه السيل من مكان عال ، فان الحجر بطبعه يطلب جهة السـفل ، لأنها مركزه ، فكيف اذا أعانته قوة دفع السـيل من عل ، فهو لسرعة تقلبه يرى أحد رجليه حين يرى الآخر .

التركيب فى هيئة السكون (١١٥) :

وكما يقع التركيب فى هيئة الحركة قد يقع فى هيئة السكون (١١٦) فمن لطيف ذلك قول أبى الطيب فى صفة الكلب (١١٧) :

يقعى جلوس البـدوى المصطلى بأربع مجـدولة لم تجـدل

انما لطف من حيث كان لكل عضو من الكلب فى اقعائه موقع (١١٨) خاص وللمجموع (١١٩) صورة مؤلفة من تلك المواقع ومنه البيت الثانى

---

(١١٤) البيت فى الكتـاب لسيبويه ص ٣٠٩ ج ١ — مكر : مقبل . مفر : مدبر .

(١١٥) راجع ١٦٢ من الأسرار .

(١١٦) اى قـد يتحقق فيها من تحقق الكلى فى جزئيه .

(١١٧) راجعه فى الأسرار ص ١٦٢ .

يقعى : اى يجلس على اليتيه . المصطلى من اصطلى بالنار . وأربع هى يديه ورجليه . مجدولة : اى محكمة الخلق . لم تجدل اى لم تجـع كما يكون فى غير صورة الاقعاء من جدل الشعر .

والغرض من التشبيه مدح الكلب بشدة الحراسة لان جلوسة على هـذه الحال فى الغالب يكون وقت الحراسة .

(١١٨) اى وقوع وسـكون .

(١١٩) اى مجمـوع أعضـائه .

من قول الآخر فى صفة مصلوب (١٣٠) .

وكأنه عاشـــق قد مـــد صـــفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل
أو قائم من نعـــاس فيه لوثتـــه مواصل لتمطيه من الكسل (١٣١)

والتفصيل فيه أنه شبهه بالمتمطى اذا واصل تمطيه ، مع التعرض لسببه وهو اللوثة والكســـل فيه ، فنظر الى هـــذه الجهات الثلاث ، ولو اقتصر على أنه كالمتمطى كان قريب التناول ، لأن هذا القدر يقع فى نفس الرائى للمصلوب ابتداء ، لأنه من باب الجملة .

وشبيه بهذا القول قول الآخر (١٣٢) :

لم أر صـــــفا مثل صـــف الزط تسعين منهم صـــلبوا فى خـــط
من كل عـــال جـــذعه بالشـــط كأنـــه فى جـــذعه المشـــتط
أخـــو نعـــاس جـــد فى التمطى قـــد خامر النـــوم ولم يغـــط

والفرق بين هذا والأول : أن الأول صريح فى الاســـتمرار على الهيئة والاستدامة لها ، دون بلوغ الصفة غاية ما يمكن أن يكون عليها ، والثانى بالعكس ، قال الشيخ عبد القاهر : وشبيه بالأول فى الاستقصاء قول ابن الرومى فى المصلوب (١٣٣) أيضا :

---

(١٣٠) هو للأخيطل الشاعر (٤٥ جـ ٢ من كامل المبرد ، ٤٣٢ معجم الشـــــعراء) .

(١٣١) البيتان فى الأسرار ص ١٦٣ الصفحة : باطن الكف . اللوثة : الاسترخاء .

(١٣٢) هو دعبل فى صفة مصلوب (٤٥ جـ ٢ من الكامل للمبرد) .
الزط : طائفة من الهند صلب منهم هـــذا العدد فى خط مؤلف من اشجار عاليـــة الجذوع ، وقيل الخط موضع باليمامة . الضمير فى كأنه لكل واحد من المصلوبين المشتط : الخارج عن الحد فى طوله . خامر : خالط . الغطيط صـــوت الـــنائم فى نومه . وراجـــع الأبيات فى ١٦٣ و ١٦٤ من اسرار البـــلاغة .

(١٣٣) راجع ١٦٤ الاسرار .

كأن له فى الجـــو حبـــلا يبوعه اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل

فقوله اذا ما انقضى حبل أتيح له حبل كقوله « مواصـــل لتمطيه من الكسل » فى التنبيه على استدامة الشبه ، لأنه اذا كان لا يزال يبوع حبلا لم يقبض باعه ولم يرسل يده ، وفى ذلك بقاء شبه المسلوب على الاتصـــال .

والمركب العقلى (١٢٤) : كالمنظر المطمع مع المخبر المؤيس الذى هو على عكس ما قـــدر ، فى قوله تعالى « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شـــيئا ووجد الله عنده ، فوفاه حســـابه » شـــبه ما يعمله من لا يقرن الايمان المعتبر بالأعمال التى يحسبها تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم يخيب فى العاقبة أمله ، ويلقى خلاف ما قدر ، بسراب يراه الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيامة ، فيحسبه ماء ، فيأتيه ، فلا يجد ما رجاه ، ويجد زبانية الله عنده فيأخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق ، فهو كما ترى منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض وذلك أنه روعى من الكافر فعل مخصوص وهو حسبان الأعمال نافعة له ، وأن تكون للأعمال صورة مخصوصة وهى صورة الأعمال الصالحة

يبوعه : يقيسه بالباع . اتيح : هيىء .

ملاحظـــة :

هيئة الســـكون على وجهين ايضـــا : ان تنتزع الهيئة التركيبية من السكون وحده مجردا من اوصاف الجسم فلا بد من تعدد افراد السكون ، وان يعتبر فى تلك الهيئة مع السكون غيره ولا يشترط فى هـــذا تعدد افراد السكون ، وقد مثل المصنف للأول ومثال الثانى :

كأنه عاشق قد مد صفحته يوم الوداع الى توديع مرتحل

(١٢٤) أى من وجه الشبه وراجع ذلك فى ١٤٤ من المفتاح ، ٨١ و ٨٢ من الأسرار .

التى وعد الله تعالى بالثواب عليها بشرط الايمان به وبرسـله عليهم السلام ، وأنها لا تفيدهم فى العاقبة شيئا ، وأنهم يلقون فيها عكس ما أملوه وهو العذاب الأليم ، وكذا فى جانب المشـبه به ، وكحرمان الانتفاع بأبلغ نافع مع تحمل التعب فى استصحابه كما فى قوله تعالى « مثـل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثـل الحمـار يحمل أسفارا » ، فانه أيضا منتزع من أمور مجموعة قرن بعضها الى بعض ، وذلك أنه روعى من الحمار فعل مخصـوص وهو الحمل ، وأن يكون المحمول شيئا مخصوصا وهى الأسفار التى هى أوعية العلوم ، وان الحمار جاهل بما فيها ، وكذا فى جانب المشبه .

واعلم (١٣٦) أنه قد تقع بعد أداة التشبيه أمور يظن أن المقصود أمر منتزع من بعضـها فيقع الخطـأ لكونه أمر منتزعا من جميعهـا كقوله (١٣٧) :

---

(١٢٥) راجع ص ٨١ من الأسرار .
اى كهيئة حرمان اى كالهيئة الحاصلة من حرمان .. الخ . وراجع الكلام على الآية « أو كصيب من السماء .. الخ » فى الأسرار ص ٢١٦ . هـذا و « مثل الذين حملوا .. الخ » الطرفان فيها مركبـان عقليان وكذلك الوجه .
وقـد أخذ حرمان الانتفاع الذى اشترك الطرفان فيه من الجهل المعتبر فيهما ، وأخذ كون ما حرم الانتفـاع به بأبلغ نافع من كون المحمول فيهما أوعية العـلوم التى هى أولى ما ينتفع به ، وأخـذ تحمـل التعب فى الاستصحاب من اعتبار حملهم الأمر الغير الخفيف فيهما .

(١٢٦) راجع ٨٨ من الأسرار و ١٤٩ من المفتاح .

(١٢٧) هو لكثير (راجع ٢/٧١ زهر الآداب ، ٢/١٦٦ الزهر أيضا ، ٧٤ دلائل الاعجاز) .
وقبـله :
وانى وتهيامى بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
كما ابرقت الخ . تجلت : انكشفت . اقشعت : تفرقت . =

كما أبرقت قوما عطاشـــا غمـــامة فلما رأوها أقشـــعت وتجلت

فانه ربما يظن أن الشطر الأول منه تشبيه مستقل بنفسه لا حاجة به الى الثانى ، على أن المقصود به ظهور أمر مطمع لمن هو شـــديد الحاجة اليه ، ولكن بالتأمل يظهر أن مغزى الشـــاعر فى التشـــبيه أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس ، وذلك يتوقف على البيت كله .

فان قيل (١٢٨) هذا يقتضى أن يكون بعض التشـــبيهات المجتمعة كقولنا زيد يصفو ويكدر تشبيها واحدا ، لأن الاقتصـــار على أحـــد الجزءين يبطل الغرض من الكلام ، لأن الغرض منه وصف المخبر عنه بأنه يجمع بين الصفتين وأن احداهما لا تدوم ، قلنا : الفرق بينهما أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمعا متصلا بانتهاء مؤيس كما مر ، وكون الشىء ابتداء لآخر زائد على الجمع بينهما ، وليس فى قولنـــا « يصفو ويكدر » أكثر من الجمع بين الصفتين ، ونظير البيت قولنـــا يصفو ثم يكدر لافادة ثم الترتيب المقتضى ربط أحد الوصفين بالآخر .

وقد ظهر (١٢٩) مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكرنا بأمرين : أحدهما أنه لا يجب فيهـــا ترتيب ، الثانى أنه اذا حذف بعضها لا يتغير حال الباقى فى افادة ما كان يفيده قبل الحذف ، فاذا قلنا زيد كالأسد بأسا والسيف مضاء والبحر جـــودا لا يجب أن يكون لهذه التشبيهات نسق مخصوص بل لو قدم التشبيه

= والكاف للتشبيه وما مصدرية وأبرق اى ظهر ، اى حالى مع ليلى كحال ظهور غمامة لقوم عطاش الخ . فانتزاع وجه الشـــبه من مجـــرد قـــوله « كما ابرقت قوما عطاشا غمامة » فقط خطأ لوجوب انتزاعه من جميـــع البيت .

(١٢٨) ٨٩ من الأسرار .

(١٢٩) راجع ٨٩ وما بعدها من الأسرار .

بالبحر أو التشبيه بالسيف جاز ، ولو أسقط واحد من الثلاثة لم يتغير حال غيره فى افادة معناه (١٣٠) •

ثالثا ــ التشبيه المتعدد :

والمتعدد الحسى (١٣١) كاللون والطعم والرائحة فى تشبيه فاكهة باخرى ، والمتعدد العقلى كحدة النظر وكمال الحذر واخفاء السفاد فى تشبيه طائر بالغراب •

والمتعدد المختلف كحسن الطلعة ونباهة الشأن فى تشبيه انسان بالشمس •

واعلم (١٣٢) أن الطريق فى اكتساب وجه الشبه أن يميز عما عداه ، فاذا أردت أن تشبه جسما بجسم فى هيئة حركة وجب أن تطلب الوفاق بين الهيئة مجردتين عن الجسم وسائر أوصافه من اللون وغيره كما فعل ابن المعتز فى تشبيه البرق (١٣٣) فانه لم ينظر الى شىء من أوصافه سوى الهيئة التى تجدها العين من انبساط يعقبه انقباض •

أداة التشبيه (١٣٤) :

وأما أداته : فكاف فى نحو قولك « زيد كالأسد (١٣٥) » وكأن فى

---

(١٣٠) فالفرق بينهما أن المركب لا يجوز فيه حذف بعض ما اعتبره والا اختل المعنى ، ولا تقديم بعض ما اعتبر على بعض بخلاف الثانى .

(١٣١) اى من وجه الشبه ــ وراجع ذلك فى المفتاح ص ١٤٤ .

(١٣٢) راجع ١٣٢ من الاسرار .

(١٣٣) راجع ١٢٢ من الاسرار ــ وذلك فى بيته :

وكان البرق مصحف قار فاتطباقا مرة وانفتاحا

(١٣٤) اى آلته اسما او فعلا او حرفا .

(١٣٥) وتلزم الكاف كلمة ما اذا دخلت الكاف على ان المفتوحة فيقال هو مجد كما ان خالدا مجد ، لئلا تلتبس بكلمة كان التى هى من أخوات ان .

نحو قولك زيد كأنه أسد (١٣٦) ، ومثل فى نحو قولك « زيد مثل الأسد » وما فى معنى مثل كلفظة نحو وما يشتق من لفظة مثل وشبه ونحوهما (١٣٧) والأصل فى الكاف ونحوها (١٣٨) أن يليها المشبه به ، وقد يليها مفرد لا يتأتى التشبيه به وذلك اذا كان المشبه به مركبا (١٣٩) كقوله تعالى « واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فاصبح هشيما تذروه الرياح » اذ ليس المراد تشبيه حال الدنيا بالماء (١٤٠) ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ، بل المراد تشبيه حالها فى نضارتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال

---

(١٣٦) هى بسيطة وقيل مركبة والأقرب الأول لجمود الحرف مع وقوعها فيما لا يصح فيه التأويل بالمصدر المناسب لأن المفتوحة وان كان الثانى اشبه بحسب ما يظهر من صورة كأن .

وقد تستعمل كان عند الظن بثبوت الخبر من غير قصد الى التشبيه سواء كان الخبر جامدا او مشتقا نحو كأن زيدا أخوك وكأنه قائم . اما استعمالها للتشبيه فمقيد بما اذا كان خبرها جامدا على هذا القول .

(١٣٧) كالمماثلة والمشابهة والمضاهاة والمحاكاة ، فالمشتق منها يفيد التشبيه . قال اليعقوبى :

المتبادر أن هذه المشتقات انما تفيد الاخبار بمعناها فزيد يشبه الأسد اخبار بالمشابهة مثل زيد يقوم اخبار بالقيام وليس هنا اداة داخلة على المشبه به ، ومثل هذا يلزم فى لفظ مثل فعدها من الأداة لا يخلو من تسامح .

(١٣٨) كلفظ نحو ومثل وشبه ، اى من كل ما يدخل على المفرد بخلاف ما يدخل على الجملة مثل كأن او يكون جملة بنفسه مثل يشابه ويضاهى ويماثل : فان هذه لا يليها المشبه به بل المشبه ففى زيد يماثل عمرا الضمير المستتر الوالى للفعل هو المشبه وعمرا هو المشبه به المتأخر .

(١٣٩) ٨٧ وما بعدها اسرار ، ١٥٠ مفتاح ، ٢١٥ اسرار أيضا .

(١٤٠) وذلك لأمرين : الأول اننا لا نسلم أن المشبه به مثل الماء وصفته بل مثل النبات . الثانى انه على تسليم أن المشبه به هو مثل الماء فلا نسلم أن الكاف فى الآية قد وليها غير المشبه به بل الوالى لها اذا هو المشبه به لأن المقدر عندهم كالملفوظ .

النبات يكون أخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كأن لم يكن ...
وأما قوله عز وجل (١٤١) « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى الى الله » فليس منه لأن المعنى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصارى الى الله . وقد يذكر فعل (١٤٢) ينبىء عن التشبيه (١٤٣) كعلمت فى قولك علمت زيدا أسدا ونحوه ، هذا اذا قرب التشبيه (١٤٤) فان بعد (١٤٥) أدنى تبعيد قيل خلته وحسبته ونحوهما .

(الغرض من التشبيه (١٤٦)) :

وأما الغرض من التشبيه فيعود فى الأغلب الى المشبه ، وقد يعود الى المشبه به .

أما الأول (١٤٧) فيرجع الى وجوه مختلفة منها .

(١ —) بيان أن وجود المشبه ممكن وذلك فى كل أمر غريب يمكن أن يخالف فيه ويدعى امتناعه كما فى قول أبى الطيب (١٤٨) .

فان تفق الأنـــام وأنت منهم فان المســـك بعض دم الغزال

---

(١٤١) ١٤٨ مفتاح .
(١٤٢) اى من غير الأفعال الموضوعة من اصلها للدلالة على التشبيه.
(١٤٣) اى يدل عليه من غير ذكـر اداة فيكون الفعل قائما مقامها .
(١٤٤) اى وادعى كمال المشابهـة لمـا فى علمت من معنى التحقيق.
(١٤٥) اى ان بعد التشبيه اى ان كانت المشابهـة بين الطـرفين ضعيفة ككون وجه الشبه خفيا عن الادراك ، وذلك لمـا فى الحسبان من الاشعار بعدم التحقيق والتيقن ، هذا والمنبى عن التشبيه فى هذه الأفعال هو عدم صحة حمل الاسد على زيد .
(١٤٦) راجع ١٤٥ مفتاح ، ١٠٣ اسرار .
(١٤٧) اى ما يعود الى المشبه .
(١٤٨) راجع ١٠٣ اسرار .

أراد أنه فاق الأنام فى الأوصاف الفاضلة الى حد بطل معه أن يكون واحدا منهم بل صار نوعا آخر برأسه أشرف من الانسان وهذا أعنى أن يتناهى بعض أفراد النوع فى الفضائل الى أن يصير كأنه ليس منها أمر غريب يفتقر من يدعيه الى اثبات جواز وجوده على الجملة حتى يجيىء الى اثبات وجوده فى الممدوح فقال « فان المسك بعض دم الغزال » . أى ولا يعد فى الدماء لأن فيه من الأوصاف الشريفة التى لا يوجد شىء منها فى الدم وخلوه من الأوصاف التى لها كان الدم دما فأبان أن لما ادعاه أصلا فى الوجود على الجملة (١٤٩) .

(٢ —) ومنها بيان حاله (١٥٠) كما فى تشبيه ثوب بثوب آخر فى السواد ، اذا علم لون المشبه به دون المشبه .

(٣ —) ومنها بيان مقدار حاله (١٥١) فى القوة والضعف والزيادة والنقصان ، كما فى قوله (١٥٢) :

مداد مثل خافية الغراب (وقرطاس كرقراق السحاب)

---

(١٤٩) فالتشبيه فى البيت تشبيه مركب بمركب . وهو تشبيه ضمنى أى مدلول عليه باللازم لانه ذكر فى الكلام لازم التشبيه وهو وجه الشبه (فوقان الأصل) وأراد الملزوم وهو التشبيه ، وقيل سمى ضمنيا لانه يفهم من الكلام ضمنيا ومكنيا عنه لانه مكنى أى خفى ومستتر . قال اليعقوبى : الذى بين امكانه هو وجه الشبه ليتوصل به الى امكان المشبه .

(١٥٠) أى حال المشبه أى صفته بانه على أى ؛ وصف الأوصاف .

(١٥١) أى مقدار حال المشبه فى القوة والضعف والزيادة والنقصان .

(١٥٢) أى حبيب الطائى (٣٠ ج ٣ العقد ، ٢٦٤ ج ٣ زهر الاداب) . ويروى للحسن بن وهب .
الخافية من الريشات العشر فى مقدم الجناح .

وعليه قول الآخر (١٥٣) :

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على المـاء خانته فروج الأصابع

أى بلغت فى بوار السعى فى الوصـــول اليها وأن أمتع بها أقصى الغايات حتى لم أحظ منها بما قل ولا بما كثر .

(٤ —) ومنها تقرير (١٥٤) حاله فى نفس السامع ، كما فى تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بمن يرقم على المـاء ، وعليه قوله عز وجل : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة » ، فانه بين ما لم تجر به العادة بما جرت به العادة .

وهذه الوجوه تقتضى أن يكون وجه الشبه فى المشبه به أتم وهو به أشهر ولهذا ضعف قول البحترى (١٥٥) :

على باب قنسرين والليل لاطخ جوانبـــه من ظلمـــة بمـــداد

فانه رب مداد فاقد اللون ، والليل بالسواد وشدته أحق وأحرى،

---

(١٥٣) راجع ١٠٤ اسرار . الفروج : جمع فرج يطلق على الخلل بين الشيئين .

(١٥٤) راجع ١٠٦ اسرار . هـــذا ومن تقرير التشبيه قول الشاعر :

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وهو لشبرمة بن الطفيل (٧٩ ج ٢ حماسة) او لابن الطثرية (٥٥ ج ٦ الحيوان للجاحظ) .

(١٥٥) راجع ١٩٢ : ونقـــده ابن العميـــد بانه تشـــبيه غير رائع ولا بارع .

ولاعرابى : والليـــل قـــد صـــبغ الحصى بمـــداد

(١٨ ج ٣ زهر الآداب) .

ولابى نواس : وجنن الليـــل مكحول بقـــار (١٨ ج ٣ زهر) . وله : قد انبرى والليـــل كالمـــداد .

ولهذا قال ابن الرومى (١٥٦) :

حبر أبى حفص لعـاب الليـل يسـيل للاخوان أى سـيل

فبالغ فى وصف الحبر بالسواد حين شبهه بالليل ، فكأنه نظر الى قول العامة فى الشىء الأسود هو كالنقس (١٥٧) ثم تركه للقافية الى المداد

(٥ —) ومنها تزيينه للترغيب فيه كما فى تشبيه وجه أسـود بمقلة الظبى .

(٦ —) ومنها تشويهه للتنفير عنه كما فى تشـبيه وجه مجدور بسلحة (١٥٩) جامدة قد نقرتها الديكة ، وقد أشار الى هذين الغرضين

---

(١٥٦) راجع : ٢٢٦ ج ٢ زهر الآداب ، ١٩٢ أسرار . وفى الزهـر بدل « يسيل للاخوان اى سيل » : « كأنه الوان دهم الخيل » .

(١٥٧) بالكسر : اى الحبر .

ملاحظـة : الاغراض الاربعة : بيـان الحال والمقدار وبيان الامكان والتقرير — تقتضى ان يكون وجه الشبه فى المشبه به اتم واقوى ولو باعتبار ما عند المخاطب بالتشبيه ، وان يكون المشبه به بوجه الشبه اشهر عنـد السامع — وان لم يكن اشـهر فى الواقع — واعرف ، وظاهر هذا ان كلا من الاربعة تقتضى الاتميـة والاشهرية وهو غير صحيح ، ويمكن الجواب بأن الامر على التوزيع ، فالاشهرية للجميع والاتمية للتقرير فقط ، اذ التحقيق أن بيـان الامكان وبيـان الحال لا يقتضيان الا الاشهرية فقط ليصح القياس ويتم الاحتجاج فى الاول ويعلم الحـال فى الثـانى ، وكذا بيـان المقـدار لا يقتضى الاتميـة بل يقتضى ان المشبه به مع كونه أعرف واشهر بوجـه الشبه — على حد مقـدار المشبه — اى مساويا للمشبه فى وجه الشبه لا أزيد ولا انقص ليتعين مقدار المشبه على ما هو عليه ، واما تقرير الحال فيقتضى الامرين : الاتميـة والاشهرية جميعا لان النفس الى الاتم والاشهر أميل ، فالتشبيه بالاتم الاشهر بزيادة التقـرير والتقوية أجـدر من التشبيه الخـالى منهما .

(١٥٨) ١٤٦ مفتاح .

(١٥٩) هى العذرة اليابسة ، والمجدور : الذى عليه آثار الجدرى .

ابن الرومى فى قوله (١٦٠) :

تقول هذا مجاج النحل تمدحه وان تعب قلت ذا قىء الزنـابير

(٧ —) ومنها استطرافه (١٦١) كما فى تشبيه فحم فيه جمر (١٦٢)

---

(١٦٠) المجاج الريق ترمى به من فمك ، ومجاج النحل العسل . الزنابير جمع زنبور وهو ذباب اليم اللسع فيدخل فيه النحل .

ملاحظات :

١ — تزيين المشبه اى تصويره بصورة حسنة سواء كانت تدرك بالعين او بغيرها لاجل ترغيبه فيه . وتشويهه بتصويره بصورة تمجها النفس وتشمئز منها الطبع .

٢ — بيان الحال اذا كان المشبه به معروفا والمشبه مجهولا او فى حكم المجهول وبيان المقدار اذا كان المشبه معلوما واراد المتكلم ان يبين للسامع ما يعنيه من هذا المقدار .

٣ — مثال التزيين :

سوداء واضحة الجبين كمقلة الظبى الغرير

ومثال التهجين : « مثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث » وقول الشاعر :

واذا أشار محدثا فكأنه قرد يقهقه او عجوز تلطم

٤ — سبق ان بيان الامكان وبيان الحال وبيان مقدار الحال كلها تقتضى ان يكون المشبه به بوجه الشبه اشهر واعرف .

واما التقرير فيقتضى ان يكون وجه الشبه فى المشبه به اتم وان يكون المشبه به بوجه الشبه اشهر واعرف معا .

واما التزيين والتشويه والاستطراف فلا تقتضى الاتمية ولا الاشهرية لصحة تشبيه وجه الحبشى الشديد السواد بمقلة الظبى للتزيين مع ان السواد ليس فيه اتم منه فى وجهه ولا هو اشهر منه فى السواد .

والذى يظهر من كلام المفتاح ان كون المشبه به اعرف بوجه الشبه معتبر فى بيان الحال والمقدار والامكان وزيادة التقرير والتزيين والتشويه وان كونه اتم واقوى فى وجه الشبه معتبر فى زيادة التقرير والحاق الناقص بالكامل ، واما الاستطراف فالمعتبر فيه غرابة المشبه به وندرة حضوره .

(١٦١) اى عد المشبه طريفا جديدا بديعا لاجل الاستلذاذ به ، راجع ١٤٨ من الاسرار ، ١٤٦ من المفتاح .

(١٦٢) اى سرت النار فيه سريانا يتوهم منه الاضطراب كاضطراب الموج .

موقد يبحر من المسك موجه الذهب (١٦٣) ، لابرازه (١٦٤) فى صـــورة الممتنع عادة (١٦٥) .

وللاســـتطراف (١٦٦) وجه آخر وهو أن يكون المشـــبه به نادر الحضور : اما مطلقا (١٦٧) كما مر (١٦٨) ، واما عند حضور المشبه (١٦٩) كما فى قوله (١٧٠) :

ولازوردية تزهـــو بزرقتهـــا ... بين الرياض على حمـــر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضـــعفن بهـــا ... أوائل النـــــار فى أطراف كبريت

---

(١٦٣) وجه الشبه الهيئة الحاصلة من وجود شىء مضطرب مائل الى الحمـــرة فى وسط شىء اسود والاستطراف من حيث هو له وجهان : ابراز المشبه فى صورة الممتنع فى الخارج ، وابرازه فى صورة النادر الحضـــور فى الذهن ، وهـــذا الوجه الثانى أعم فيلزم من ندرة الحضـــور فى الخارج ندرة الحضور فى الذهن دون العكس .

(١٦٤) اى انما استطرف المشبه فى هذا التشبيه لابراز المشبه .

(١٦٥) وان كان ممكنا عقـــلا ، ولا يخفى ان الممتنع عادة مستطرف غريب .

(١٦٦) اى المطلق ، لا الاستطراف فى خصوص المثال السابق .

(١٦٧) اى نادرا مطلقا من غير تقييد بحالة حضور المشبه فى الذهن ، اى عند حضور المشبه فى الذهن وعدمه .

(١٦٨) أى فى تشبيه فحم فيه جمـــر موقد يبحر من المســـك موجه الذهب .

فالاستطراف فى هـــذا التشبيه له جهتان : ابراز المشبه فى صـــورة الممتنع وابرازه فى صورة النادر الحضور ولا منافاة بين الجهتين وتقـــدم لك وجه ثالث للاستطراف فى التشبيه المذكور .

(١٦٩) اى وأما ان تكون تلك النـــدرة حاصـــلة فى المشبه به عند حضور المشبه لا مطلقا لكون المشبه به مشاهدا معتادا لكن موطنه غير موطن المشبه لكون كل منهما من واد .

(١٧٠) هما لابن المعتز ونسبا لأبى العتاهية .

وتجدهما فى الأسرار ص ١١٠ والمفتاح ص ١٤٦ .

(١٧١) اللازوردية : البنفســـج الشبيه بحجر اللازورد لكونه على =

فان صورة اتصال النار بأطراف الكبريت لا يندر حضـــورها فى الذهن ندرة صورة بحر من المسك موجه الذهب ، وانما النادر حضورها عند حضور صورة البنفسج ، فاذا أحضر مع صحة الشبه استطرف ، لمشاهدة عناق بين صورتين (١٧٢) لا تتراءى ناراهما .. ومما يؤيد هذا ما يحكى أن جريرا قال أنشدنى عدى (١٧٣) :

عرف الديار توهمـــا فاعتادها

فلما بلغ الى قوله :

تزجى أغن كأن ابـــــرة روقه

رحمته وقلت قد وقع ما عســـاه يقول وهو اعرابى جاف جلف ، فلما قال :

= لونه . تزهو من الزهو وهو الكبر من زها يزهو زهوا . حمر اليواقيت استعارة يعنى الازهار والشقائق الحمر . كأنها الضمير فيها للازوردية . القامات : السيقان « أوائل النـــــار » اى النار المتصـــلة بالكبريت التى تضرب الى الزرقة لا الشعلة المرتفعة .

(١٧٢) هما : صورة البنفسج وصورة اتصال النار بأوائل الكبريت .

لا يقال : الاســـتطراف لأجل المعانقة المذكورة بعم الطرفين . لانا نقول : الكلام المشتمل على التشبيه مسوق للمشبه فذلك كان المعتـــد به هنا استطرافه .

ملاحظة التشـــبيه فى الآية الكريمة « مثل نوره كمشـــكاة » لبيان مالا يعلمه البشر بما يعلمونه ، فليس من التشبيه المقلوب لأن المشكاة فى الذهن أوضح وأقوى والقوة فى المشبه به قد تكون باعتبار الوضوح .

(١٧٣) راجع ١٣٢ من الاسرار ، ٣/٤٠٦ العقد ، والبيت فى ٢٣٤ و ٢٤١ صناعتين ، ٢٥٣ معجم الشعراء ، ١/٣٧٣ الكامل .

ويروى أن جريرا دخل على الوليد بن عبد الملك وابن الرقاع العاملى عنده ينشده ، قال جرير : فحسدته على ابيات منها ، حتى اذا انشد فى صفة الظبية « تزجى اغن » قلت فى نفسى والله ما يقدر ان يقول أو يشبه ، فلما قال « قلم الخ » ما تدرت ان أقيم فانصرفت (٩٤ ج ٢ الكامل للمبرد ٢). والمراد به ولدها . ابرة الروق : طرف القرن ، الروق : القرن .

قلم أصاب من الدواة مدادها (١٧٤)

استحالت الرحمة حسدا ، فهل كانت رحمته فى الأولى والحسد فى الثانية الا لأنه رآه حين افتتح التشبيه قد ذكر ما لا يحضر له فى أول الفكر شبه وحين أتمه صادفه قد ظفر بأقرب صفة من أبعد موصوف .

وذكر الشيخ عبد القاهر رحمه الله للاستطراف فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت وجها آخر (١٧٥) : وهو أنه أراك شبها لنبات غض يرف وأوراق رطبة من لهب نار فى جسم مستول عليه اليبس ، ومبنى الطباع وموضوع الجبلة على أن الشىء اذا ظهر من مكان لم يعهد ظهوره منه ، وخرج من موضع ليس بمعدن له ، كانت صبابة النفوس به أكثر وكان الشغف به أجدر .

وأما الثانى (١٧٦) :

(١ —) فيكون فى الغالب ايهام (١٧٧) أن المشبه به أتم من المشبه فىّ وجه الشبه ، وذلك فى التشبيه المقلوب (١٧٨) ، وهو أن يكون الأمر بالعكس كقول محمد بن وهيب (١٧٩) :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح

---

(١٧٤) تزجى : تسوق والضمير للظبية . الأغن : الذى فى صوته غنة

(١٧٥) راجع ١٠٩ و ١١٠ أسرار البلاغة ، ١٤٦ مفتاح .

(١٧٦) وهو الغرض من التشبيه الذى يعود الى المشبه به وهو ضربان ، الحاق الناقص بالكامل ، والاهتمام .

(١٧٧) اى ايهام المتكلم للسامع .

(١٧٨) هو الذى يجعل فيه الناقص فى نفس الأمر مشبها به ويجعل الكامل مشبها قصدا الى ادعاء اكمل من المشبه الذى هو اكمل فى نفس الامر .

(١٧٩) راجع البيت والكلام عليه فى الاسرار ص ١٩٤ — ١٩٦ ، وراجعه فى ٤٢٠ معجم الشعراء ، ٤٣٩ صناعتين ، ١٧ ج ٣ زهر الآداب .

فانه قصد (١٨٠) ايهام أن وجه الخليفة أتم من الصباح فى الوضوح والضياء . واعلم أن هذا وان كان فى الظاهر يشبه قولهم : « لا أدرى أوجهه أنور أم الصبح ، وغرته أضوأ أم البدر » ، وقولهم اذا أفرطوا: « نور الصباح يخفى فى ضوء وجهه أو نور الشمس مسروق من نور جبينه ونحو ذلك من وجوه المبالغة » ، فان فى الأول خلابة وشيئا من السحر ليس فى الثانى ، وهو أنه كأنه يستكثر للصباح أن يشبه بوجه الخليفة ، ويوهم أنه احتشد له واجتهد فى تشبيه يفخم به أمره ، فيوقع المبالغة فى نفسك من حيث لا تشعر ، ويفيدكها من غير أن يظهر ادعاءه لها ، لأنه وضع كلامه وضع من يقيس على أصل متفق عليه لا يشفق من خلاف مخالف وتهكم متهكم ، والمعانى اذا وردت على النفس هذا المورد كان لها نوع من السرور عجيب ، فكانت كالنعمة التى لا يدركها المنة ، وكالغنيمة من حيث لا تحتسب ، وفى قوله حين يمتدح (١٨١) فائدة شريفة ، وهى الدلالة على اتصاف الممدوح بما لا يوجد الا فيمن هو كامل فى الكرم من معرفة حق المادح ، على ما احتشد له من تزيينه ، وقصده من تفخيم شأنه فى عيون الناس ، بالاصغاء والارتياح له والدلالة بالبشر والطلاقة على حسن موقعه عنده ومنه(١٨٢) قوله تعالى حكاية عن مستحل الربا « انما البيع مثل الربا » ، فان مقتضى الظاهر أن يقال « انما الربا مثل البيع » اذ الكلام فى الربا لا فى البيع ، فخالفوا ، لجعلهم الربا فى الحل أقوى حالا من البيع وعرف به . ومنه قوله عز وجل : « أفمن يخلق كمن لا يخلق » ، فان مقتضى الظاهر العكس ، لأن الخطاب للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة ، تشبيها بالله سبحانه وتعالى ، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فخولف فى

---

(١٨٠) اى بقلب التشبيه .
(١٨١) راجع ١٤٦ من المفتاح .
(١٨٢) اى من التشبيه المقلوب وراجع ذلك فى ١٤٧ من المفتاح ، ٤٩٠ جـ ١ ابن السبكى .

خطابهم ، لأنهم بالغوا فى عبادتها وغلوا ، حتى صارت عندهم أصلا فى العبادة ، والخالق سبحانه فرعا ، فجاء الانكار على وفق ذلك ... قال السكاكى (١٨٣) : عندى ان المراد بمن لا يخلق الحى العالم القادر من الخلق تعويضا بانكار تشبيه الأصنام بالله عز وجل ، وقوله ، « أفلا تذكرون » ، تنبيه توبيخ عليه . ونحوه قوله تعالى (١٨٤) « أرأيت من اتخذ الهه هواه » ، بدل أرأيت من اتخذ هواه الهه .

(٢ —) وقد يكون الغرض العائد الى المشبه به بيان الاهتمام به (١٨٥) كتشبيه الجائع وجها كالبدر فى الاشراق والاستعارة بالرغيف، اظهارا للاهتمام بشأن الرغيف لا غير ، وهذا يسمى اظهار المطلوب . قال السكاكى ولا يحسن المصير اليه الا فى مقام الطمع فى تسنى المطلوب ، كما يحكى عن الصاحب أن قاضى سجستان دخل عليه ، فوجده الصاحب متفننا بمدحه حتى قال :

وعالم يعرف بالسجزى (١٨٦)

وأشار للندماء أن ينظموا على أسلوبه ففعلوا واحدا بعد واحد الى أن انتهت النوبة الى شريف فى البين ، فقال :

أشهى الى النفس من الخبز

فأمر الصاحب أن تقدم له مائدة .

---

(١٨٣) ١٤٧ مفتاح .
(١٨٤) راجع ٤٩٠ ج ١ ابن السبكى .
(١٨٥) اى بالمشبه به وراجع ١٤٧ مفتاح .
(١٨٦) اراد به السجستانى نسبة على غير قياس .
ومن طريف هذا النوع ما رواه الجاحظ قال : قيل لطفيلى : كم اثنين فى اثنين ؟ فقال اربعة ارغفة : (١٣٥ ج ٢ البيان والتبيين) .

هـذا (١٨٧) كله اذا أريد الحاق الناقص فى وجه الشـبه حقيقة أو ادعاء بالزائد ، فان أريد مجرد الجمع بين شـيئين فى أمر (١٨٨) ، فالأحسن ترك التشبيه الى الحكم بالتشابه (١٨٩) ، ليكون كل واحد من الطرفين مشبها ومشـبها به احترازا من ترجيح أحد المتساويين على الآخر (١٩٠) ، كقول أبى اسحاق الصابى :

تشابه دمعى اذ جرى ومدامتى ... فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكب
فوالله ما أدرى أبالخمر أسبلت ... جفونى أم من عبرتى كنت أشرت (١٩١)

وكقول الآخر :

رق الزجاج وراقت الخـمر ... وتشـابها فتشـاكل الأمر
فكأنمـا خمر ولا قـدح ... وكأنمـا قـدح ولا خمـر

---

(١٨٧) راجع ١٤٧ مفتاح . وقوله « هذا » اى الذى ذكرناه من جعل احد الشيئين مشبها والآخر مشبها به انما يكون اذا أريد الحاق الناقص فى وجه الشبه بالكامل فيه .

(١٨٨) اى من غير قصد الى كون احدهما ناقصا والآخر كاملا سواء وجد الكمال والنقصان أم لم يوجدا .

(١٨٩) اى الذى هو تشبيه غير معروف ، فلا ينافى ما تقدم من أن « تشابه » من ادوات التشبيه ، والتشبيه المعروف هو ما قصد فيه التفاوت فى وجه الشبه ، وغير المعروف هو ما قصد فيه التساوى بين الطرفين فى أمر من الأمور .

والتشابه وما وازنه كالتماثل والتشاكل والتساوى وكذا « كلاهما سواء » ، لا ما كان له فاعل ومفعول من هذه المواد مثل شابه وسـاوى وضارع فان فيه الحاق الناقص بالزائد . ويلاحظ أن قول المصنف « حقيقة أو ادعاء » المراد بحقيقة منه كما فى الغرض العائد الى المشبه به .

(١٩٠) اى فى وجه الشبه .

(١٩١) اسبل الدمع والمطر اذا هطل ، واسبلت السماء بالمطر . والباء فى « ابالخمر » للتعدية للزوم الفعل ، وليست زائدة : المدامـة : الخمر : تسكب : ترسل ، من سكب الدمع : ارسله .

والمراد تشبيه الدمع بالخمرة فى الحمرة .

ويجوز التشبيه أيضا (١٩٢) ، كتشبيه غرة الفرس بالصبح وتشبيه الصبح بغرة الفرس ، متى أريد ظهور منير فى مظلم أكثر منه ، وتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة كما قال (١٩٣) :

وكأن الشمس المنيرة دينا ر جلته حدائد الضراب

وتشبيه المرآة المجلوة أو الدينار الخارج من السكة بالشمس ، متى أريد استدارة متلألىء متضمن لخصوص فى اللون ، وان عظم التفاوت بين بياض الصبح وبياض الغرة ونور الشمس ونور المرآة والدينار وبين الجرمين ، فانه ليس شىء من ذلك بمنظور اليه فى التشبيه، وعلى هذا ورد تشبيه الصبح فى الظلام بعلم أبيض على ديباج أسود فى قول ابن المعتز (١٩٤) :

والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباح طراز غير مرقوم

فانه تشبيه حسن مقبول وان كان التفاوت فى المقدار بين الصبح والطراز فى الامتداد والانبساط شديدا (١٩٥) .

---

(١٩٢) راجع فى ذلك ١٩٣ اسرار ، ١٤٨ مفتاح . وقوله « يجوز » مقابل لقوله « فالأحسن » .

(١٩٣) أى ابن المعتز (١٩٣ أسرار ، ٣٤٢ ج ١ زهر الآداب) . حدائد الضراب : آلات الصك . جلته : صقلته .

(١٩٤) راجع ١٩٣ اسرار . الحلة الثوب الجديد أو الثوب مطلقا . الطراز : علم الثوب . مرقوم : مخطط .

(١٩٥) هذا هو آخر الكلام فى أركان التشبيه ، وسيشرع فى تقسيمه : باعتبار الطرفين ، وباعتبار الوجه ، وباعتبار الأداة ، وباعتبار الغرض منه .

(تقسيم التشبيه)

وأما تقسيم التشبيه :

(١ ــ) فباعتبار طرفيه :

(ا ــ) أربعة أقسام :

الأول : تشبيه المفرد ، وهو ما طرفاه مفردان: اما غير مقيدين(١٩٦) كتشبيه الخد بالورد ونحوه ، وعليه قوله تعالى : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن (١٩٧) » فان قلت : ما وجه الشبه فى الآية ؟ قلت : جعله الزمخشرى حسيا فانه قال : لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى :

اذا ما الضجيع ثنى عطفها تثنت عليه فكانت لباسا (١٩٨)

وقيل شبه كل واحد منهما باللباس للآخر لأنه يصونه من الوقوع فى فضيحة الفاحشة كاللباس الساتر للعورة . وأما مقيدان (١٩٩) كقولهم لمن لم يحصل من سببه على شىء : هو كالقابض على الماء وكالراقم فى الماء ، فان المشبه هو الساعى لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك ، والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه على

---

(١٩٦) اى بمجرور او اضافة او مفعول او وصف او حال مما يكون له تعلق بوجه الشبه ، فما يذكر من القيود مما لا تعلق له بوجه الشبه لا يكون فيه الطرف مقيدا .

(١٩٧) راجع الكلام على الآية فى الصناعتين ٢٦١ .

(١٩٨) الضجيع : المضاجع من ضجع بمعنى وضع جنبه على الأرض وتمدد . ثنى عطفها : رد جانبها اليه .

(١٩٩) راجع ٨٣ و ٨٥ و ٨٦ من الاسرار .

المـــاء أو رقمه فيه لأن وجه الشبه فيهما هو التسوية بين الفعل وعدمه فى عدم الفائدة ، والقبض على المـــاء والرقم فيه كذلك ، لأن فائدة قبض اليد على الشىء أن يحصل فيها فاذا كان مما لا يتماسك فقبضها عليه وعدمه سواء ، وكذلك القصد بالرقم فى الشىء أن يبقى أثره فيه ، فاذا فعل فيما لا يقبله كان فعله كعدمه ، فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ، ونحوهما قولهم هو كمن يجمع سيفين فى غمد وقولهم : هو « كمبتغى (٢٠٠) الصـــيد فى عريسة الأسد » ، وقـــد يكون (٢٠١) حالا كقولهم هو كالحادى وليس له بعـــير . ومما طرفاه مقيدان قول الشاعر (٢٠٢) :

انى وتزيينى بمدحى معشرا كمعلق درا على خنـــزير

فان المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرا ، فمتعلق التزيين أعنى قوله بمدحى داخل فى المشبه ، والمشـــبه به من يعلق درا بقيد أن يكون تعليقه اياه على خنزير ، فالشبه (٢٠٣) مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته ، وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر ، لأن الشىء غير قابل للتزيين ، فالواو فى قوله « وتزيينى » بمعنى مع ، اذ لا يمكن أن يقال « انى كذا وان تزيينى كذا « لأنه ليس معنا شيآن يكون أحدهما خبرا عن ضمير المتكلم والآخر عن تزيينى ، لا يقال تقديره « انى كمعلق درا على خنزير وان تزيينى بمدحى معشرا كتعليق در على خنزير » ، لأنه لا يتصور أن يشـــبه

---

(٢٠٠) هو شطر بيت للطرماح . وصـــدره : « يا ظبية الســـهل والأجبال موعدكم » .

(٢٠١) أى القيـــد .

(٢٠٢) راجع فى ١٧٤ من الاسرار حيث تكلم عليه عبد القاهر وشرحه تزيينى مفعول معه والواو بمعنى مع .

(٢٠٣) أى وجه الشبه .

المتكلم نفسه من حيث هو هو بمعلق درا على خنزير ، بل لابد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا • واما مختلفان والمقيد هو المشبه به كقوله (٢٠٤) :

والشمس كالمرآة فى كف الأشـــل لمـــا رأيتها بدت فوق الجبـــل

فان المشبه هى الشمس على الاطلاق والمشبه به هو المرآة لا على الاطلاق بل بقيد بكونها فى يد الأشل • أو على عكس (٢٠٥) ذلك كتشبيه المرآة فى كف الأشل بالشمس •

الثانى : تشـــبيه المركب بالمركب (٢٠٦) ، وهو ما طرفاه كثرتان مجتمعتان (٢٠٧) كما فى قول البحترى (٢٠٨) •

تـــرى احجـــاله يصـــعدن فيه صعود البرق فى الغيم الجهـــام

---

(٢٠٤) هو ابن المعتز او ابو النجم الراجز ؛ وراجعه فى ١٥٧ من الاسرار •

فان قلت المشبه الشمس لا مطلقا بل حال حركتها فيكون مقيـــدا ، قلت : الحركة لازمة لها غير منفكة عنها ابدا فكانت كأنها جزء من مفهومها وليست بقيد خارج •

(٢٠٥) بأن يكون المشبه مقيدا والمشبه به هو المطلق من التقييد •

(٢٠٦) ويجب أن يكون الوجه حينئذ مركبا اى هيئة ؛ وكذلك فى تشبيه المفرد بالمركب لابد أن يكون الوجه كذلك مركبا ؛ واما تشبيه المفرد بالمفرد فتارة يكون الوجه مركبا وتارة يكون مفردا •

(٢٠٧) بأن يكون كل من الطرفين هيئة حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى صارت شيئا واحدا •

(٢٠٨) الاحجال جمع حجل وهو البياض فى رجل الفرس • الجهام السحاب لا ماء فيه • يصف الفرس اثناء عدوه وظهـــور بياض رجليه فى مواضع مختلفة اثناء سيره •

وراجع البيت والكلام عليه فى الاسرار ص ١٧٠ و ١٧١ •

لا يريد به تشـــبيه بياض الحجـــول على الانفراد بالبرق ، بل مقصوده الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحـــد اللونين بالآخر • وكذلك المقصود فى بيت بشار ، ولذلك وجب الحكم بأن أسيافنا فى حكم الصلة للمصدر (٢٠٩) ونصب الأسياف لا يمنع من تقدير الاتصـــال ، لأن الواو فيها بمعنى مع كقولهم « لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها »، ومما ينبه على ذلك أن قوله « تهاوى كواكبه » جملة وقعت صفة لليل ، فان الكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ، ولو كانت مستبدة بشأنها لقال ليل وكواكب (٢١٠) ، وأما بيت امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى(٢١١)

---

(٢٠٩) اى مفعول معه العامل فيه « مثار » المصدر .

(٢١٠) فقد شبهت الهيئة المنتزعة من السيوف المسلولة المقاتل بها مع انعقاد الغبار فوق رءوسهم بالهيئة المنتزعة من النجوم وتساقطها فى الليل الى جهات متعددة .

(٢١١) راجع البيت فى ص ١٦٨ الأسرار ، ١٤٤ مفتاح ، ٧٥ دلائل الاعجاز ، ٣٥ ، ٣٦ ج ٢ من الكامل للمبرد ، ويعجب به المبرد كثيرا .

وهو فى ص ٦٩ من البديع لابن المعتز شرح محمد عبد المنعم خفاجى .

رطبا ويابسا حالان من قلوب والعامل فيه معنى التشبيه . فان قيل الحال يجب ان تطابق صاحبها فى التذكير والتانيث وهنا لم تحصل المطابقة حيث لم يقل رطبة ويابسة ، فالجواب ان التقدير رطبا بعضها ويابســـا بعضها فحذف فاعلها المقدر الذى هو صاحبها فى الحقيقة .

ولكن حذف الفاعل لا يجيزه البصريون وبعض الكوفيين فالأحسن ان يقال فى الجواب ان تفصيل الحال لفظا يستدعى تفصيل صاحبها بمعنى (أو ان الجمع الذى تفيـــده الصـــيغة فى المتفق تجرى مجـــرى العطف فى المختلف) فالتقدير قسما رطبا وقسما يابســا .

والبيت لامرىء القيس يصف فيه عقابا بكثرة اصطياد الطيور ، وفيه تشبيه ملفوف فقد ذكر المشبهين اولا والمشبهين بهما بعدهما ، والتعدد فى المشبه به ظاهر واما فى طرف المشبه فانك وان كنت ترى اسما واحدا وهو القلوب فان الجمع الذى تفيده الصـــفة فى المتفق يجرى مجرى العطف فى المختلف فاجتماع شيئين او اشياء فى لفظ تثنية او جمع لا يوجب ان احدهما=

فهو على خلاف هـذا لأن (٢١٣) أحد الشـيئين فيه فى الطرفين معطوف على الآخر ، أما فى طرف المشبه به فبين ، وأما فى طرف المشبه فلأن الجمع فى المتفق كالعطف فى المختلف ، فاجتماع شيئين أو أشياء فى لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن أحدهما أو أحدهما فى حكم التابع للآخر كما يكون ذلك اذا جرى الثانى صفة للأول أو حالا منه أو ما أشبه

= فى حكم التابع للآخر كما يكون ذلك اذا اجرى الثانى صـفة الأول أو حالا له ، هذا وقد صرح بالعطف فى البدل وهو المقصود فقال رطبا ويابسا.

فالقلوب هو المشبه ولمـا قسمه الى قسمين كان متعددا ، والعناب والحشف البالى مشبه بهما ، فالطرفان متعددان ، والطير الى فيها جنسية ، والضمير فى وكرها يعود الى العقاب والوكر عش الطائر ، ولدى ظرف حال من قلوب أو من الضمير فى رطبا ويابسا او صفة لرطبا او يابسا .

العناب حب أحمر مائل للحمرة قدر قلوب الطير يوجد بثمرة السـدر وهذا مقابل القلب الرطب لأنه يشاكله لونا وقدرا وشكلا .

والحشف البالى : اى الثمر اليابس ، وهذا هو المقابل للقلب اليابس لأنه يشاكله لونا وقدرا وشكلا وانكماشا .

وصف الحشف بالبالى وصف كاشف للتأكيد .

وقال السبكى : « لا نسلم ان المشبه متعدد وهو القلب الرطب والقلب اليابس ويكون بعض القلوب شبه بالعناب وبعضها شبه بالحشف البالى ، بل كل واحد من القلوب شبه بالعناب فى حال رطوبته وبالحشف فى حال يبوسته ، فالمشبه القلوب بقيد الرطوبة او اليبوسة فهو كتشبيه مفرد تعدد قيده باعتبار حالتين وهو نظير قولنا : « هو فى الجود والشجاعة كالبحر والأسد » ، وقوله رطبا ويابسا يمكن عوده الى كل واحد من القلوب فلا حاجة الى توزيع الحالين على القلوب ، ومما يرجح ذلك افراد الحـالين اى كأن كل قلب رطبا ويابسا ، لا يقال هو تشبيه متعدد باعتبار انه جمع لأن ذلك يقضى ان يكون قولك اياد كالبحار تشبيه متعدد بمتعدد وأن يكون قوله « وكأن اجرام النجوم لوامعا الخ » كذلك ا هـ .

والبيت من قبيل اللف والنشر المرتب ولو عكس سمى ملفوفا أيضا لوجود اللف فيه وسمى بملفوف للف المشبهات فيه اى ضم بعضها الى بعض وكذلك المشبهات بها .

(٢١٣) راجع ٣٦ ج ٢ كامل المبرد ، ١٧٤ أسرار .

وقد صرح بالعطف فيما أجراه بيانا له من قوله « رطبا ويابسا » .

وهذا القسم (٢١٣) ضربان :

أحدهما . مالا يصح تشبيه كل جزء من أحد طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر ، كقوله (٢١٤) .

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال

فان الجلال فيه فى مقابلة الليل ، ولو شبهه به لم يكن شيئا . وكقول الآخر (٢١٥) :

كأنما المريخ والمشترى قدامه فى شامخ الرفعه

منصرف بالليل عن دعوة قد أسرجت قدامه شمعه

فان المريخ فى مقابلة المنصرف عن الدعوة ولو قيل كأن المريخ منصرف بالليل عن دعوة كان خلفا من القول .

والثانى : ما يصح تشبيه كل جزء من أجزاء أحد طرفيه بما

---

(٢١٣) اى تشبيه المركب بالمركب ، وراجع فى ذلك ١٦٩ من الاسرار .

(٢١٤) هو لابن المعتز ، وهو تشبيه مركب بمركب ، والظاهر انه عند السبكى تشبيه مفيد بمفيد (م ٣٢ ج ٣ ابن السبكى) .

والبيت وشرحه فى الاسرار ص ١٤٧ .

باد : ظاهر . الطرف بكسر الطاء ، الفرس الكريم . الاشهب : الابيض . الجلال جمع جل وهو للدابة كالثوب للانسان . والضمير فى « غدا » للساق .

(٢١٥) هو القاضى التنوخى « ص ٢٢ حسن التوسل » . والبيت فى الاسرار ص ١٧١ ، ١٧٣ ، وفى المفتاح ص ١٤٤ .

والمريخ والمشترى كوكبان معروفان .

يقابله من أجزاء الطرف الآخر ، غير أن الحال تتغير ، ومثاله قوله (٢١٦) :

وكأن أجـرام النجـوم لوامعـا درر نثرن على بسـاط أزرق

فانه لو قيل كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق كان تشبيها صحيحا لكن أين يقع من التشبيه الذى يريك الهيئة التى تملأ القلوب سرورا وعجبا ، من طلوع النجوم مؤتلفة متفرقة فى أديم السماء وهى زرقاء زرقتها الصافية .

الثالث : تشبيه المفرد بالمركب (٢١٧) كما مر من تشبيه الشـاة الجبلى والشقيق والنيلوفر .

الرابع : تشبيه المركب بالمفرد كقول أبى تمام :

ياصاحبى تقصـيا نظريكما تريا وجـوه الأرض كيف تصـور

---

(٢١٦) هو لأبى طالب الرقى . وتجده فى الاسرار ص ١٣٧ .
وهو فى معنى قول كعب بن زهير .
ولبـلة مشـراق كأن نجـومها نفـرقن منهـا فى طيالسـة خضر
« راجعه فى ص ٢٣٦ صناعتين » .

(٢١٧) الفرق بين المركب والمفرد المقيد هو من حيث المفهوم واضح لأن المركب هيئة منتزعة من عدة امور والمفرد المقيد ما كان مقيدا بقيد ففى المركب المقصود بالذات الهيئة والأجزاء تبع للتوصل بها اليها وفى المقيد احد الأجزاء مقصود بالذات والباقى بالتبع . فالاحتياج للتأمل انما هو بالنظر للتراكيب فمعرفة المركب منها والمفرد محتاج للتأمل وتحكيم الذوق لأن المفرد والمركب مستويان باعتبار التركيب اللفظى غالبا وان اختلفا بحسب قصد الهيئة او قصد جزء من الأجزاء .
وهذه التفرقة بينهما باعتبار المتكلم أما باعتبار السامع فيفرق هو بينهما بالقرائن الدالة على أن المتكلم قصد الهيئة أو قصد جزءا مرتبطا بغيره او باعتبار انه لو استعمل ذلك التشبيه لم يطابق ذوقه الا ذلك الوجـه المقتضى للتقييد او للتركيب .

تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقمر (٢١٨)

يعنى أن النبات من شدة خضرته مع كثرته وتكاثفه قد صار لونه الى الاسوداد فنقص من ضوء الشمس حتى صار كضوء القمر .

(ب) التشبيه الملفوف والمفروق والتسوية والجمع .

وأيضا (٢١٩) ان تعدد طرفاه فهو اما ملفوف أو مفروق .

(أ) فالملفوف (٢٢٠) ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما كقول امرىء القيس :

---

(٢١٨) : نقصيا نظريكما اى ابلغا اقصى نظريكما واجتهدا فى النظر : وتقصيته اى بلغت اقصاه . تصور اى تتصور بحذف التاء . مشمسا : ذا شمس لم يستره غيم . شابه . خالطه . مقمر : ليل ذو قمر . شبه النهار المشمس الذى اختلطت به ازهار الربوات فنقصت باخضرارها من ضوء الشمس حتى صارت تضرب الى السواد بالليل المقمر ، فالمشبه مركب والمشبه به مفرد : قيل لا يخلو هذا عن تسامح لان قوله « مقمر » تقديره ليل مقمر ففى المشبه به تعدد وشائبة تركيب . والجواب أن الوصف والاضافة لا تمنع الافراد لما سبق ان المراد بالتركيب الهيئة المنتزعة من عدة اشياء والمشبه به هنا ليس كذلك بل مفرد مقيد بمقيد وحينئذ فلا تسمح على أن صاحب القاموس ذكر أن القمر ليلة فيها قمر فليس فى الكلام تقدير الموصوف حتى يرد الاعتراض .

والبيت فى ص ١٥٩ من المثل السائر ، ٤٤٣ من الصناعتين .

(٢١٩) : هذا تقسيم آخر للتشبيه باعتبار الطرفين ايضا .

(٢٢٠) : يسميه المبرد بالجامع ٩٧ جـ ٢ الكامل . وراجع فى ذلك ٧٥ و ٤١٣ من الدلائل ، ٢٢٣ و ٢٣٨ صناعتين . والملفوف سمى ملفوفا لف كل من المشبهات والمشبهات بها اى ضم بعضها الى بعض فى المشبهات وكذلك فى المشبهات بها ، ففيه الطرفان متعددان بحيث صار التشبيه تشبيهات لا تشبيها واحدا .

ملاحظة :

هذه الاقسام : الجمع واللف والتفريق والتسوية ، الاقرب فيها انها

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالى

(ب) وغير الملفوف (٢٣١) بخلاف ذلك كقول المرقش الأكبر :

النشر مسك والوجوه دنا
نير وأطراف الأكف عنم (٢٣٢)

ومنه قول أبى الطيب :

بدت قمرا ومالت خوط بان وفاحت عنبرا ورنت غزالا (٢٣٣)

(ج) وان تعدد طرفه الأول أعنى المشبه دون الثانى (٢٣٤) سمى

= من البديع لأنها من قبيل اللف والنشر الذى هو من الصنائع البديعية فكان وجه التعرض لها تكميل اقسام التشبيه مع ان الملفوف يشبه تشبيه المركب بالمركب ، والتسوية يشبه المركب بالمفرد ، والجمع يشبه تشبيه المفرد بالمركب . وان كان لا البأس فيها . والمفروق والملفوف يجرى فى الوجه أيضا .

(٢٣١) وهو التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر . وسمى مفروقا لأنه فرق بين المشبهات بالمشبهات بها وفرق بين المشبهات بها بالمشبهات .

(٢٣٢) النشر : الرائحة . عنم : هو شجر احمر والمعنى : ان رائحتهن تشبه رائحة المسك فى الطيب ، ووجوههن كالدنانير فى الاستدارة والاستنارة مع مخالفة الصفرة لأن الصفرة تستحسن فى ألوان النساء ، واصابعهن تشبيهة بلون هذا الشجر فى حمرتهن .

هذا والبيت من قصيدة فى المفضليات ، راجعها فى ص ١١١ — ١١٤ ، ويوجد البيت ايضا فى ص ١٩٦ من رسالة الغفران ، ٢٣٨ صناعتين ، ٤١٣ دلائل الاعجاز و ٨٨ اسرار البلاغة ، ٢٠١ معجم الشعراء .

(٢٣٣) الخوط : الغصن الناعم . البان : شجر معتدل القوام لين ورقة كورق الصفصاف . رنت : نظرت .

والبيت فى الأسرار ص ١٧٠ والدلائل ص ٢٣٢ وص ٣٤٥ .

(٢٣٤) وهو المشبه به .

تشبيه التسوية (٣٣٥) كقول الآخر :

صدغ الحبيب وحالى كلاهما كالليالى
وثغره فى صفاء وأدمعى كاللآلى

(د) وان تعدد طرفه الثانى أعنى المشبه به دون الأول سمى تشبيه الجمع (٣٣٦) كقول البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاح (٣٣٧)

ومثله قول امرىء القيس (٣٣٨) :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر
يعل به ، برد أنيابها اذا طرب الطائر المستحر

---

(٣٣٥) لأن المتكلم سوى بين شيئين أو اكثر بواحد فى التشبيه ، والمشبه به فى البيت واحد لان المراد بالتعدد هنا وجود معنيين مختلفى المفهوم والمصدوق ، لا وجود اجزاء الشىء مع تساويهما كالليالى .

(٣٣٦) سمى بذلك لانه جمع فيه للمشبه وجوه شبه ، أو لانه جمع له امور مشبهات بها .

(٣٣٧) قبله :

بات نديما لى حتى الصباح اغيد مجدول مكان الوشاح

الاغيد : الناعم البدن . منضد : منظم البرد : حب الغمام . الاقاح جمع اقحوان وهو ورد له نور وسطه ابيض وهو المراد هنا ومنه الاصفر . شبه ثغره بثلاثة اشياء فالمشبه هنا هو الثغر اى مقدم الاسنان ، والمشبه هنا هو التشبيه الذى ينبت عليه الاستعارة فى البيت فهو تشبيه ضمنى لا صريح .

(٣٣٨) راجعه فى ٢٨٤ ج ١ زهر الآداب ، ٤٧ رسالة الغفران .

المدام : الخمر . صوب الغمام : وقعه . الخزامى : نبت زهره من اطيب الازهار .

القطر : عود يتبخر به . يعل به : يسقى مرة بعد مرة والضمير للمدام . برد انيابها خبر كان . الطائر المستحر . الديك المصوت بالسحر : يريد انها طيبة الفم فى الوقت الذى تخبث فيه الافواه بعد النوم .

الا أن فيه شوبا من القصد الى هيئة الاجتماع .

٢ — تقسيم التشبيه باعتبار الوجه :

وأما باعتبار الوجه فله ثلاث تقسيمات : تمثيل وغير تمثيل ، ومجمل ومفصل ، وقريب وبعيد :

(أ) تشبيه التمثيل (٢٢٩) وغيره :

التمثيل (٢٣٠) : ما وجهه وصف منتزع من متعدد أمرين أو أمور

---

(٢٢٩) راجع ص ١٤٨ مفتاح ، ٧٥ ، ٢٠٧ اسرار البلاغة .

(٢٣٠) لا مانع من تفصيل الكلام هنا فى هذا المقام فنقول : لعلماء البلاغة خمسة آراء فى التشبيه والتمثيل .

١ — غيرى الزمخشرى وعلماء اللغة أن التمثيل والتشبيه لفظان مترادفان على معنى واحد ، فمجمد كالبحر تشبيه او تمثيل .

٢ — ويرى الامام عبد القاهر أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير غرزى والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسيا أو غرزيا أو خلقيا ، « فحجة كالشمس » تمثيل ، و « وجه سعدى كالبدر » تشبيه لا تمثيل .

٣ — ويرى الجمهور أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء كان الوجه عقليا مثل : « مثل الذين حملوا التوراة الخ » ام كان الوجه حسيا والطرفان :

(أ) مركبان . مثل قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(ب) او مفردان مثل قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كنعقود ملاحية حين نورا

(جـ) أو كان الأول مركبا والثانى مفردا مثل :

ياصاحبى تقصيا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا بشمسها قد شابه زهر الربى فكأنما هو مقمر

(د) أو كان الأمر بالعكس مثل :

وكان محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد

. . . . . .

اعـــلام ياقـــوت نشـــر ن على رمـــاح من زبر جـــد

٤ — ويرى السيد الجرجانى ان التمثيل ما كان طرفا التشبيه فيه مركبين كقول بشار « كأن مثار النقع الخ » .

والتشبيه عنده اعم من ذلك ، مثل « وقد لاح فى الصبح الثريا » مثلا.

٥ — ويرى السكاكى : ان التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد وكان وهميا . والمراد بالوهمى : ان يكون اتصاف احد الطرفين بوجه الشبه لأعلى سبيل الحقيقة اللغوية كقوله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة الآية » فالحمل حقيقة فى المحسات مجاز فيما عداها .

فمذهب الزمخشرى أعم مطلقا بالنسبة الى غيره من المذاهب فحجة كالشمس ومحمد كالأسد تشبيه عنده وان شئت نقل تمثيل .

وبين رأى الجمهور وعبد القاهر عموم وخصوص وجهى .

فالآية : « مثل الذين حملوا التوراة الخ » تمثيل على رأى عبد القاهر والجمهور ،وحجة كالشمس تمثيل عنده لا عند الجمهـــور ، « وقد لاح فى الصبح الثريا » تشبيه عنده لا عند الجمهور .

وبين رأى الجمهور والســـكاكى عموم وخصـــوص مطلق ، فالآية « مثل الذين حملوا التوارة الخ » تمثيل عندهما ، وقول ابن المعتز .

كأن عيـــون النرجس الغض حولنا مـــداهن در حشـــوهن عقيـــق

تمثيل عند الجمهور وتشبيه عند السكاكى .

وبين الجمهور والسيد عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى قول بشار كأن مثار النقع فوق رؤوسنا الخ ، وينفرد الجمهور فى : وقد لاح فى الصبح الـــخ .

وبين عبد القاهر والسيد عموم وخصوص وجهى يجتمعان فى الآية (مثل الذين حملوا الخ) وينفرد عبد القاهر فى حجـــة كالشمس وينفرد السيد فى بيت بشار .

وبين عبد القاهر والسكاكى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى الآية وينفرد عبد القاهر فى « حجة كالشمس » .

وبين السيد والسكاكى عموم وخصوص مطلق يجتمعان فى الآية وينفرد السيد فى بيت بشار .

فالآية الكريمة « انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الخ ، مثلا :

(أ) هى مثل ضربه الله للحق والباطل . فمثل الحق فى ثباته ونفعه

بالمـــاء الذى ينزل من السماء ، فتسيل به الاودية فيحيا عليه الناس وبالفلز الذى ينتفعون به فى صـــوغ الحلى واتخاذ الأوانى والآلات .. وان ذلك ماكث أبدا فى الأرض باق بقاء ظاهرا يثبت المـــاء فى منافعه وتبقى آثاره فى العيون وفى النبات وكذلك الجواهر تبقى ازمنة طويلة .

وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانســـلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه اذا اذيب.

(ب) وهذه الآية تمثيل عند عبد القاهر لان وجه الشبه عقلى غير غرزى ، وهو الثبات والمنفعة فى المـــاء والفلز والحق ، والزوال السريع عدم مع الفائدة فى الزبد والباطل . وهى ايضا تمثيل عند الزمخشرى وكذلك عند الجمهور لأن وجه الشبه هيئة منتزعة من متعـــدد وهو ما بين المـــاء والفلز والحق من تماثل فى الاستقرار والنفع وما بين الباطل والزبد من التلاشى وعدم النفع . وكذلك هى تمثيل عند السكاكى لأن وجه الشبه وهمى .

أما السيد فلا يرى مثل هذا تمثيلا لأن الطرفين غير مركبين .

وبيت النونجى :

وكأن النجـــوم بين دجاهـــا ســـــنن لاح بينهن ابتـــداع

وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول اشياء مشرقة بيض فى جوانب شىء مظلم أسود فشبه النجوم ما بين الدياجى بالســـنن ما بين الابتداع فى ذلك .

وهذا البيت تمثيل على راى الجميع :

أما عند الزمخشرى فظاهر ، وأما عند الجمهور فلان وجه الشـــبه فيه هيئة منتزعة من متعدد ، وأما عند السيد فلان الطرفين مركبان ،وأماعند السكاكى فلأن اتصاف المشبه به يوجه الشبه خيالى ، وأما عند عبد القاهر فلأن وجه الشبه عقلى غير غرزى اذ أن المشبه به عقلى فلا يكون وجه الشبه فى البيت الا عقليا ولانه يحتاج الى التأويل وذلك أن تشبيه البـــدعة والضلالة بالظلمة وتشبيه السنة والهدى بالنور مما يحتاج الى تأويل .

ومن الجدير بالمـــلاحظة أن التمثيل محتاج الى التأول دون التشبيه عند عبد القاهر ، والتأول فى التشبيه هو طلب المـــآل والمرجع فيه اى طلب الوصف المشترك بين الطرفين فى الواقع ونفس الأمر .

وانسر فى احتياج التمثيل الى التأول دون التشبيه عند عبد القاهر هو أن وجه الشبه فى التمثيل ظاهره خلاف المقصـــود منه وان الاشتراك بين الطرفين فى حكم لازم لوجه الشبه ومقتضى له فالجامع فى الحقيقة لازم

• • • • • • • • • • • • • •

لما ذكر فى الكلام او فهم منه . فقولنا : خلقك كالزهر نضرة وكالربيع جمالا ، ليس المقصود فيه تشبيه الخلق بالزهر فى النضرة ولاتشبيهه بالربيع فى الجمال ، انما المقصود تشبيه الخلق بالزهر من جهة ما يلزم النضرة من ارتياح له وحبهم اياه وتنائهم عليه وذيوع ذكره فيهم ذيوع ارج الزهر بين الرياض والخمائل والازهار والورود ، وكذلك تشبيه الخلق بالربيع فى الحسن ليس الحسن هو وجه الشبه الحقيقى انما هو شغف الناس به واجلالهم اياه وتمتعهم بنبيل اخلاقه وكريم آدابه تمتع العاشق المقبول والصب المتيم بمشاهدة محاسن محبوبته ومفاتن ليلاه . فالمراد الاخبار بان السامع يجد من نبل اخلاق هذا الرجل ما يجده الناظر لنضرة الزهر والرائى لمحاسن الربيع ، فنجد اننا فى بيان الوجه فى التمثيل قد احتجنا الى التاويل .

اما التشبيه فالجامع فيه عند عبد القاهر امر حسى مشاهد ظاهرة باطنه والجامع فى الطرفين على حد سواء غاية الامر انه يتفاوت ضعفا وقوة او قلة وكثرة .. فاذا قلنا : « شعرها كفحمة الليل » فاننا ننصر سواد الشعر وظلام الليل جميعا وان كانا يختلفان فى السواد قوة وضعفا .

وهكذا فالجامع بين الطرفين فى التشبيه هو نفس الصفة المذكورة فى الكلام او التى نفهم بادى ذى بدء منه فلا يحوج الامر فيه الى التاويل .

الخلاصة :

١ — التمثيل والتشبيه عند الزمخشرى وعلماء اللغة مترادفان فكل تمثيل تشبيه وبالعكس .

ويرى الجمهور ان التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد سواء كان :

الوجه حسيا ، والطرفان :

(أ) مركبان مثل :

كأن مثار النقع فوق رءوسنا ... واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(ب) او مركب ومفرد مثل :

ياصاحبى تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الارض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربا فكأنما هو مقمر

(جـ) او مركب ومفرد مثل :

وكأن محمر الشقيـ ... ـق اذا تصوب او تصعد

اعلام ياقوت نشر ... ن على رماح من زبرجد

(د) او مفردان مثل :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى ... كعنقود ملاحية حين نورا =

وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى (٢٣١) ، ومثل بصور مثل بهـا غيره ومنها قول ابن المعتز (٢٣٢) :

اصـبر على مضـض الحسـو د فـان صـبرك قاتـلـه
فالنـار تـأكل بعضـهـا ان لم تجـد ما تـأكله

فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته مع تطلبه اياها لينال بهـا نقمة مصدور بالنار التى لا تمد بالحطب فى أمر (٢٣٣) حقيقى منتزع

= او كان الوجه عقليا مثل : مثل الذين حملوا التوراة الخ ، . وعلى مذهب الجمهور يكون التشبيه أعم مطلقا .

ويرى السيد أن التمثيل ما كان طرفاه مركبين ، والتشبيه أعم .

ويرى عبد القاهر أن التمثيل ما كان وجه الشبه فيه عقليا غير غريزى ولا خلقى ، والتشبيه ما كان وجه الشبه فيه حسيا او غريزيا او خلقيـا . فبينهما عنده عموم وخصوصا مطلق .

ويرى السكاكى ان التمثيل ما كان وجه الشبه فيه هيئة منتزعة من متعدد وكان وهميا . والوهمى ان يكون أحد الطرفين قد اتصف بوجه الشبه لا على وجه الحقيقة كقوله :

وكان النجـوم بين دجـاها سـنن لاح بينهـن ابتـداع

هذا والوجه فى التمثيل هيئة مأخوذة من متعدد سواء كان طرفاه مفردين أو مركبين أو مختلفين وسواء كان الوجه حسيا أو عقليا او اعتباريا وهميا وهـذا هو مذهب الجمهور ، والسـيد بشرط تركيب الطرفين ، والسكاكى بشرط أن يكون الوجه وهميا . أما الزمخشرى فيجعل التمثيل مرادفا للتشبيه . فالمراد بالمتعدد هنا ماله تعـدد فى الجملة سـواء تعلق التعدد بأجزاء الشىء الواحد أم لا .

(٢٣١) أى قيد الوجه المنتزع من متعدد بأن يكون الوصف غير حقيقى أى غير متحقق حسا ولا عقلا بل كان اعتباريا وهميا .

(٢٣٢) تجدهما فى المعتد ٣٠٦ ج ١ ، والمفتـاح ١٤٨ ، والأسـرار ص ٧٧ .

(٢٣٣) عند السكاكى : فى أمر متوهم ، وفى أمر تصورى ، وفى أمر توهمى . فيكون قول الخطيب فى أمـر حقيقى زيادة من عنـده على كلام السكاكى يقصد بها بيان الأمر عند الجمهور نقدا للسكاكى فى اعتبارها أمرا وهميا .

من متعدد وهو اسراع الفناء لانقطاع ما فيه مدد البقاء ... ومنها قول صالح بن عبد القدوس (٣٣٤) :

وان من أدبتـــه فى الصـــبا كالعود يسقى المـاء فى غرســه
حتى تـراه مونقـــا نـاضرا بعد الذى أبصرت من يبســه

فان تشبيه المؤدب فى صباه بالعود المسقى أو أن غرسه فيما يلزم كل واحد من كون المؤدب فى صباه مهذب الاخلاق حميد الفعال لتأديبه المصادف وقته ، وكون العـود المسقى أوان غرسـه مونقا باوراقه ونضرته لسقيه المصادف وقته ، من تمام (٣٣٥) الميل وكمال الاستحسان بعد خلاف (٣٣٦) ذلك ... ومنها قوله (٣٣٧) تعالى : مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ؛ فان تشبيه حال المنافقين بحال الموصف بصفة الموصول فى الآية فى أمر (٣٣٨) حقيقى منتزع من متعدد ؛ وهو الطمع فى حصول مطلوب ؛ لمباشرة أسبابه القريبة مع تعقب الحرمان والخيبة لانقلاب الأسباب (٣٣٩) .

وغير التمثيل ما كان بخلاف ذلك كما سبق فى الأمثلة المذكورة .

---

(٣٣٤) من ابيات راجعهـا فى ص ٣٢ من الأدب العباسى لمحمـود مصطفى ؛ وتجد البيتين فى ٣٦٣ ج ١ العقد ؛ ١٤٨ المفتاح ؛ ٧٧ الاسرار ، وفى البيان ص ١٦٩ ج ٢ شعر فى هذا المعنى .

(٣٣٥) قوله « من تمام » متعلق بقـوله « فيما يلزم كل واحـد » السـابق .

(٣٣٦) هذه الجملة ليست فى المفتـاح ، بل الذى فيه « وكمال استحسان حاله وهو كما ترى أمر تصورى لا صفة حقيقة . وهو مع ذلك منتزع من عدة أمور » .

(٣٣٧) راجع ١٤٨ عن المفتاح .

(٣٣٨) فى هذه الجملة ما سبق شرحه فى نظيرتها السابقة .

(٣٣٩) والخلاصة اخيرا ان التمثيل عند السكاكى اخص منه بتفسير الجمهور . اما عند الزمخشرى فكل تشبيه تمثيل ولو كان الوجه مفردا .

(ب) التشبيه المجمل والمفصل :

والمجمل ما لم يذكر وجهه :

١ — فمنه ما هو ظاهر ، يفهمه كل أحد حتى العامة ، كقولنا « زيد أسد » ؛ اذ لا يخفى على أحد أن المراد به التشبيه فى الشجاعة دون غيرها .

٢ — ومنه ما هو خفى لا يدركه الا من له ذهن يرتفع به عن طبقة العامة ، كقول من وصف بنى المهلب (٢٤٠) للحجاج لما سأله عنهم وان أيهم أنجد ، « كانوا كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها »، أى لتناسب أصولهم وفروعهم فى الشرف يمتنع تعيين بعضهم فاضلا وبعضهم أفضل منه ، كما ان الحلقة المفرغة لتناسب أجزائها يمتنع تعيين بعضها طرفا وبعضها وسطا ، هكذا نسبه الشيخ عبد القاهر الى من وصف بنى المهلب (٢٤١) ، ونسبه الشيخ جار الله العلامة الى الانمارية ، قيل هى فاطمة بنت الخرشب (٢٤٢) ، سئلت عن بنيها أيهم أفضل ، فقالت : عمارة ، لا بل فلان ، لابل فلان لا ، ثم قالت : ثكلتهم

= وذهب عبد القاهر الى انه يشترط فى التمثيل ان لا يكون الوجه حسيابل كان عقليا أو اعتباريا وهميا ؛ واعم هذه المذاهب مذهب الزمخشرى ويليه فى العموم مذهب الجمهور ويليه مذهب الشيخ . ثم الهيئة من حيث انها هيئة اعتبارية جعلها حسية او عقلية انما هو باعتبار الامور المنتزعة منها .

هذا وقد كتب السيد فى حاشيته على المطول ص ٣٩١ وما بعدها كلاما طويلا فى التشبيه التمثيلى ، واختار ان وجهه كطرفيه لابد فى ثلاثتها من التركيب .

(٢٤٠) وهو كعب بن معدان الاشقرى .

(٢٤١) وفى معناه « ذرية بعضها من بعض » .

(٢٤٢) وهذا فى الكامل للمبرد ٢٤٤ جـ ٢ ، وفى زهر الآداب ٢١٣ و ٢١٤ جـ ٢ ورواها عبد القاهر فى الاسرار ص ٧٤ .

(٢٤٣) وراجع الرواية عنها فى الادب فى العصر الجاهلى ص ٢٤١ وفى الكامل للمبرد ص ١٠٨ جـ ١ حديث عنها .

ان كنت اعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها » .. وأيضا منه (٢٤٤) .

(أ) ما لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه (٢٤٥) به كالمثال الأول .

(ب) ومنه ما ذكر فيه وصف المشبه به وحده (٢٤٦) كالمثال الثانى ، ونحوه قول زياد الاعجم (٢٤٧) :

وانـا وما تلقى لنا ان هجوتنـا لكالبحر مهمـا تلق فى البحر يغرق

وكذا قول النابغة الذبيانى (٢٤٨) :

فانك شـمس والملوك كواكب اذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ومنه ما ذكر فيه وصف كل واحد منهما كقول أبى تمام (٢٤٩) :

---

(٢٤٤) اى من التشبيه المجمل ، اما المفصل فله وجه فلا يذكر فيه الوصف المذكور المشعر ، فلو ذكر الوصف المشعر بالوجه فى التشـبيه المفصل لكان تكرارا وهو مستقبح .

(٢٤٥) اى لم يذكر فيه وصف المشبه ولا وصف المشبه به ، يعنى الوصف الذى يكون فيه ايماء الى وجه الشبه ، نحو زيد أسد .

(٢٤٦) اى دون وصف المشبه ، اى الوصف المشعر بوجه الشبه ، كقولها « هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها » ، فوصف المشبه به هو نفى الدراية ، اما وصف الحلقة بالافراغ فلتحقق المشبه به وحينـئذ فلا دخل له فى الايماء الى وجه الشبه .

(٢٤٧) راجعه فى ٧٦ و ٤١٣ من الدلائل .

(٢٤٨) راجعه فى الأسرار ص ١١٩ ، ٢٦ ج ٣ من الكامل ، ٩٩٠ و ٢٣٧ صناعتين ، ٩٢ ج ٣ زهر الاداب .

(٢٤٩) راجعه فى الموازنة ص ٤٣ ، وفى المثل السائر ص ١٥٧ ، صدقت عنه : اعرضت عنه . وافاك : اتاك . ريق كل شىء اى افضله ، فوصف المشبه اعنى الممدوح بان عطاياه فائضة عليه اعرض او لم يعرض ، وكذلك وصف المشبه به اعنى الغيث بانه يصيبك ان جئته او ترحلت عنه ، =

صدفت عنه ولم تصدف مواهبه عنى ، وعاوده ظنى فلم يخب
كالغيث ان جئته وافاك ريقه وان ترحلت عنه لج فى الطلب

والمفصل : ما ذكر وجهه (٢٥٠) ، كقول ابن الرومى (٢٥١) :

يا شبيه البدر فى الحسـ ـن وفى بعد المنال
جد فقد تنفجر الصـ ـخرة بالماء الزلال

وقول أبى بكر الخالدى :

يا شبيه البدر حسنا وضياء ومنالا
وشبيه الغصن لينا وقواما واعتدالا
أنت مثل الورد لونا ونسيما ومثلا
زارنا حتى اذا ما سرنا لقرب زالا

وقد يتسامح بذكر ما يستتبعه مكانه (٢٥٢) : كقولهم فى وصفه

= والوصفان مشعران بوجه الشبه وهو مطلق الافاضة فى الحالين ، اعنى الافاضة فى حالتى الطلب وعدمه بالنسبة للغيث المشبه به وحالتى الاقبال عليه والاعراض عنه بالنسبة للممدوح المشبه وترك المصنف ما ذكر فيه وصف المشبه فقط ولعله لعدم الظفر له بمثال فى كلامهم ومثاله الشمس التى اذا طلعت لم يبد كوكب مثلك .

(٢٥٠) اى حقيقة او ذكر فيه ملزوم وجه الشبه كما سيشير اليه بقوله « وقد يتسامح » .

(٢٥١) راجعهما فى ٢٥٤ من الاسرار . المنال : التناول او مكانه ، يعنى بعد وصاله وانه مثل البدر فى بعد مناله .

(٢٥٢) اى بكان وجه الشبه وبدلا منه ، اى قد يتساهل بذكر ملزوم وجه الشبه ، فيكون ذلك من التشبيه المفصل ايضا ، اى قد يتساهل بذكر مكان وجه الشبه امر يستلزم ذلك الامر وجه الشبه ، ومعنى ذكره مكانه ان يؤتى به على طريقته من ادخال «فى» عليه ليخرج بذلك ذكر الوصف المشعر بالوجه لاحد الطرفين او كليهما فانه لا يذكر على طريقة وجه الشبه .
وراجع ذلك فى ص ١٤٥ مفتاح ، ٧٣ و ٧٤ و ٧٨ من الاسرار .

الألفاظ اذا وجدوها لا تثقل على اللسان ، لتنافر حروفها أو تكرارها ، ولا تكون غريبة وحشية تستكره لكونها غير مألوفة ، ولا مما تبعد دلالتها على معانيها : هى كالعسل (٢٥٣) فى الحلاوة وكالماء فى السلاسة وكالنسيم فى الرقة ، وقولهم فى الحجة اذا كانت معلومة الأجزاء ، يقينية التأليف بينة الاستلزام للمطلوب : « هى كالشمس فى الظهور والجامع فى الحقيقة لازم الحلاوة وهو ميل الطبع(٢٥٤) ، ولازم السلاسة والرقة وهو افادة النفس نشاطا وروحا ، ولازم الظهور وهو ازالة الحجاب فان شأن النفس مع الألفاظ الموصوفة بتلك الصفات كشأنها مع العسل الذى يلذ طعمه ، فتهش النفس له ، ويميل الطبع اليه ، ويحب وروده عليه ، أو كشأنها مع الماء الذى يسوغ فى الحلق ، ومع النسيم الذى يسرى فى البدن ، فيتخلل المسالك منه ، فيفيدان النفس نشاطا وروحا ، وشأنها مع الشبهة التى تمنع القلب ادراك ما هى شبهة فيه كشأنها مع الحجاب الحسى الذى يمنع أن يرى ما يكون من ورائه ، ولذلك توصف بأنها اعترضت دون الذى يروم القلب ادراكه» قال الشيخ صاحب المفتاح (٢٥٥) : وتسامحهم هذا لا يقع الا حيث يكون التشبيه فى وصف اعتبارى كالذى نحن فيه . وأقول : يشبه أن يكون تركهم التحقيق فى وجه الشبه على ما سبق التنبيه عليه من تسامحهم هذا . انتهى كلامه .

---

(٢٥٣) راجع ٧٢ من الاسرار .

(٢٥٤) وهذا وجه فى المثال ويحتمل ان تكون الحلاوة نفسها هى وجه الشبه ويكون وجودها فى المشبه وهو الكلام على وجه التخييل كما فى تشبيه السنة بالنجم والبدعة بالظلمة ، وهذا هو الاقرب لانه على الوجه الاول يكون مجازا ولا تسامح فيه . هذا والتلازم يكتفى فيه بالتلازم العادى ولا يشترط ان يكون عقليا فالمراد بالاستلزام هنا مجرد الحصول مع الحصول سواء كان عاديا او عقليا ولا يشترط التلازم العقلى .

(٢٥٥) راجع ١٤٨ من المفتاح .

(ج — التشبيه القريب والبعيد (٢٥٦)) .

والقريب (٢٥٧) المبتذل (٢٥٨) وهو ما (٢٥٩) ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به .

---

(٢٥٦) راجع ص ١٤٩ و ١٥٠ من المفتاح ، ص ١٣٥ — ١٥٦ من اسرار البلاغة .

(٢٥٧) اى يستعمله العامة وغيرهم .

(٢٥٨) اى المتداول .

(٢٥٩) اى التشبيه الذى .

ملاحظة :

لتفصيل الكلام فى قرب التشبيه وبعده وغرابته وسبب الغرابة نقول :

نسمع البيانيين يقولون : تشبيه غريب وغير غريب فنفهم معنى ما يقولون بطريق الاجمال دون التفصيل ولكن هذه المعرفة الاجمالية لا تغنى غناء التفصيل فان لوضع الحدود وذكر الفروق وبيان التقسيم فائدة جلى عند البلاغى يتم بها الغرض وتسكن اليها النفس ويرتاح لها الفؤاد : اما الضابط العام فى سبب الغرابة فهو بعد الشبه فى بادىء الراى بأن يكون الشبه المقصود من المشبه مما لا ينزع اليه الخاطر الا بعد بحث وروية لأن الانتقال فى التشبيه من المشبه الى المشبه به مما لا يقع الا بعد اتعام النظر وتحريك الفكر واستعراض الصور والاخيلة لاختيار ما يناسب الغرض ويشاكل المقصود ، وبهذا يكون التشبيه غريبا ، فان كان الانتقال فى التشبيه من المشبه الى المشبه به غير محتاج الى شىء من ذلك لظهور وجه الشبه فى بادىء الراى فالتشبيه ليس بغريب .

امثلة لغير الغريب : ترى الشمس فيجرى فى خاطرك استدارتها واشراق نورها ويستحضر ذهنك عند ذلك من غير كد صورة المرآة المجلوة ، ويتراءى له الشبه بين هذين الأمرين .

ومن التشبيه غير الغريب تشبيه الوشى المنشور الذى تفتن فى حسنه العيون وتقيد فى رقشه المنمنم الابصار بالروض الممطور يفتر فيه النور وتتضاحك بين اغنانه الازهار ، وتشبيه السيف المجلو المسلول بالبرق الخاطف المستطير .

فالامثلة السابقة لم يكد فيها الفكر فى عقد الشبه بين الطرفين ولكن هل يسرع الخاطر هذا الاسراع الى تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل ، وهل يستحضر الذهن بهذه الطفرة تشبيه البرق الخاطف باصبع السارق

* * * * * * * * * * * * * *

كما يقول كشاجم ، وهل يجلو الاديب بسهولة ودون تفكير تشبيه البرق فى انبساطه وانقباضه بانفتاح المصحف وانطباقه بسهولة ودون تفكير كما يقول ابن المعتز ، او تشبيه الشقيق باعلام ياقوت على رماح زبرجد ، او تشبيه النجوم الساطعة فى زرقة السماء الصافية بالدر المنثور على بساط ازرق كقول الرقى ، وغير ذلك من التشبيهات التى تحوج الى التفكير وتأتى بعد الكد والروية والتى تنظم فى سلك التشبيه الغريب .

سبب غرابة التشبيه وظهوره : علمت ان ضابط الغرابة وعدمها فى التشبيه هو بعد الفكرة فى الشبه او قربها وخفاء الوجه او ظهوره ، فكان بعض الشبه حاضرا فى الفكر ابدا وبعضه كالغائب عنه وبعضه كالبعيد عنه لا ينال الا بعد الانعام والتفكير . اما سبب ذلك فيرجع الى احد شيئين :

١ — حضور المشبه به فى الذهن او بعده عنه .

٢ — الاجمال او التفصيل .

(أ) حضور المشبه به فى الذهن او ندرة حضوره :

مما يقتضى حضور الشىء فى الفكر ، وثبوت صورته فى النفس كثرة مشاهدته ورؤيته بالبصر او ادركه باحدى الحواس كل وقت او حين ، وبعكس ذلك كان من سبب بعد الشىء عن الذهن وعدم مروره بالخاطر قلة رؤيته وندرة مشاهدته وانه مما يحس حينا بعد حين ، وذلك أن الحواس ولا سيما البصر هى التى تحفظ صور الاشياء فى النفس وتجدد عهدها بها وتأبى لها وتمنعها أن تزول عن الفكر او تمحى من الذاكرة ، وعلى ذلك فاذا كان المشبه به — وصفا او صورة او هيئة — غالب الحضور فى الذهن اما عند حضور المشبه لقرب المناسبة بينهما كتشبيه التفاحة بالوردة واما مطلقا لكروره على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة المجلوة كان التشبيه فيه قريبا مبتذلا .

وما كان بالضد من ذلك ، بأن يكون المشبه به نادر الحضور فى الذهن اما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، واما مطلقا .

١ — لكونه :

(أ) وهميا كما فى تشبيه المنية بأنياب الاغوال .

(ب) او مركبا خياليا كتشبيه الشقيق باعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد .

. . . . . .

(ج) او عقليا كتشبيه احبار اليهود بالحمار يحمل اسفارا .

٢ — او لكونه لا ينكر على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الاشل .. فما كان من التشبيه كذلك فالتشبيه المردود اليه غريب نادر وخاصى بديع .

وبين هاتين المرتبتين اوساط قيمتها البلاغية بحسب حالها منهما فما قرب منهما الى الاولى فهو قريب وما قرب الى الثانية فهو افضل وأعجب .

(ب) الاجمال والتفصيل .

الجملة دائما اسبق الى النفس من التفصيل سواء كانت فى المشاهدات المحسة ام فى المعقليات البعيدة . الا ترى ان النظرة الاولى لا تبلغ حقيقة الشيء على التفصيل بل على الجملة ثم بانعام النظر ومعاودته تصل الى التفصيل ، وهكذا سائر الحواس حكمها فى اول ادراكها مجمل قاصر ، ثم تدرك بها فى المرة الثانية تفاصيل الشيء المحس ودقائقه ، فلا شك انك تدرك من تفاصيل الصوت او الذوق مثلا فى المرة الثانية ما لم تدركه فى المرة الاولى .

وبالادراك التفصيلى يتفاضل الناظرون والسامعون فاما المعرفة الاجمالية فتستوى فيها الاقدام ، فمن ادرك تفصيل ما رأى او سمع او تذوق كان كمن يختار الشيء من بين جمله وكمن يميزه مما اختلط به ، ومن لا يعمه التفصيل فهو كمن يأخذ الشيء جزافا .

وهكذا ما يدرك العقل ، الجمل فيه اسبق الى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها بينها لا تحضر الا بعد اعمال الروية والفكر .

ويتفاوت الحال فى الحاجة الى الفكر بحسب مرتبة الوصف الجامع من حد الجملة وحد التفصيل فكلما كان الشبه اوغل فى التفصيل كانت حاجته الى الروية والتفكير اكثر .

فاشتراك الامرين فى وجه الشبه اذا كان من جهة الاجمال بحيث لا يشوبه شيء من التفصيل كاشتراكهما فى السواد او الحمرة مثلا — لم يحتج الى القياس والتشبيه ، فان نال التشبيه شيئا من التفصيل احتاج بعد ذلك الى اعمال الفكر مثل تشبيه حمرة الخد بحمرة التفاح ، فان زاد تفصيله ازداد الامر قوة فى اقتضاء الفكر وطلب الروية نحو تشبيه سقط النار بعين الديك فى قول الشاعر : وسقط كعين الديك الخ ، فان ما فى المشبه به من تفصيل وخصوص يزيد على النظرة المجملة من كون الحمرة

. . . . . .

رقيقة ناصعة والسواد صافيا براقا كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فان وجه الشبه — وهو الاستدارة والاشراق والحركة السريعة المتصلة والتموج والاضطراب فى الاشراق لا يقوم فى نفس الناظر للمرآة الدائمة الاضطراب الا بعد النظر والتأمل .

وبحاجة التشبيه الى اعمال الفكر ترتفع طبقته فى البلاغة .

فضابط الغرابة هو خفاء الفكرة فى الشبه ، وبعد الشبه فى بادىء الرأى بأن يكون الوصف المقصود من المشبه به مما لا ينزع اليه الخاطر الا بعد بحث وروية لأن الانتقال فى التشبيه من المشبه الى المشبه به مما لا يقع إلا بعد انعام وتحريك الفكر واستعراض الصور والأخيلة لاختيار ما يناسب الغرض ويشاكل المقصود وسبب ذلك يرجع الى أحد أمرين :

الأول : ندرة حضور المشبه به فى الذهن : اما عند حضور المشبه ، لبعد المناسبة بينهما كما فى تشبيه البنفسج بنار الكبريت ، واما مطلقا لكونه وهميا كتشبيه المنية بانياب الاغوال ، وتشبيه النوى بالغول كما فى قول الشاعر :

ثم شبت لى النوى الحرب فيه وهى غول هريتة الاشداق

او مركبا خياليا كتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد أو عقليا كتشبيه أحبار اليهود بالحمار يحمل اسفارا ، او لكونه لا يتكرر على الحس كتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل .

وما كان كذلك فالتشبيه المردود اليه غريب نادر وخاصى بديع .

وذلك ان قلة مشاهدة الشىء وندرة رؤيته بالبصر وأنه مما يحس حينا بعد حين مما يقتضى بعد الشىء عن الذهن وعدم مروره بالخاطر لأن الحواس ولا سيما البصر هى التى تحفظ صور الأشياء فى النفس ، وتجدد عهدها بها والفها لها ، وتمنعها أن تزول عن الفكر او تمحى من الذاكرة ، فاذا كان المشبه به مما لا يرى الا نادرا قلت مشاهدته وضعفت ملاحظته وكان التشبيه المعقود عليه غريبا نادرا .

الثانى : التفصيل :

الجملة دائما أسبق الى الذهن من التفصيل ، وأقل منه أثرا فى ادراك الأشياء ، ولا يصل الانسان الى التفصيل الا بانعام النظر ومعاودته لان التفاصيل مغمورة فيما بين الجمل لا تحضر الا بعد اعمال الروية والفكر .

وكلما كان الوصف أرغل فى التفصيل كانت الحاجة الى التفكير اكثر ،

والفكر الى التأمل اشد ، فاشتراك الطرفين فى وجه الشبه ان دخل فى التفصيل شيئا احتاج بقدر ذلك الى اعمال الفكر وكد الذهن كتشبيه الحجة البالغة بالشمس الساطعة .

فاذا زاد تفصيله بخصوص يدق عن البيان ، ويتعرف بفضل التأمل والامعان ازداد الامر قوة فى اقتضاء الفكر وطلب الروية كتشبيه بشاشة الاريحية والندى بابتسام الصبح فى الدجى فى قول الشاعر :

أمسى ابتسامك والالوان كاسفة
تبسم الصبح فى داج من الظلم

وكتشبيه سقط النار بعين الديك فى قول الشاعر :

وسقط كعين الديك غاورت صحبتى
اياها ، وهيانا لموضعها وكرا

فان ما فى المشبه به من تفصيل وخصوص يزيد على كون الحمرة رقيقة ناصعة والسواد صافيا براقا .

ولتفاوت مراتب التفصيل واختلاف الحاجة الى الفكر بحسب ذلك ، تفاوتت مكانة التشبيه فى البلاغة ، فقولنا : « فى طرف هذه العذراء سحرها روت من فتكه بالالباب ، واثارته لمكامن الهوى والاعجاب » ابلغ وأروع من ان نقول : طرفها فى سحره سهم فاتك » ، وذلك لان التفصيل والخصوصية فى المشبه به الاول (سحرها روت) اكثر واظهر منها فى الثانى (وهو السهم) .

وحسبنا ان ننظر الى قول الشاعر :

يتابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

ثم نقابل به قول الآخر :

جمعت رديئا كان شباته
سنا لهب لم يتصل بدخان

فسنرى ان البيت الثانى ابلغ واروع من الاول ، وان كان المشبه به شيئا واحدا فيهما وهو شعلة النار . وذلك ان فى الثانى تفصيلا لطيفا اغفله الاول ، فقد زاد زيادة جميلة وقصد الى غرض بليغ ، هو ان تصر التشبيه على مجرد النار الملتهبة دون ما يتصل بها من دخان ، حتى لا تقدح الفكرة والروية فى حقيقة الشبه ، اما الشاعر الاول فقد اجمل ولم يخرج ذلك الدخان الداجن الذى يمنع من قيام التشبيه ، ويزيل روعته ، ففاق البيت الثانى الذى تراه ابلغ واروع وافضى لحقائق التشبيه ودقائق

• • • • • • • • • • • • • •

الأوصاف ، فان التفصيل الذى اتى به مما لا يقع فى الخاطر لاول وهلة ، بل لا يدفيه من الاناة والروية والنظرة الفاحصة التى ترى فى الاصل (وهو المشبه به) ما يقدح فى حقيقة التشبيه وهو الدخان الذى يعلو راس الشعلة مع خلو السنان مما يشبه ذلك ، فتاتى بما يدفع هذا الخطأ ، ويرفع ذلك العيب .

هذا ويقع التفصيل على ثلاثة وجوه :

الأول : أن يفصل المشبه بان ياخذ بعض اوصاف المشبه به ويدع الاخر كما فعل امرؤ القيس حين فصل الدخان عن سنا اللهب ، وجرده عنه ، واثبت السنا مفردا .

الثانى : التفصيل بالنظر الى اوصاف المشبه وتطلبها فى المشبه به واعتبارها كلها فيه كتشبيه الثريا بعنقود الكرم فى قول الشاعر :

وقد لاح فى الصبح الثريا كما ترى كعنقود ملاحية حين نورا

لتوافق الهيئتين فى الشكل واللون والتقارب على الوجه المخصوص.

الثالث : التفصيل بالنظر الى خاصية تخص المشبه به وتظهر فيه ، وذكرها فى التشبيه ، وذلك كالخاصية التى تجدها فى صباح البوازى فى قول الشاعر :

كان على انيابها كل سحرة صباح البوازى من صريف اللوائك

وكما فى المشبهات بها فى هذه الأبيات :

من كل زاهرة ترقرق بالندى فكانها عين اليك تحدر

تبدو وبحجبها الجميم كانه عذراء تبدو تارة وتخفر

من فاتح غض النبات كانه درر تشقق قبل ثم تزعفر

فان الأديب لا يقنع بأن هذا صوت وذلك عين وتلك عذراء وهذى درر، ولكنه ينفذ الى أعماق الأشياء ، فتقول : هذا صوت شاد وتلك عين تنحدر، وهذه عذراء تبدو تارة وتخفر اخرى ، وهذى درر تشقق ثم تزعفر .

وللتفصيل مراتب كثيرة ، وغرائب بليغة ، ودقائق لطيفة ، ومما يكثر فيه التفصيل ما كان من التشبيه مركبا بين شيئين او اشياء وهو على قسمين :

الأول : ان يكون المشبه به بقدر المشبه وصفته ويكون غير موجود فى الخارج كتشبيه النرجس بمداهن در حشوهن عقيق وكتشبيه الشقيق باعلام ياقوت على رماح من زبرجد وكتشبيه النيلوفر الندى بدبابيس عسجد قضبها من زبرجد فى قوله :

• • • • • • • • • • • • • • •

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

فقد راعى الشاعر اجزاء المشبه به وقدر اجتماعها على وجه مخصوص وبشرط معلوم ليحصل الشبه المطلوب ، فانت تراه مثلا قد حصل الشبه فى الترجس من المداهن والعقيق بشرط ان تكون المداهن من در وان يكون العقيق فى حشوها ولو اخل بواحد من هذه الامور لم يحصل الشبه . وكذلك لو خالف الوجه المخصوص فى الاجتماع والاتصال .. ويلاحظ ان صورة المشبه به هنا مما لا توجد ولا نظير لها فى الخارج .

الثانى : ان تعتبر فى التشبيه هيئة مجموعة من اقتران شيئين وذلك الاقتران مما يوجد فى الخارج كتشبيه الشمس وهى تسطع من مشرقها ببوتقة محمية يجول فيها ذهب ذائب ، وكقول الشاعر :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف اشهب ملقى الجلال

فى تشبيه هيئة اختلاط الصبح بالليل ومقارنة احدهما للآخر بالفرس الاشهب قد القى الجل ، فهذا الاقتران الذى وضع عليه التشبيه مما يوجد ويعهد بعكس تشبيه الشقيق باعلام ياقوت الخ مثلا فانه لا يتعدى الوهم والتقدير . ويلاحظ ان وجود ذلك الاقتران يتفاوت حاله ؛ فمنه ما يتسع وجوده مثل كانها فضة قد مسها ذهب ، ومنه ما يوجد فى النادر القليل مثل : درر نثرن على بساط ازرق .

هذا واذا اعتبرنا موضع قسمى التفصيل المركب (وجود المشبه به المركب وعدم وجوده) من عبرتى الغرابة (الندرة والتفصيل) راينا هذين القسمين بحسب نسبتهما من العبرتين يعطيانهما لطف الغرابة ، وينفضان عليهما صبغة السحر وروعة الحسن والاعجاب . فقول الشاعر :

« اعلام ياقوت نشر ن على رماح من زبرجد »

وقوله :

كلنا باسط اليد نحو نيلوفر ندى
كدبابيس عسجد قضبها من زبرجد

من المقدر الذى لا يباشر الوجود ، قد اجتمع فيهما الندرة والتفصيل ، وقد اثت فيهما الندرة على غاية القوة والروعة لان المشبه به بمتنع فى الخارج لا يتصور الا فى الوهم والتقدير .

اما قول الشاعر :

وكان اجرام السماء لوامعا درر نثرن على بساط ازرق

. . . . . .

ففيه عبرة الندرة ضعيفة لان المشبه به ممكن الوجود وان كانت رؤيته قليلة ، فقد دنا من الوقوع فى الفكر والتعرض للذكر دنواً لا يقاربه الاول فيه ، ولذلك كان الضرب الاول ابلغ واسنى واروع واقوى .

ومن هذه المثل نرى ان عبرة الندرة مختلفة فى المكانة والروعة والبلاغة، وكذلك عبرة التفصيل تختلف وتتنوع فقد ينظر شاعر الى ثلاثة اشياء وجهات فيكون ابلغ من آخر نظر الى شيئين او جهتين ، ومثال ذلك قول بشار :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقول المتنبى :

يزور الاعادى فى سماء عجاجة اسنته فى جانبيها الكواكب

وقول عمرو بن كلثوم :

تبنى سنابكها من فوق ارؤسكم سقفا كواكبه البيض المباتير

كل شاعر منهم اراد تشبيه لمعان السيوف فى الغبار بالكواكب فى الليل، فالتفصيل فى الابيات الثلاثة شىء واحد الا ان بشار راعى ما لم يراعه غيره بأن ذكر (تهاوى) فاتم الشبه ، وعبر عن هيئة السيوف المسلولة من الاغماد وهى تعلو وترسب وتذهب وتجىء اتم تعبير ، وصورها ابدع تصوير ، بينما وقف الشاعران الآخران عند لمعان السيوف فى اثناء العجاج ، ولزيادة بشار حظ من الدقة تجعلها فى حكم تفصيل بعد تفصيل .

ومثل ذلك — فى زيادة احد التشبيهين عن الآخر بفضل استقصاء ليس فى الآخر مع ان جنسهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة — قول ابن المعتز :

وحمل آذربونة فو اذنه ككأس عقيق فى قرارتها مسك

وقوله ايضا فى هذا المعنى :

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فالبيت الثانى اعلى طبقة وارفع منزلة فى البلاغة العربية لان بقايا الغالية فى مدهن الذهب تمثل السواد الذى فى باطن الاذربونة تمثيلا صادقا وتصور مكانه وارتفاعه عن قرارة الكأس تصويرا بينا ، بعكس المسك فى قرارة كأس العقيق فانه لا يعطيك لهذا صورة واقعة صادقة ، ومن ابلغ الاستقصاء قول ابن المعتز :

كانا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

من غير تدقيق نظر ، لظهـــور وجهه فى بادىء الرأى • وسببه ظهوره أمران :

شبه ظلام الليل وقد ظهر فيه فجأة ضوء للصبح بأشخاص غربان ذات قوادم بيضاء الريش ، ليوضح صورة جميلة للصبح فى دبيبه فى ظلمة الليل ، ثم اتم دقة التشبيه وسحره بشىء آخر هو تصويره لاستطارة الضوء فى ظلام الليل باطارة الغراب فيسرع فى النفير رهبة ونزعا .

فكل ما سبق نماذج اختلفت فيها عبرة التفصيل والندرة ، وهذه موازنة قصيرة تنوعت فيها عبرة التفصيل المركب .

قال الشـــاعر :

غـــدا والصـــبح تحت الليـــل باد كطرف اشـــهب ملقى الجـــلال

وقال الآخر فى وصف البرق :

وتارة تبصـــــــره كأنه ابلق مال جله حين وثب

وقال الآخر (ابن بابك) فى هذا المعنى ايضـــا :

للبرق فيهـــا لهب طائش كما يعرى الفـــرس الابلق

وقال الآخر فيه ايضـــا :

وترى البرق عارضـــا مستطيلا مرح البلق جان فى الاجـــــلال

الشاعر الأول يرسم لنا صورة فرس اشهب زحزح جله وازيل عن مكانه حتى تكشف اكثر جسده وذلك ليعطينا من ذلك صورة لليل وقد دب فيه الصباح وتمشى فى ظلمته الضياء ، ولم يقصد الى تشبيه الصبح وحده من غير أن يفكر فى الليل ، والا فلو أراد ذلك لمـــا كان شيئا ولمـــا شاكل قوله (تحت الليل باد) .

أما الشاعر الثانى فالأشبه أن يكون قصده تشبيه للبرق وحده ببياض الأبلق دون أن يدخل لون الجل فى التشبيه وانما ذكر الجل لأنه اراد ان يلوح الى أن البرق لمح بغتة ولاح فجأة فاسبح لذلك كبياض الأبلق اذا ظهر بياضه عند وثوبه وميل جله عنه .

وما اراده الشاعر الثانى هو ما يتجلى لنـــا واضحا فى البيت الثالث وان امتاز عن الثانى ببيانه أن البرق يظهر فجأة على غير انتظار وترقب وذلك فى قوله (حين وثب) فكان له بهذا الاحتياط فائدة لا تخفى . ويشاركه البيت الرابع فى مراعاته لهذا الاحتياط اذ جعل البلق تمرح وتجول فراعى شيئا كمل به تشبيهه وهو تصـــوير هيئة حركة البرق وكيفية لمعـــانه . فالأول تشبيه هيئة بهيئة والأبيات الثلاثة فيها تشبيه البرق وحده بصورة تناسبه ، مع اختلافها تفصيلا .

الأول (٢٦٠) : كون الشبه أمرا جمليا ، فان الجملة أسبق أبدا الى النفس من التفصيل ، الا ترى أن الرؤية لا تصل فى أول أمرها الى الوصف على التفصيل ، لكن على الجملة ثم على التفصيل ، ولذلك قيل النظرة الأولى حمقاء ، وفلان لم ينعم النظر . وكذا سائر الحواس ، فانه يدرك من تفاصيل الصوت والذوق فى المرة الثانية ما لم يدرك فى المرة الأولى ، فمن يروم التفصيل كمن يبتغى الشىء من بين جمله يريد تمييزه مما اختلط به ومن يروم الاجمال كمن يريد أخذ الشىء جزافا ، وكذا حكم ما يدرك بالعقل ترى الجمل أبدا تسبق الى الذهن ، والتفاصيل مغمورة فيها لا تحضر الا بعد اعمال الروية (٢٦١) .

والثانى : كونه قليل التفصيل مع غلبة حضور المشبه به فى الذهن: اما عند حضور المشبه ، لقرب المناسبة بينهما (٢٦٢) كتشبيه العنبة الكبيرة السوداء بالاجاصة فى الشكل وفى المقدار ، والجرة الصغيرة بالكوز كذلك ، واما مطلقا (٢٦٣) لتكرره على الحس (٢٦٤) كما مر من تشبيه الشمس بالمرآة المجلوة فى الاستدارة والاستنارة ، فان قرب

---

(٢٦٠) راجع ١٢٧ و ١٢٨ من الاسرار .

(٢٦١) فالمجمل يحتاج الى ملاحظة واحدة بخلاف المفصل فهو محتاج لعدة ملاحظات ، فكما كثرت التفاصيل كثرت الملاحظات والاعتبارات ، وتلك تزيده خصوصا ، وكلما كثر التخصيص فى الشىء قلت افراده فتقل ملابسة وجوده فيكون غريبا .

(٢٦٢) اذ لا يخفى ان الشىء مع ما يناسبه اسهل حضورا لانهما اذا تناسبا اقترنا فى الخيال فيسهل الانتقال فى التشبيه لظهور الوجه غالبا مما يحضر كثيرا مع غيره وهذا التفاوت الذى اوجب كثرة الاجتماع فى الوجود هو الجامع الخيالى كما تقدم .

(٢٦٣) اى او لكون الوجه قليل التفصيل مصاحبا لغلبة حضور المشبه به فى الذهن غلبة مطلقة اى غير مقيدة بحضور المشبه ، او لمنع الخلو لا لمنع الجمع .

(٢٦٤) اى او لكونه لازما لما يتكرر على الحس ، فان المتكرر على الحس كصورة القمر غير منخسف اسهل حضورا مما لا يتكرر على الحس كصورة القمر منخسفا .

المناسبة ولتكرر كل واحد منهما يعارض التفصيل لاقتضائه سرعة الانتقال (٢٦٥) .

والبعيد الغريب وهو ما لا ينتقل فيه من المشبه الى المشبه به الا بعد فكر ، لخفاء وجهه فى بادىء الرأى ، وسبب خفائه أمران .

أحدهما (٢٦٦) كونه تَيْر التفصيل (٢٦٧) ، كما سبق من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل (٢٦٨) ، فان ما ذكرنا من الهيئة لا يقوم فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب الا أن يستأنف تأملا ويكون فى نظره متمهلا .

والثانى (٢٦٩) ندور حضور المشبه به فى الذهن :

---

(٢٦٥) اى قلة التفصيل فى وجه الشبه مع غلبة حضور المشبه به لسبب قرب المناسبة فى التشبيه الأول أو التكرر على الحس فى التشبيه الثانى سبب لظهوره المؤدى الى الابتذال مع ان التفصيل من اسباب الغرابة ، لان قرب المناسبة فى الصورة الاولى — وهى غلبة حضور المشبه به فى الذهن عند حضور المشبه — والتكرر على الحس فى الثانية — وهى غلبة حضور المشبه به فى الذهن مطلقا حضر المشبه ام لا — ، يعارض كل منهما التفصيل بواسطة اقتضائهما سرعة الانتقال من المشبه الى المشبه به فيصير وجه الشبه كأنه امر جملى لا تفصيل فيه فيصير سببا للابتذال .

(٢٦٦) راجع ١٥٠ مفتاح .

(٢٦٧) هذا محترز عدم التفصيل وقلة التفصيل المعارضة بالمناسبة والتكرر على الحس المعلل بهما ظهور الوجه وقوله « لكثرة التفصيل » ظاهره ولو مع الغلبة .

(٢٦٨) فوجه الشبه فيه هو الهيئة الحاصلة من الحركة السريعة مع الاشراق ، وفيه من التفصيل ما قد سبق ، ولذا لا يقع فى نفس الرائى للمرآة الدائمة الاضطراب وقيدنا بذلك لان الوجه لا يتاتى الا مع دوام الحركة .

(٢٦٩) راجع ١٥٠ من المفتاح .

اما عند حضور المشبه لبعد المناسبة بينهما ، كما تقدم من تشبيه البنفسج بنار الكبريت .

واما مطلقا لكونه (٢٧٠) : وهميا (٢٧١) . أو مركبا خياليا ، أومركبا عقليا ، كما مضى من تشبيه نصال السهام بأنياب الأغوال وتشبيه الشقيق بأعلام ياقوت منشورة على رماح من زبرجد ، وتشبيه مثل أحبار اليهود بمثل الحمار يحمل أسفارا (٢٧٢) فان كلا سبب لندرة حضور المشبه به فى الذهن ، أو لقلة تكرره على الحس (٢٧٣) ، كما (٢٧٤) مر من تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل ، فانه ربما يقضى الرجل دهره ولا يتفق له أن يرى مرآة فى يد الأشل . فالغرابة فى هذا التشبيه (٢٧٥) من وجهين (٢٧٦) .

---

(٢٧٠) أى المشبه به .

(٢٧١) أى أمرا وهميا يدركه الانسان بوهمه لا باحدى الحواس الظاهرة لكونه هو ومادته غير موجودين فى الخارج ، وذلك كانياب الاغوال، فى تشبيه السهام المسنونة الزرق بها .

(٢٧٢) راجع ٢/٨٩ الكامل للمبرد .

(٢٧٣) أى أو لكونه حسيا لكنه قليل التكرر على الحس ، فهو عطف على قوله « لكونه امرا وهميا » ، أى ومن باب أولى عدم تعلق الحس به كالعرش فى الكرسى .

(٢٧٤) راجع ١٤٩ مفتاح ، ١٤٣ اسرار البلاغة .

(٢٧٥) وهو تشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل .

(٢٧٦) أحدهما كثرة التفصيل فى وجه الشبه ، والثانى قلة التكرر على الحس . فان قلت كيف تكون ندرة حضور المشبه به سببا لعدم ظهور وجه الشبه مع انهما متغايران فلا يلزم من ندرة احدهما ندرة الآخر ؟ قلت : لأن الوجه فرع الطرفين والجامع المشترك الذى بينهما انما يطلب بعد حضور الطرفين فاذا ندر حضورهما أو حضور المشبه به ندر التفات الذهن الى ما يجمعهما ويصلح للتشبيه بينهما ، ولم يعللوا عدم ظهور الوجه بندور حضور المشبه كما عللوا بندور حضور المشبه به لأن المشبه به عمدة التشبيه الحاصل بين الطرفين ، فظهور الوجه وعدمه انما يسند اليه .

والمراد (٢٧٧) بالتفصيل (٢٧٨) أن ينظر فى أكثر من وصف واحد لشىء واحد (٢٧٩) أو أكثر (٢٨٠) ، وذلك يقع على وجوه كثيرة ، والأغلب الأعرف منها وجهان :

أحدهما أن تأخذ بعضا (٢٨١) وتدع بعضا ، كما فعل امرؤ القيس فى قوله (٢٨٢) .

حملت ردينيـــا كأن سنانه سنا لهب لم يتصل بدخان

ففصل السنا عن الدخان وأثبته مفردا .

والثانى أن يعتبر الجميع كما فعل الآخر (٢٨٣) :

وقد لاح فى الصبح الثريا كماترى كعنقـــود ملاحيـــة حين نـــورا

---

(٢٧٧) راجع ١٤٤ وما بعدها اسرار البلاغة .

(٢٧٨) اى فى وجه الشبه الذى هو سبب فى غرابة التشبيه .

(٢٧٩) كما فى تشبيه المفرد بالمفرد .

(٢٨٠) اى أن يعتبر اكثر من وصـــف واحد اما من جهة وجود الكل او من جهة عدم الكل او من جهة وجود البعض وعدم البعض ، كانت تلك الأوصاف ثابتة لموصوف واحد او اثنين او ثلاثة او اكثر .

(٢٨١) اى بعض الأوصاف اى يعتبر وجود بعضها وعدم بعضها

(٢٨٢) البيت فى الأسرار ص ١٤٢ وفى ٢٢٥ صناعتين ، ٨٣ معجم الشـــعراء .

ويروى هذا البيت لعميرة بن جعيل من قصيدة له روبت فى المفضليات مع ابدال « لم يتصل » بـــ « لم يستعن » (١٢٥ مفضليات) .

رديتا : يعنى رمحا منسوبا الى ردينة وهى امرأة بهجر كانت تقوم الرماح اى تحسن صنعها . السنان : الحديدة التى فى طرف الرمح . فقد اعتبر فى اللهب — وهو موصوف واحد — الشكل واللون واللمعان وترك الاتصال بالدخان ونفاه . واسقاط بعض الأوصاف هنا لا يكون الا فيما قصده الشاعر مما يكون فيه دقة تحتاج الى مزيد تنبيه .

(٢٨٣) هو ابو قيس بن الاسلت او احيحة بن الجلاح او قيس بن الخطيم (١٤٥ و ٧٥ أسرار) .

فانه اعتبر من الانجم الشكل والمقدار واللون واجتماعهما على المسافة المخصوصة فى القرب ثم اعتبر مثل ذلك فى العنقود المنور من الملاحية .

وكلما كان التركيب من أمور أكثر كان التشبيه أبعد (٢٨٤) وأبلغ ، كقوله تعالى (٢٨٥) : انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس » ، فانها عشر جمل اذا فصلت ، وهى وان دخل بعضها فى بعض حتى صارت كلها كأنها جملة واحدة ، فان ذلك لا يمنع من أن نشير اليها واحدة واحدة . ثم ان الشبه منتزع من مجموعها من غير أن يمكن فصل بعضها عن بعض حتى لو حذف منها جملة أخل ذلك بالمغزى من التشبيه .. ومن تمام (٢٨٦) القول فى هذه الآية ونحوها أن الجملة اذا وقعت فى جانب المشبه به تكون على وجوه : أحدها أن تلى نكرة فتكون صفة لها كما فى هذه الآية ، وعليه قول النبى صلى الله عليه وسلم « الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة » (٢٨٧) .

والثانى أن تلى معرفة هى اسم موصول فتكون صلة له ، كقوله تعالى « مثلهم كمثل الذى استوقد نارا » الآية : والثالث أن تلى معرفة

---

(٢٨٤) سواء كان التركيب خياليا بأن كان هيئة معدومة مفروضة اجتماعها من امور كل واحد منها مما يدرك بالحس مثل «وكان محمر الشقيق» أو عقليا ، أو وهميا وهو المركب المعدوم هو ومادته مثل « ومسنونة زرق كانياب اغوال » ولم يقل أو حسيا ، لأن المقسم التركيب لا المركب ، وهو لا يكون حسيا .

(٢٨٥) راجع ٨٧ و ٩٩ من الاسرار .

(٢٨٦) راجع ٩١ من الاسرار .

(٢٨٧) الحديث فى ٣١ و ٢٠٤ ج ٢ البيان ، ٥٩ ج ١ زهر الآداب .

ليست باسم موصول فتقع اســـتئنافا ، كقوله عز وعلا « مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا » ،

ومن أبلغ الاستقصاء فى التفصيل وعجيبه قول ابن المعتز (٢٨٨):

كأنا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قـــوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه ضوء الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن يكون قوادم ريشها بيضـــاء ، لأن تلك الفرق من الظلمة تقع فى حواشيها من حيث يلى معظم الصبح وعموده لمع نور يتخيل منها فى العين كشكل قوادم بيض ، وتمام التدقيق فى هذا التشبيه أن جعل ضوء الصبح لقوة ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ولا يرضى منها بأن تتمهل فى حركتها ، ثم لمـــا راعى ذلك فى التشبيه ابتداء راعاه آخرا ، حيث قال « تطير غرابا » ولم يقل « غراب يطير ونحوه » لأن الطائر اذا كان واقعا فى مكان فأزعج وأطير منه ، أوكان قد حبس فى يد أو قفص فأرسل ، كان ذلك لا محالة أسرع لطيرانه وأدعى له أن يستمر على الطيران ، حتى يصير الى حيث لا تراه العيون بخلاف ما اذا طار عن اختيـــار ، فانه حينئذ يجوز أن لا يسرع فى طيرانه وأن يصير الى مكان قريب من مكانه الأول . وكذا قول أبى نواس فى صفة منقار البازى (٢٨٩) .

---

(٢٨٨) راجع البيت فى الأسرار ص ١٥٤ حيث شرحه عبد القـــاهر شرحا واسعا .

الدجى : جمع دجية وهى الظلمة . القوادم : أوائل ريش الطير . الجون : بالضم جمع جون بالفتح يطلق على الأبيض والأســـود والمراد الأبيض .

(٢٨٩) وينسب لابن فارس .
والبيت فى الأسرار ص ١٥٥ .

(فى هامة غلبـــاء تهدى منسرا) كعطفة الجيم بكف (٢٩٠) أعسرا

غير خاف أن الجيم خطان : أولهما الذى هو مبدؤه وهو الأعلى • والثانى الذى يذهب الى اليسار ، واذا لم يوصل بها فلها تعريق (٢٩١)، والمنقار انما يشبه الخط الأعلى فقط ، فلهذا قال « كعطفة الجيم ولم يقل كالجيم ، ثم دقق بأن جعلها بكف أعسر ، لأن جيم الأعسر يقال انه أشبه بالمنقار من جيم الايمن ثم أراد أن يؤكد أن الشبه مقصور على الخط الأعلى من الجيم ، فقال :

يقول من فيهـــا بعقـــل فكرا
لو زادها عينـــا الى فاء ورا
فاتصلت بالجيم صـــارت جعفرا

فأبان أنه لم يدخل التعريق فى التشبيه ، لأن الوصـــل يسقطه أصلا ، ولا الخط الأسفل وان كان لابد منه مع الوصـــل ، لأنه قال « فاتصلت بالجيم » أى بالعطفة المذكورة ، ولم يقتصر على قوله :

لو زادها عينـــــا الى فاء ورا

ولأجل هذا التدقيق قال :

يقـــول من فيهـــا بعقل فكرا

فنبه على أن بالمشبه حاجة الى فضل فكر ، وأن يكون فكره فكر من يراجع عقله (٢٩٢) •

---

(٢٩٠) غلباء : قوية . المنسر : كمجلس ومنبر منقار الطير الجارح .
(٢٩١) تعريق الجيم ان يعطف بالخط الأسفل الى اليمين على هيئة قوس كما هو الشان فى الجيم المفردة .
(٢٩٢) قال ابو هلال فى الصناعتين (ص ١١٣) :
ســـمعت بعض العلماء يقول : ومن المعانى الباردة قول ابى نواس « فى هامة الخ » ممن يجهل ان الجيم اذا اضيف اليها العين والفاء والراء « صـــارت جعفرا » . وهو عندى صـــواب الا انه لو اكتفى بهذا البيت ولم يزد الزيادة التى بعدها لكان اجود وارشق وادخل فى مذاهب الفصحاء .

واذ قد تحققت ما ذكرنا من التفصيل علمت أن قول امرىء القيس فى وصف السنان أعلى طبقة من قول الآخر (٢٩٣) :

يتـــابع لا يبتغى غيره بأبيض كالقبس الملتهب

لخلو الثانى عن التفصيل الذى تضمنه الأول ، وهو قصر التشبيه على مجرد السنا وتصويره مقطوعا عن الدخان ، ومعلوم أن هذا لايقع فى الخاطر أول وهـلة ، بل لابد فيه من أن يتثبت وينظر فى حال كل من الفرع والأصل حتى يقع فى النفس ان فى الأصـل شيئا يقدح فى حقيقة التشبيه ، وهو الدخان الذى يعلو رأس الشعلة ، وكذا قوله(٢٩٤):

وكأن أجـرام النجـوم لواما درر نثرن على بسـاط أزرق

أفضل من قول ذى الرمة (٢٩٥) :

(حوراء فى دعج صفراء فى نعج) كأنها فضـة قد مسـها ذهب

---

(٢٩٣) هو عنترة (٢٠٥ نظام الغريب) . والبيت مع ابيـات فى الحماسة ١٦٥ ج ١ . وراجعه فى الأسرار ص ١٤١ .
الضمير فى « يتابع » لورد بن حابس ، وفى « غيره » لنضلة الاسدى، وكان لورد نار عنده : القبس الملتهب : النار الموقدة .

(٢٩٤) هو ابو طالب الرقى . والبيت فى ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٦ من الأسرار .

(٢٩٥) راجعه فى ١٦٠ ج ١ البيـان ، و ٤٠ ج ٢ الكامل ، ٢٢٨ وساطة ، و ٣٦٩ صناعتين .
الحور : شـدة بياض العين . الدعج : شـدة سواد الحدقة . النعج : اللين .
قال الجاحظ : قالوا المراة الرقيقة اللون يكون بياضها بالفداة يقرب الى الحمرة وبالعشى يضرب الى الصفرة (١٦٠ ج ١ بيان) .
وقال الاعشى :

بيضـاء ضحوتها وصفـ ـراء العشـية كالعرارة

العرارة : شجر له نور اصفر . ولذى الرمة (١٧٠ ج ٤ العقد) :

بيضـاء صـفراء قد تنازعها لونان من فضة ومن ذهب

لأن الأول مما يندر وجوده دون الثانى ، فان الناس أبدا يرون فى الصياغات فضة قد موهت بذهب ، ولا يكاد يتفق أن يوجد درر قد نثرن على بساط أزرق . وكذا بيت بشار (٢٩٦) أعلى طبقة من قول أبى الطيب (٢٩٧) :

يزور الأعادى فى سماء عجاجة أسنته فى جانبها الكواكب

وكذا من قول الآخر (٢٩٨) :

تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه البيض المباتير

لأن كل واحد منهما وان راعى التفصيل فى التشبيه ، فانه اقتصر على أن أراك لمعان الأسنة والسيوف فى أثناء العجاجة ، بخلاف بشار ، فانه لم يقتصر على ذلك ، بل عبر عن هيئة السيوف وقد سلت من أغمادها ، وهى تعلو وترسب وتجىء وتذهب ، وهذه الزيادة زادت التفصيل تفصيلا لأنها لا تقع فى النفس الا بالنظر الى أكثر من جهة واحدة ، وذلك ان للسيوف عند احتدام الحرب واختلاف الأيدى بها فى الضرب اضطرابا شديدا وحركات سريعة ، ثم لتلك الحركات جهات مختلفة تنقسم بين الاعوجاج والاستقامة ، والارتفاع والانخفاض ، ثم هى باختلاف هذه الأمور تتلاقى ويصدم بعضها بعضا ، ثم أشكالها مستطيلة ، فنبه على هذه الدقائق بكلمة واحدة وهى قوله « تهاوى » ، لأن الكواكب اذا تهاوت اختلفت جهات حركاتها ، ثم كان لها فى التهاوى

---

(٢٩٦) وهو قوله « كأن مثار النقع الخ » .

(٢٩٧) راجعه فى ٢٧٤ و ٢٤١ وساطة .
العجاجة : الغبار : الاسنة : نصال الرماح جمع سنان .

(٢٩٨) هو عمرو بن كلثوم العتابى (٢٣٩ صناعتين) .
السنابك : اشراف الحافر : البيض : السيوف : المباتير : جمع بتار صفة مبالغة من بتر بمعنى قطع .

تواقع وتداخل ، ثم استطالت أشكالها . وكذا قول الآخر (٢٩٩) فى الآذريون :

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

أعلى وأفضل من قوله (٣٠٠) فيه :

وحمل آذريونة فوق أذنه ككاس عقيق فى قرارتها مسك

لأن السواد الذى فى باطن الاذريونة الموضوع بازائه الغالية والمسك فيه أمران : أحدهما أنه ليس بشامل له ، والثانى انه لم يستدر فى قعرها ، بل ارتفع منه ، حتى أخذ شيئا من سمكها من كل الجهات ، وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية فى جوانب المدهن اذا كانت بقية بقيت عن الاصابع ، وقوله « فى قرارتها مسك » يبين الأمر الأول ، ويؤمن من دخول النقص عليه ، كما كان يدخل لو قال « فيها مسك »، ولم يشترط ان يكون فى القرارة ، وأما الثانى فلا يدل عليه كما يدل قوله « بقايا غالية » لأن من شأن المسك والشىء اليابس اذا حصل فى شىء مستدير له قعر أن يستدير فى قعره ولا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى فى سواد الاذريونة ، بخلاف الغالية فانها رطبة ثم تؤخذ بالأصابع فلابد فى البقية منها أن ترتفع عن القرارة ذلك الارتفاع، ثم هى لنعمومتها ترق فتكون كالصبغ الذى لا يظهر له جرم وذلك أصدق للشبه .

---

(٢٩٩) هو ابن المعتز . راجع البيت فى ١٥٣ و ١٥٤ و ١٨٨ اسرار. وقوله « فيه » اى فى الآذريون وهو ورد له أوراق حمر فى وسطه سواد له نبو وارتفاع وقد يكون اصفر . والمداهن جمع مدهن وهو حق الدهن . الغالية : اخلاط من الطيب .

(٣٠٠) هو ابن المعتز ايضا . العقيق الخرز الاحمر . القرارة : القاع .

والبليغ (٣٠١) من التشبيه ما كان من هذا النوع — أعنى البعيد — لغرابته (٣٠٢) ، ولأن الشيء اذا نيل بعد الطلب له والاشتياق اليه كان نيله أحلى ، وموقعه من النفس ألطف وبالمسرة أولى ، ولهذا ضرب المثل لكل ما لطف موقعه ببرد المـاء على الظمأ كما قال (٣٠٣) :

وهن ينبذن من قـول يصـبن به مواقع الماء من ذى الغلة الصادى

الفرق بين التشبيه البعيد والتعقيد :

لا يقال : عدم الظهور ضرب من التعقيد ، والتعقيد مذموم لأنا نقول (٣٠٤) :

---

(٣٠١) راجع ١١٨ من الأسرار .

(٣٠٢) اى لكون هذا الضرب غريبا غير مبتذل .

(٣٠٣) هو القطامى (راجع ١٧٩ جـ ١ الكامل ، ١٩٠ جـ ١ البيان ، ٤١٣ من الدلائل) . والغلة : شدة العطش . والصادى : العطشان . ينبذن : يرمين .

(٣٠٤) ١١٨ وما بعدها اسرار ، و ١٧٦ المفتاح .

ملاحظة : خلاصة هذا البحث أن الفرق بين التشبيه والتعقيـد من ناحيتين :

الاول : أن التشبيه والتعقيد وان اشتركا فى الحاجة الى بذل مجهود فكرى الا ان هناك فرقا بين المجهودين ، ففى التشبيه تبذل المجهود فى سبيل الوصول الى المعنى الممثل ، وانت تسلك سبيلا ممهدا قد رفعت فى جوانبه أعلام الهداية لان ذلك قد حدث فى معناه فتصل الى الغاية وتضع عصا التسيار ، وانت فى لذة المنتصر .

واما التعقيد بنوعيه : اللفظى والمعنوى ، فانه يحتاج الى مضاعفة المجهود الذى يبذله الفكر ويسير فيه فى طريق ملتو مظلم لاجلاء فيه ، فتتلبس الحيل ، ولكن هيهات ان تصل الى الغاية ، ولئن عثرت على المعنى بعـد ذلك فسوف تجده يشوه الصورة ناقص الحسن،وليس ذلك الا لان الكلام =

• • • • • • • • • • • • • • •

كم يرتب الترتيب الذى يمثله تحصل الدلالة على الغرض او النوت الدلالة فيه سوء الانتقال من المعنى اللغوى الى المعنى المجازى او الكنائى ، كما فى قول الفرزدق :

الى ملك ما أمـه من محـــارب ابـوه ولا كانت كليـب تصـاهره

يريد الى ملك ابوه ليست أمه من محارب ولا كانت كليب تصـاهره فقدم واخر حتى ايهم المعنى ، وكما فى قول العباس بن الاحنف .

سـاطلب بعد الدار عنكم لتقربوا وتسـكب عيناى الدموع لتجمـدا

واما النـاحية الثانية : فهى ان ما تحصل عليه بعد الغوص فى بحـار التشبيه هو الدرر مما يجعلك مطمئنا الى حسن النتيجة مهما بذلنـا من جهد لانك ستصل الى معنى شريف يشرح صدرك ويثلج فؤادك فمهما بذلت من جهد ضعيف أو قوى فانك تحصل على معنى يوازى ما بذلت وربما كان أعجب .

وطبعى اذا كان المعنى لطيفا انه يحوجك الى تحريك الخاطر ولطف الفكرة والا لو لم يكن شانه ذلك لتسـاوى كلام الدهماء مع كلام الفحول ولغدت جميع الافكار فى منزلة واحدة لا فرق بين غبيها وذكيها وضعيفها وقويها ، وما كان ذلك ولا يكون .

واما الذى تحصل عليه بعد بذل الجهد فى الكلام المعقد فهو فى الغالب معنى سخيف لا يدانى فى قيمته معشار ما بذلت فى سبيله ، ولئن كان شريفا وذلك قليل نادر فقد شاه وجهه وقبحت صورته وذهب رونقه لأنه أقض مضجعك وأتعب ذهنك وتركك عليه ناقما .

والمعانى الشريفة لا بد فيها من فكر وروية وربط لاحق بسابق .

ولئن صـح ان كثيرا من المعـانى الممثلة تكون فى غاية الوضوح بحيث لا تحتاج الى فكر ، فان ذلك انما جاء من أن المتكلم اجهد نفسه فى تذليل صعوبتها وانارة ظلمتها ، واوضحها غاية الوضوح ، مما يستدعى سرور النفس واعجاب الأديب .

شروط حسن التاليف :

وليس كل تاليف بين المختلفات ، وجمع بين المتناقضات ، حسنا دائما —

التعقيد كما سبق له سببان : سـوء ترتيب الالفاظ ، واختـلال الانتقال من المعنى الأول الى المعنى الثانى الذى هو المراد باللفظ • والمراد بعدم الظهور فى التشبيه ما كان سببه لطف المعنى ودقتـه ، أو ترتيب بعض المعانى على بعض كما يشعر بذلك قولنا فى بادىء الرأى فان (٣٠٥) المعانى الشريفة لابد فيها فى غالب الأمر من بناء ثان على أول ، ورد تال الى سابق ، كما فى قول البحترى (٣٠٦) •

دان على أيدى العفاة ، البيتين

فانك (٣٠٧) تحتاج فى تعريف معنى البيت الأول الى معرفة وجه المجاز فى كونه دانيا وشاسعا ، ثم تعود الى ما يعرض البيت الثـانى

= بل لابد من اصابة الشبه الصحيح المعقول الذى يصح الجمع بينهما حتى يكون ائتلافهما الذى اوجبه التشـبيه واضـحا وضوح ما بينهما من تباين وخلاف ، بذلك تكون قد اصبت السداد ، فاما ان تفعل غير ذلك وتكره الوصف على المثول فى غير موضعه فهذا معيب . وانما المقصود ان تظهر وجه الشبه وتبينه حيث الموضع اللائق به ، وليس المقصود ان تنتزع الجامع انتزاعا وتنتحله انتحالا وتوجد مشـابهة لا يقرها العقل ، وانما المراد ان هناك وجوه شبه بين هذه الاشياء المتناكرة يدق المسلك اليها ، فاذا امعنت النظر ووصلت اليها واظهرتها فقد استحققت المدح على جهد بذلته ، وذلك ظاهر فى التشبيهات المحسوسة كما لمسته فى التمثيلات المعقولة .

هذا ومن الكلام نوع يحاول فيه المتكلم عكس القضية المعروفة فيجعل من الاساءة احسانا ومن البخل جودا فى صورة محكمة الخلق ساحرة ؛ واذا تصورت هذا فيجب ان تلاحظ ان هذا النوع من الكلام مما يشبه الجمع بين المتناقضات او يداخلها فى حقيقتها المتقدمة من ظهورها فى مظهر التشبيه، ولكن لا يتم هذا الا بملاحظة ان يكون هذا على وجه مقبول يوحى الى النفس سحرا فى عبارة حسنة السبك بديعة التاليف .

(٣٠٥) راجع ١٢٣ أسرار .

(٣٠٦) ٩٨ و ١٢٣ أسرار .

(٣٠٧) هذا منقول من الاسرار ص ١٢٣ .

عليك من حال البدر ، ثم تقابل احدى الصورتين بالأخرى وتناظر كيف شرط فى العلو الافراط ليشـــاكل قوله : شاسع ، لأن الشـــوع هـــو الشديد من البعد ثم قابله بما يشاكله من مراعاة التناهى فى القرب فقال « جد قريب » . فهذا ونحوه هو المراد بالحاجة الى الفكر ، وهل شىء أحلى من الفكر اذا صادف نهجا قويما الى المراد. قال الجاحظ أثناء فصل يذكر فيه ما فى الفكر من الفضيلة (٣٠٨) ، وأين تقع لذة البهيمة بالعلوفة ولذة السمع بلطع الدم وأكل اللحم وسرور الظفر بالأعداء ومن انفتاح باب العلم بعد ادمان قرعه .

(التصرف فى التشبيه القريب بما يجعله بعيدا) .

وقد يتصرف فى القريب المبتذل بما يخرجه من الابتذال الى الغرابة وهو على وجوه :

(١ —) منها أن يكون كقوله (٣٠٩) :

لم تلق هذا الوجه شمس نهارنا الا بوجه ليس فيـــه حياء (٣١٠)

وقوله :

فردت علينا الشمس والليل راغم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فو اللـــه ما أدرى أأحـــلام نائم ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

---

(٣٠٨) راجع ص ١٢٦ أسرار .

(٣٠٩) للمتنبى فى أبى على الكاتب . وهو فى الأسرار ص ٢٩٦ .

(٣١٠) التشبيه فى البيت ضمنى لأن وجه الممدوح اذا كان أعظم من الشمس فى الاشراق يستلزم اشتراكهما فى أصل الاشراق فيثبت التشبيه ضمنا ، فكأنه قال : « هذا الوجه كالشمس فى أصـــل الحسن فقط » ؛ وجعل الوجه مشبها هو بالنظر لمقصود الشاعر والا فالمفاد من البيت بعد جعل التشبيه ضمنيا أن المشبه الشمس بسبب ذكر عدم الحياء ، فالمفـــاد من البيت قلب التشبيه وان كان مقصود الشاعر تشبيه الوجه بالشمس .

فان تشبيه وجوه الخسان بالشمس مبتذل ، لكن كل واحد : من حديث الحياء فى الأول والتشكيك مع ذكر يوشع عليه السلام فى الثانى ، أخرجه من الابتذال الى الغرابة وشبيه بالأول قول الآخر :

ان السحاب لتستحى اذا نظرت الى نداك فقاسته بما فيها (٣١١)

(٢ ــ التشبيه المشروط) :

ومنها أن يكون كقوله (٣١٢) :

عزماته مثل النجوم ثواقبا لو لم يكن بالثاقبات أفول

وقوله (٣١٣) :

مها الوحش الا أن هاتا أوانس قنا الخط الا أن تلك ذوابل

وقوله (٣١٤) :

يكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا
لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا

والبدر لو لم يغب : والشمس لونطقت
والأسد لو لم تصد ، والبحر لو عزبا

وهذا يسمى التشبيه المشروط (٣١٥) .

---

(٣١١) الندى : الكرم . قاسته بما فيها : شبهته به ، وما فيها . هو المطر .

(٣١٢) هو للوطواط للشاعر . الثواقب : النوافذ . الأفول : الغروب. شبه العزم بالنجم فى الثقوب والنفوذ الذى هو فى كليهما تخيلى ، وهو تشبيه مبتذل الا ان اشتراط عدم الأفول اخرجه الى الغرابة .

(٣١٣) هو لأبى تمام . المها واحدة مهاة وهى بقر الوحش . القنا واحده قناة وهو الرمح. الخط : اسم بلد . ذوابل من الذبول وهو الجفاف. واسم الاشارة فى « تلك » للرماح . يريد أن يفضلها بالطراوة والنضارة .

(٣١٤) هما لبديع الزمان الهمذانى . صوب الغيث من اضافة الصفة للموصوف . المحيا : الوجه .

(٣١٥) اى المقيد لتقييد: المشبه؛ او المشبه به ، او كليهما مثل زيد فى علمه بالأمور اذا كان غافلا كعمرو فى علمه بها اذا كان يقظا : بشرط وجودى =

(٣ —) ومنها أن يكون كقوله (٣١٦) :

في طلعـــة البدر شيء من محاســـنها
وللقضـــيب نصـــيب من تثنيهـــا

وقول ابن بابك (٣١٧) :

ألا يا رياض الحزن من أبرق الحمى
نسيمك مسروق ووصـــفك منتحل

حكيت أبا ســـــــعد فنشرك نشره
ولكن له صـــــدق الهوى ولك الملـــل

(٤ —) وقد يخرج من الابتذال بالجمع بين عدة تشبيهات كقوله(٣١٨):

كأنما يبســـــم عن لؤلؤ منضـــد أو برد أو أقاح

كما يزداد بذلك لطفا وغرابة كقوله (٣١٩) .

له أيطلا ظبي وســـاقا نعـــامة وارخاء سرحان وتقريب تتفـــل

= أو عدمي يدل عليه بصريح اللفظ أو بسياق الكلام مثل « هي بدر يسكن الأرض » أي هي كالبدر لو كان البدر يسكن .

(٣١٦) البحتري (كما في المثل السائر ص ١٦١) .

(٣١٧) راجع ص ٢٤١ أسرار . الحزن : الأرض الغليظة وكذلك الأبرق . منتحل من انتحل كذا اذا ادعاه لنفسه وهو لغيره . النشر : الرائحة . الملل : السآمة .

(٣١٨) هو للبحتري وقد سبق .

(٣١٩) هو لامرىء القيس . وراجعه في ٢٣٨ صناعتين . ويعجب خلف جدا بهذا البيت (٣٤١ ج ٢ البيان للجاحظ) .

ايطلا الظبي : خاصرتاه الارخاء : الجري في سهولة . السرحان : الذئاب . التتفل : ولد الثعلب .

(٣ — تقسيم التشبيه باعتبار أداته) :

واما باعتبار أداته فاما مؤكد أومرسل،والمؤكد ماحذفت أداته(٣٢٠) كقوله تعالى « وهى تمر مر السحاب (٣٢١) » وقوله يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، وقول الحماسى (٣٢٢) :

هم البحور عطاء حين تسألهم وفى اللقاء اذا تلقى بهم بهم

الى غير ذلك كما سبق ، ومنه (٣٢٣) نحو قول الشاعر (٣٢٤) .

والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

وقول الآخر (٣٢٥) يصف القمر لآخر الشهر قبل السرار :

---

(٣٢٠) اى تركت بالكلية بحيث لا تكون مقدرة فى نظم الكلام والا فلا يكون التشبيه مؤكدا بل مرسلا .

(٣٢١) أى مثل مر السحاب .

(٣٢٢) هو زياد بن حمل (١٤٦ ج ٢ حماسة) ، وراجعه فى ٤٣٤ صناعتين . البهم واحده بهمة وهو الشجاع الذى لا يدرى كيف يؤتى لاستبهار شأنه .

(٣٢٣) أى من الموكد .

(٣٢٤) هو ابن خفاجة الأندلسى ،

والبيت من قصيدة فى الأدب الأندلسى لمحمود مصطفى ص ٢٠ . يريد المصنف ان من التشبيه المؤكد ما اضيف فيه المشبه به الى المشبه بعد حذف الأداة وتقديم المشبه به على المشبه ، وتجعل الاضافة بيانية . تعبث بالغصون : أى تميلها الى الأطراف والجوانب . الأصيل هو الوقت بعد العصر الى المغرب ويعد من الأوقات الطيبة كالسحر ويوصف بالصفرة ، فذهب الأصيل صفرته وشعاع الشمس فيه وهو استعارة مصرحة اى صفرته التى كالذهب واللجين : الفضة ، اى على ماء كاللجين فى الصفاء والبياض، فهذا تشبيه مؤكد .

(٣٢٥) هو ابن حمديس الصقلى (١٢٣ المثل السائر) . الأدهم : الفرس الأسود . الاشهب : الابيض . والمراد تشبيه الليل فى ذلك بالادهم، والصبح بالابيض ، والقمر فى آخر الشهر بالنعل الذى يكون فى رجل الفرس لانه على صورته .

كأنما أدهم الاظـــلام حين نجا من أشهب الصبح ألقى نعل حافره

وقول الشريف الرضى :

أرسى النسيم بواديكم ولابرحت حوامل المزن فى أجداثكم تضـــع
ولا يزال جنين النبت توضـــعه على قبوركم العراضة الهمع (٣٢٦)

والمرســل : ما ذكرت أداته كقوله تعـــالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) ، وقوله عز وجل (عرضها كعرض السماء والأرض) •

وقول امرىء القيس :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع ظبى أو مساويك اسحل(٣٢٧)

وقول البحترى :

واذا الأســنة خالطتها خلتهـــا فيها خيال كواكب فى المـــاء (٣٢٨)

الى غير ذلك كما تقدم •

(٤ ــ تقسيم التشبيه باعتبار الغرض (٣٢٩)) :

وأما باعتبار الغرض فاما : مقبول ، أو مردود •

---

(٣٢٦) ارسى : اقام . العراضة السحاب ذو الرعد والبرق . الهمع السحاب المـــاطر .

(٣٢٧) تعطو : تتناول . رخص : لين وصف لاصابعها . الشثن : الغليظ . الاساريع : جمع اسروع وهو دود يكون فى البقل والاماكن الندية تشبه به انامل النساء . ظبى : اســـم مكان . الاسحل شجر له غصون يستاك بها .

(٣٢٨) « خالطتها » الضمير فيها يعود الى الدروع . الأسنة : الرماح .

(٣٢٩) راجع ١٥٠ المفتاح .

المقبول : الوافى بافادة الغرض كأن يكون المشبه به أعرف (٣٣٠) شىء بوجه الشبه اذا كان الغرض بيان حال المشبه من جهة وجه الشبه ، أو بيان المقدار (٣٣١) ، ثم الطرفان فى الثانى أن تساويا فى وجه الشبه فالتشبيه كامل فى القبول ، والا فكلما كان المشبه به أسلم من الزيادة والنقصان كان أقرب الى الكمال ، أو كأن يكون المشبه به أتم شىء فى وجه الشبه اذا قصد الحاق الناقص (٣٣٢) بالكامل ، أو كأن يكون المشبه به مسلم الحكم معروفه عند المخاطب فى وجه الشبه اذا كان الغرض بيان امكان الوجود .

والمردود بخلاف ذلك أى القاصر عن افادة الغرض :

---

(٣٣٠) أى يكون أعرف الطرفين .
(٣٣١) أو التزيين أو التشويه أو الاستطراف .
(٣٣٢) وكذلك اذا قصد التقرير فى ذهن السامع حتى لا يتوهم كون المشبه على غير ذلك الحال .

خاتمـــة (١)

قد سبق أن أركان التشبيه أربعة : المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجهه. فالحاصل من مراتب التشبيه فى القوة والضعف فى المبالغة باعتبار ذكر أركانه كلها أو بعضـها ثمان (٢) : احداها ذكر الأربعة كقولك زيد كالأسد فى الشجاعة ولا قوة لهذه المرتبة (٣) وثانيتها ترك المشبه كقولك كالأسد فى الشجاعة أى زيد وهى كالأول فى عدم قوة وثالثتها ترك كلمة التشبيه كقولك زيد أسد فى الشجاعة وفيها نوع (٤) قوة ورابعتها ترك المشبه وكلمة التشبيه ، كقولك أسـد فى الشجاعة أى زيد وهى كالثالثة فى القوة . وخامستها ترك وجه الشبه ، كقولك زيد كالأسد ، وفيها نوع قوة لعموم وجه الشبه من حيث الظاهر (٤) وسادستها ترك المشبه ووجه التشبيه ، كقولك كالأسد أى زيد وهى كالخامسة وسابعتها ترك كلمة التشبيه ووجهه ، كقولك زيد أسد ، وهى أقوى الجميع (٥) . وثامنتها افراد المشبه به بالذكر ، كقولك أسد أى زيد ، وهى كالسابعة .

---

(١) راجع ١٥١ الفتاح .

(٢) الحاصل ان المشبه به لابد من ذكره ، فالمشبه اما مذكور اومحذوف وعلى التقريرين (ذكر المشبه وحذفه) فوجه الشبه اما مذكور او محذوف ، وعلى التقارير الاربعة الحاصلة من ضرب حالتى المشبه — ذكره او حذفه — فى حالتى الوجه — ذكره او حذفه — ، فالأداة اما مذكورة او محذوفة ، تصير ثمانية .

(٣) لتخصيص وجه الشبه وعدم ادعاء ان المشبه عين المشبه به مبالغة .

(٤) لاشتمالها على احد موجبى القوة . عموم الوجه والادعاء .

(٥) لعموم وجه الشبه ولادعاء ان المشبه عين المشبه به مبالغة .

واعلم ان الشبه (٦) قد ينتزع من نفس التضاد (٧) لاشتراك الضدين فيه (٨) ، ثم ينزل منزلة التناسب بوساطة تمليح (٩) أو تهكم (١٠) فيقال للجبان ما أشبهه بالأسد وللبخيل هو حاتم (١١) .

(انتهى التشبيه) .

---

(٦) اى التشابه والتماثل ، والمراد به هنا ما به التشابه من اطلاق المصدر على المفعول اعنى وجه الشبه .

(٧) فيقال للجبان هو كالأسد فى الشجاعة فيكون الوجه منتزعا من التضاد ، اى من ذى التضاد ، اى من المتضادين .
وذلك بتنزيل تضاد الجبن والشجاعة منزلة تناسبها تمليحا او تهكما فصار الجبن مناسبا للشجاعة وبمنزلتها وصار الجبان مناسبا للشجاع فاذا شبهناه به صار كأنه قام به شجاعة ، فاذا أخذ وجه الشبه منهما كان هو الشجاعة وان كانت ادعاء فى المشبه .

(٨) اى ان التضاد لكون كل منهما مضادا للآخر .

(٩) اى اتيان بما فيه ملاحة وظرافة ، من ملح الشاعر اذا أتى بشىء مليح .

(١٠) اى سخرية واستهزاء .

(١١) وكل من المثالين صالح للتمليح والتهكم وانما يفرق بينهما بحسب المقام فاذا كان القصد الى ملاحة وظرافة دون استهزاء وسخرية بأحد فتمليح والا فتهكم .

وقد سبق الى بعض الأوهام نظرا الى ظاهر اللفظ ان وجه الشبه فى قولنا : للجبان هو أسد ، وللبخيل هو حاتم ، هو التضاد المشترك بين الطرفين ، باعتبار الوصفين المتضادين وهما الجبن والشجاعة مثلا لا باعتبار حقيقتى الموصوفين . وفيه نظر لأنا اذا قلنا الجبان كالأسد فى التضاد اى فى كون كل منهما مضادا للآخر ، لا يكون هذا من التمليح والتهكم فى شىء ، كما اذا قلنا السواد كالبياض فى اللونية أو فى التقابل ، ومعلوم انا اذا اردنا التصريح بوجه الشبه فى قولنا للجبان هو أسد تمليحا أو تهكما ، لم يتأت لنا الا ان نقول فى الشجاعة مع ان الحاصل فى الجبان انما هو ضد الشجاعة ، فنزلنا تضادهما منزلة التناسب وجعلنا الجبن بمنزلة الشجاعة على سبيل التمليح والهزء .

ملحق للجزء الرابع :

التشـــبيه والبحث البلاغى

التشبيه كما يقول أبو هلال م ٣٩٥ هـ : الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر (١) وهو كما يقول ابن رشيق م ٤٥٦ هـ : وصف الشيء بما يقاربه ويشاكله (٢) ، وهو عند عبد القاهر م ٤٧١ هـ : أن تثبت لهذا معنى من معانى ذاك أو حكما من أحكامه كاثباتك للرجل شجاعة الأسد وللحجة حكم النور(٣) • ونقول نحن : ان التشبيه رسم صورفنية دقيقة لكل ما يدركه الحس أو يتأثر به الوجدان أو يفكر فيه العقل ، هـو تصوير الأشياء بصورة الخيال الدقيق ، وابراز صورة أدبية مطابقة كل المطابقة لما تصوره من حسيات ووجدانيات ومعنويات ، سواء كان هذا التصوير بأسلوب التشبيه أو التمثيل ، فليس التمثل الا تشبيها خاصا روعى فيه أن يجرى فى الهيئات ، ويقول ابن رشيق فى العمدة : والتمثيل والاستعارة من التشبيه الا أنهما بغير أداته وعلى غير أسلوبه•

عناصر التشبيه :

أهم عناصر التشبيه الأدبى هو ابراز الشبه التام بين الصـور وحقائقها وأن تقوم الصورة مقام أصلها فى أداء المقصود منها ، وهى صنعة تستدعى جودة القريحة والحذق الذى يلطف ويدق وكلما كانت الصورة أبلغ فى التعبير عما ترمز اليه كان شأنها أعجب والحذق لصورها أوجب ، ويقول المبرد فى كامله : « وأحسن الشعر ما قارب فيه القائل اذا شـبه وأحسن منه ما أصاب به الحقيقة ونبه بفطنته على ما يخفى عن غيره وساقه برصف قوى واختصار قريب » ويقول ابن رشيق :

---

(١) ٢٢٦ صناعتين . (٢) ٢٥٦ ج ١ العمدة . (٣) ٦٨ الأسرار

« وحسن التشبيه أن يقرب بين البعدين حتى يصير بينهما مناسبة واشتراك » ، ويقول مؤلف نقد النثر : وكلما كان المشبه فى تشبيهه ألطف كان بالشعر أعرف وكلما كان بالمعنى أسبق كان بالحذق أليق (٤) وعبد القاهر يؤمن بنظرية ابن رشيق ويفيض فى شرحها فى أسراره وان لم يبين ممن استمدها .

التشبيه والأسلوب : وعلى أى حال فان للتشبيه مكانته الأدبية الممتازة فى أساليب البيان ، وله أثره فى التعبير والقدرة على التصوير وفى استثارة الاقناع والاعجاب ، ومسلكه فى ذلك حبيب الى الفكر وشبيه بالسحر وموصل الى الغاية التى ينشدها الشاعر والبليغ . وهو على أى حال أصعب أنواع الشعر وأبعدها متعاطى (٥) ، وأشد ما تكلفه الشاعر صعوبة لما يحتاج اليه من شاهد العقل واقتضاء الحس (٦) وهو مستوعر المذهب ومقتل من مقاتل البلاغة (٧) .

وقد عنى علماء الأدب والبيان به وبدراسته ، وكتب عنه المبرد فى الجزء الثانى من كامله (٨) ، وثعلب فى كتابه قواعد الشعر (٩) ، وابن المعتز فى كتابه البديع ثم تلاهم قدامة فى نقد الشعر ونقد النثر ، وأبو هلال فى الصناعتين ، وعبد القاهر فى الأسرار ، وابن رشيق فى العمدة ، وابن الأثير فى المثل السائر . وقد ألفت فيه كتب مستقلة : ككتاب التشبيهات تأليف الامام أبى اسحاق البغدادى وهو مختارات من الشعر والنثر فى التشبيه والاستعارة والأمثال مخطوط بدار الكتب (١٠) ، وككتاب التمثيل والمحاضرة فى الحكم والمناظرة للثعالبى (١١) .

---

(٤) ٥٨ نقد النثر .
(٥) ٢٢٤ ج ٢ العمدة . (٦) ٢٥٥ ج ١ العمدة .
(٧) ١٥٢ المثل السائر . (٨) ٣٥ — ١٠١ ج ٢ الكامل .
(٩) طبع بليدن ومن هذا الطبعة نسخة بدار الكتب الملكية . وقد نشرته عام ١٩٤٨ .
(١٠) بنمرة ١١ ش .
(١١) مخطوط بدار الكتب الملكية (٤٩٢ و ٦٠٠ أدب) .

وكتاب الأمثال السائرة من شعر المتنبى للصاحب بن عباد (١٢) ، وكتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس لعلى بن محمد الكاتب من أهل القرن الخامس وكتاب روائع التوجيهات فى بدائع التشبيهات لنصر بن يعقوب (١٣) ، على أن حقائق التشبيه لم يفهمها الكثير الا فى القرن الثالث وما بعده ، فعبد الملك يقول للشعراء : تشبهونا بالأسد والأسد أبخر وبالبحر والبحر أجاج وبالجبل والجبل وعر (١٤) ، ومثل ذلك يروى عن أعرابى فى مساجلة أدبية طويلة بينه وبين الأصمعى (١٥) ، وكأن الجاحظ يرد على ذلك حين يقول : وقد علم الشاعر أن الجارية الفائقة الحسن أحسن من الظبية وأحسن من البقرة وأحسن من كل شىء تشبه به ولكنهم لو لم يفعلوا ذلك لم تظهر بلاغتهم(١٦) ، ويقول المبرد فىتوضيح هذا الرأى : انما ينظر الى التشبيه من حيث وقع فاذا شبه الوجه بالشمس فانما يراد الضياء والرونق ولا يراد العظم والاحراق (١٧) .

التشبيه فى الشعر الجاهلى : يظهر التشبيه فى الشعر الجاهلى فى كثرة وجودة تصوير وسهولة مأخذ وقرب خيال وصدق تعبير ، ثم يتجاوز فى الغالب حدود الأوصاف الحسية المادية القريبة ، فامرؤ القيس فى معلقته مشبه مجيد فى وصف المرأة والثريا وفى وصف الليل والفرس والبرق والمطر بما هو فيه أول باجماع ، يقول فى عشيقته :

تضىء الظلام بالعشى كأنها منارة ممسى راهب متبتل

ويقول فى وصف الثريا :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت تعرض أثناء الوشاح المفصل

---

(١٢) مخطوط بدار الكتب الملكية (١١ و ٥٠٢٤ ادب) .
(١٣) ٣١٤ ج الرافعى .
(١٤) ٢٦ ج ١ ديوان المعانى .
(١٥) راجع هذه الرواية الأدبية بتفصيل (١١٦ ج ٢ زهر الآداب) ،
(١٦) ١٦٣ رسالة النساء للجاحظ بهامش الكامل للمبرد .
(١٧) ٤٧ ج ٢ الكامل للمبرد .

مما قال المبرد فيه : « وقد أكثر الناس فى صفة الثريا ، فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ (١٨) » ؛ ويقول أبو هلال فى ديوان المعانى : « وهذا البيت فى صفة الثريا استحسنه الناس وقدموه » ثم رد على من نقده (١٩) : ويقول الجرجانى: « اعتبر الشاعر هيئة التفصيل فى الوشاح ، والشكل الذى يكون عليه الخرز المنظوم فى الوشاح ، فصار اعتبار التفصيل أعجب تفصيل فى التشبيه (٢٠) .

ويقول امرؤ القيس فى جواده : « قيد الأوابد هيكل » ويصور هيئته فى عدوه فيقول : « كجلمود صخر حطه السيل من عل » ، وهل تجد فى الشعر أبلغ من هذه الصورة الرهيبة لليل ، فى ظلمته وطوله على المهمومين :

وليل كموج البحر أرخى سدوله على بأنواع الهموم ليبتلى

ويقول (٢١) :

سموت اليها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال

---

(١٨) ٣٥ جـ ٢ الكامل .

(١٩) قالوا : هو معيب ، لأن التعرض انما هو أن يبدى عرضه أى جانبه ، والثريا تشق وسط السماء شقا (راجع ٣٥ الشعر والشعراء ط ١٩٣٢ . قال ابن قتيبة : انما أراد الجوزاء) ، قالوا . واحسن منه قول ذى الرمة .

ورددت اعتصافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق

قال أبو هلال : انما أراد امرؤ القيس الثريا حين تغيب ، لأنها حينئذ تنحرف من وسط السماء الى جانبه . وقال آخرون : الثريا تعرض أول ما تطلع كما ان الوشاح اذا طرح يلقاك بعرضه وهو ناحيته .

(٢٠) أسرار البلاغة .

(٢١) يقول ابن رشيق : وامرؤ القيس أول من طرق هذا المعنى =

وهو أول من طرق هذا المعنى وابتكره ، وسلم الشعراء اليه ، فلم ينازعه أحد اياه ، كما يقول ابن رشيق .

وقال المبرد : أحسن التشبيهات ما أتى لامرىء القيس فى بيت واحد ، من تشبه شيئين بشيئين مختلفين ، وهو قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢٣)

وكذلك أشاد به ابن قتيبة (٢٤) وكثير من النقاد فى مجلس عبد الملك (٢٤) .

وقال ابن رشيق : « وامرؤ » القيس أول من ابتكر التمثيل بقوله :

وما ذرفت عيناك الا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بسهام الميسر ، ومثل قلبه بأعشار الجزور ، فتمت له جهات التمثيل(٢٥) كل هذا « مفرغ فى ذنوب من ماء العربية ، بين الجزالة والعذوبة» كما يقول بعض المحدثين ، وهو أبلغ تصويراً كما يقول القدماء من النقاد الى ما سوى ذلك من تشبيهاته المبتكرة (٢٦ طبقات الشعراء لابن سلام ، ١٨٠ الموازنة ، ٢١٤ — ٢١٩ جـ ٢ الرافعى) .

وكذلك كان النابغة مشبها ، ومصورا يبلغ الغاية فى التعبير

= وابتكره وسلم الشعراء اليه فلم ينازعه أحد اياه وقد تعلق بذلك ابن شهيد الاندلسى فقال :

أدب اليه دبيب الكرى وأسمو اليه سمو النفس

(٢٢) الكامل للمبرد . (٢٣) ٣٤ الشعر والشعراء .

(٢٤) ٣٠ جـ ٣ الأمالى واحتذى بشار حذوه فى بيته .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

(٤٦ جـ ٣ الأغانى ، ٢٦٠ جـ ١ العمدة ، ٢٣٧ سر الفصاحة ، ٢١٩ جـ ٣ الرافعى) .

(٢٥) ٢٤٧ جـ ١ العمدة .

والتصوير . ووصف طرفه للناقة ، ووصف لبيد للبقرة الوحشية ، ووصف عنترة لفرسه والروضة التى استطرد فى معلقته الى وصفها ، وللذباب الذى يغرد فيها ، كل هذا حافل بالصور المادية الجيدة لبلبغ التشبيه ، ويقول الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم ، فوجدنا المعنى يقلب ، ويؤخذ بعضه من بعض غير قول عنترة :

وخلا الذباب بها ، فليس تبارح غردا ، كفعل الشارب المترنم
هزجا ، يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

(١٨٤ ج ٣ البيان) .

وسمع الفرزدق رجلا ينشد قول لبيد

وجلا السيول عن الطلول كأنها زبر تجد متونها أقلامها

فسجد ، فقيل له : ما هذا يا أبا فراس ! ! فقال : « أنتم تعرفون سجدة القرآن وأنا أعرف سجدة الشعر » (راجع ٧٩ خاص الخاص للثعالبى) ، قال بعض المحدثين : وهم يعتبرون هذا التشبيه لبقايا الأطلال ، فى دقتها وتتابعها ، ولعفاء أعلامها ، ثم كشف السيول عن هذه الآثار المطموسة وسط التراب ، من التشبيهات العالية الطبقة .

التشبيه فى القرآن الكريم :

والقرآن الكريم يسير بأسلوب التشبيه الى غاية بعيدة ، من الصدق والقوة ، وروعة التأثير ، وجودة التصوير ، وتقرير الشبه بين الأشياء وابراز المعانى البعيدة فى صورة حسية مألوفة ، ويبلغ فى ذلك غاية الايجاز ، ومنتهى الاعجاز ، وهل تجد أبلغ أو أروع من قوله تعالى: « الله نور السموات والأرض ، مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح فى زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب درى ، يوقد من شجرة مباركة زيتونة ، لا شرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور » أو قوله تعالى : « وله الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام » ،

ومن أتم أوصاف الظلمة ، الذى ليس فى كلام البشر ، كما يقول أبو هلال فى ديوان المعانى (٢٦) ، قوله تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة ، يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده ، ... أو كظلمات فى بحر لجى ، يغشاه موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب . ظلمات بعضها فوق بعض ، اذا أخرج يده لم يكد يراها » . الى غير ذلك من رائع التمثيلات وساحر التشبيهات ، التى تملأ الوجدان روعة والقلب ايمانا .

التشبيه فى الشعر الاسلامى :

وتأثر الشعراء الاسلاميون بالذكر الحكيم فى أساليب التشبيه . فتأنقوا فى تجويده ، والبلوغ به الى حد البلاغة ، وسحر التصوير ، وأعانهم على ذلك تكاثر المعانى ، واتساع الخيال ، والحياة الجديدة التى مهد لهم الاسلام سبيلها ، فتجد عمر بن أبى ربيعة يقول :

دمية عند راهب ذى اجتهاد صوروها فى جانب المحراب

وتجد كثيرا من هذه الصور عند من سواه من الشعراء .

ودخل الأخطل على معاوية (٢٧) أو على عبد الملك (٢٨) فقال له : ان كنت شبهتنى بالحية والأسد والصقر فلا حاجة لى بمدحك . ولما شاعت الدقة والمبالغة فى الشعر لم يرض عن ذلك كثير ، وعابت امرأة عمران بن حطان عليه تشبيهه ممدوحه بالأسد لما فيه من

---

(٢٦) ٣٤٤ ج ١ .

(٢٧) ٧١ ج ٤ زهر .

(٢٨) ٢٧ ج ١ ديوان المعانى .

المبالغة (٢٩) وكان ذو الرمة (٣٠) رئيس المشبهين الاسلاميين (٣١) كما كان امرؤ القيس فى الجاهليين، كان أحسن الناس نسيبا وأجودهم تشبيها (٣٢)، وقد أجمعت العرب على أنه أحسنهم تشبيهات (٣٣) ، وقدر من التشبيه على ما لم يقدر عليه غيره كما يقول جرير (٣٤) ، وكان ابن المعتز أفضله ويقدمه بحسن الاستعارة والتشبيه (٣٥) ، وقال ابن المعتز : كان ذو الرمة أبدع الناس استعارة وأبرعهم عبارة (٣٦) ، وليس بعده أكثر افتتانا وأكبر تصرفا فى الشعر من ابن المعتز (٣٧) ومن تشبيهاته قوله :

ودرية مثل السماء قطعتها وقد صبغ الليل الحصا بسواد

---

(٢٩) ٨١ جـ ١ العمدة ، ٣٦٢ جـ ١ و ٨٨ جـ ٢ الكامل للمبرد ، ويروى ذلك مع زهير ومع أوس بن حجر (٨١ جـ ١ العمدة) .

(٣٠) غيلان بن عقبة (٧٧ — ١١٧ هـ) شاعر أموى مجيد فى وصف الأطلال ومن أكبر شعراء الوصف فى العصر الاسلامى وكان يذهب فى ذلك مذهب الجاهليين وبعد من فحول الطبقة الثانية فى عصره . وكان راوية راعى الابل (٢٠٧ طبقات ابن سلام) ، وكان من اظرف الناس حلو المنطق حلو الحديث حسن الصوت (٣٦٦ جـ ٤ العقد) ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : فتح الشعر بامرىء القيس وختم بذى الرمة (الرافعى جـ ٣ البيان).

(٣١) ١٢٥ جـ ٣ الرافعى .

(٣٢) ٢٧ و ٢١٠ الشعر والشعراء ١٧٢ الموشح ، ٢٦ طبقات الشعراء لابن سلام .

(٣٣) ١٤٧ جـ ٢ ديوان المعانى . (٣٤) ١٧٢ الموشح .

(٣٥) ٢٤٥ جـ ١ العمدة .

(٣٦) ١٢٤ جـ ٢ زهر ١٠ ، رسائل ابن المعتز لمحمد عبد المنعم خفاجى.

(٣٧) ٢١٩ جـ ١ زهر ، وأكثر شعره غير مصرع الأوائل وهو مذهب الكثير من الفحول وان لم يعد منهم لقلة تصرفه (١٥٢ جـ ١ العمدة) ، ويرى حماد الراوية أنه آخر لحداثة سنه وانهم حسدوه ، ص ٩ ديوان ذى الرمة .

أخذه منه البحترى وقصر فقال :

على باب قنسرين والليـــل لاطخ جوانبـــه من ظلمـــة بمـــداد

وقوله :

وتجـــلو بفـــرع من أراك كـــأنه من العنبر الهندى والمســـك ينفح

وقال :

رجيعة أســـــفار كأن زمامهـــا شجاع على يسرى الذراعين مطرق

وقال :

فما انشق ضوء الصبح حتى تبينت جداول أمثال السيوف القواطع

وقال :

أقامت به حتىذوى العود والنوى وساق الثريا فى ملاءته الفجـــر

فاستعار للفجر ملاءة وأخرج لفظه مخرج التشبيه ، كما يقول ابن رشيق (٢١٩ جـ ١ عمدة) • وكان ذو الرمة أنعت العرب للحرباء ، ومن وصفه لها قوله :

كأن يـــدى حربائهـــا متمســـكا يدا مذنب ، يســـتغفر الله ، تائب

ودخل جرير على الوليد ، وعدى بن الرقاع عنده ، ينشده داليته ، قال جرير • فحسدته على أبيات منها ، حتى أنشده فى صفة الظبية : « تزجى أغن كأن ابرة روقه » ،فقلت فى نفسى قد وقع ، والله ما يقدر أن يقول أو يشبه ، فلما قال عدى • « قلم أصاب من الدواة مدادها »، ما قدرت حســـدا له أن أقيم ، حتى انصرفت (٩٤ جـ ٢ الكامل ، ١١٢ أسرار البلاغة) •

التشبيه فى شعر المحدثين :

وسار المحدثون بالتشبيه فى طريق الدقة والعمق وجودة التصوير واختراع المعانى وتوليدها والاكثار من التشبيهات والتمثيلات العقلية البعيدة المنزع وكان أظهرهم فى هذا بشار وأبو نواس ثم أبو تمام والبحترى ثم ابن الرومى وابن المعتز • ونقد بشار كثيرا فى قوله :

ألا انما ليلى عصا خيزرانة متى غمزوها بالأكف تلين

وقال : لله أبو صخر ، جعلها خيزرانة ، فو الله لو جعلها عصا رند لهجنها ، ألا قال كما قلت :

اذا قامت لحاجتها تثنت كأن عظامها من خيزران

ويقول بشار — كما روى عنه الأغانى (٣٨) وابن رشيق (٣٩) — : لم أزل مذ سمعت قول امرىء القيس فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد « كأن قلوب الطير » ، أعمل نفسى فى الاتيان بمثله ، حتى قلت :

كان مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وقد عقد الجرجانى فى أسراره (٤٠) موازنة ممتعة بين فيها فضل بيت بشار على ما يشابهه من شعر المتنبى وعمرو بن كلثوم •

وسئل بشار : بم فقت أهل عصرك فى تهذيب ألفاظ الشعر ، وحسن معانيه ؟ فقال : لأنى لم أقبل كل ما يناجينى به طبعى ، ونظرت الى معادن الحقائق ، ولطائف التشبيهات ، فسرت اليها بفهم جيد وغريزة قوية (٤١) •

---

(٣٨) ٣ ص ٤٦ • (٣٩) ص ٢٦٠ العمدة .
(٤٠) ١٥١ و ١٥٢ الاسرار . (٤١) ١٥٠ ج ١ زهر الاداب .

وكان غير بشار من المحدثين مثل بشار ، فى جودة التشبيه ، وقوة التصوير ، والدقة فى المعنى ، والتغلغل فى أعماق الخيال .

ثم اشتهر بعد ذلك باجادة التشبيه بعض الشعراء فى شتى العصور، كما امتاز بعض الشعراء بجودة التمثيل ودقته وروعته .

وبعد فالتشبيه قد ذكره أرسطو ورأى أن الشعراء يقبحون فى التشبيه اذا أبعدوا وفرق بينه وبين الاستعارة (الشفاء لابن سينا) .

وأشار اليه الجاحظ اشارة عابرة حيث ذكر مثلا له (٤٣) ، وعقد له المبرد فى كامله بابا مستقلا (٤٣) ، وكذلك فعل ثعلب (٤٤) وابن المعتز (٤٥) والاصابة فى التشبيه من أسباب جودة الشعر (٤٦) ، وذكر ابن قتيبة التشبيه فى مواضع كثيرة من كتابه (٤٧) ، ورأى أن المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه فى وجه الشبه (٤٨) وذكر قدامة أيضا بابا مستقلا للتشبيه (٤٩) وكذلك صاحب العمدة وأبوهلال وسواهم من العلماء وابن المعتز أشهر من شهر بالتشبيه ، وعده من ألوان البديع متمشيا مع فطرته وذوقه الأدبى الذى شغف بهذا الصبغ البيانى شغفا خاصا وتبعه فى ذلك كثير من الشعراء .

---

(٤٢) ٢٢٩ ج ٢ و ٢٤٣ ج ٢ البيان .

(٤٣) ٢٥ — ١٠١ ج ٢ الكامل . (٤٤) ١٤ — ١٨ قواعد الشعر .

(٤٥) ١٢١ — ١٣١ البديع . (٤٦) ٢٠ الشعر والشعراء .

(٤٨) ٢١٧ المرجع . (٤٩) « ٨ » ٦٥ — ٧٠ نقد الشعر .

شخصية عبد القـــاهر الجرجانى

عبد القاهر الجرجانى علم من أعلام النقد والبيان فىتاريخ الثقافة العربية بل هو أبو البلاغة العربية ومبتكر نظرياتها عند كثير منالدارسين•

وقد عاش حياته كلها فى جرجان ، وهى موطن كبير من مواطن الثقافة الاسلامية العربية فى ايران فى القرن الخامس الهجرى (نحو ٤٠٠ — ٤٧١ هـ) ألف « المغنى » فى شرح الايضاح «لأبى على الفارسى فى ثلاثين جزءا ، ثم اختصر » فى كتاب سماه « المقتصـــد » بمثابة شرح صغير على الايضاح • وألف كذلك مختارات شعرية من شـــعر المتنبى وأبى تمام والبحترى ، وكانت ثقافته العربية والنقدية أغلب عليه ، ولقب بالنحوى لتفوقه فى النحو ، واستقصائه لأحكامه وعلله ووجوهه •

وطارت شهرته فى كل مكان ، وتصدر حلقات الأدب والعربية فى جرجان ، وقصده الناس للاغتراف من علمه ، والافادة من فضله ، وتتلمذ عليه علماء كثيرون ، منهم : أبو نصر الشحرى ، وعلى بن زيد الفصيحى ، وســـواهما : وقيـــل عنه : انه « فرد فى علمه النزير ، لا بل هو العلم الفرد فى الأئمة المشاهير » •

ومن آثاره الأخرى : « التكمـــلة ، وهـــو ذيل الايضـــاح » و « الايجاز » ، وهو مختصر للايضاح أيضا ، و « الجمل » فى النحو والتلخيص ، وهو شرح لكتاب الجمل و « العوامل المـــائة » وكتاب فى العروض ، وكتاب العمدة فى التصريف ، وشرح الفاتحة ، وله شرحان على كتاب « اعجاز القرآن فى نظمه » للواسطى (٣٠٦ هـ) : أحدهما كبير سماه « المعتضد » ، والآخر صغير ، و « الرســـالة الشافية ، فى الاعجاز ، وقد طبعت مع رسالتين أخريين بعنوان « ثلاث رسائل » علق عليها الدكتوران : محمد خلف الله ، ومحمد زغلول سلام ، وطبعت فى القاهرة •

وله كتـــابان آخران : أحدهما هو « التـــذكرة » ذكره مؤلف « أنبـــاء الرواة » والآخر هو « المفتاح » ذكره صـــاحب (طبقـــات الشافعية) .

وأجل كتبه ، وأعظمهـــا أثرا ، وأكبرها خطرا ، وأخلدها على الأيام كتابان ، هما : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، وهما أعظم ما ألف فى البلاغة والنقد على مر العصور .

واذا كانت شهرة عبد القاهر بالبلاغة قد ذاعت وطارت فى كل مكان فان شهرته بالنقد لا تقل فى الحقيقة عن شـــهرته بالبلاغة ، وكتاباه يمثـــلان الذروة فى كتب النقـــد العربى ، ويمثلان منهجا كاملا فيه .

ان عبد القاهر (١) من أعظم النقاد فى تاريخ الثقافة الأدبية عند العرب ، وهو الذروة التى وصل اليها النقد العربى ، وقد سبقه نقاد كبار وضعوا أصـــول نظريات فى النقد : فالأصمعى وضع مقياس الشخصية الفنية فى النقد فى كتابه « فحوله الشعراء » ، وابن سلام وضع مقياس الطبقة فى كتابه « طبقات فحول الشعراء » ، والجاحظ وضع مقياس الذوق فى تقرير الأثر الأدبى ، وابن قتيبة وضع قياس المحاكاة للجاهليين ، وابن المعتز وضع نظرية البديع ودافع عن المحدثين من خلالها ، وقدامة وضع مقياس الميزان النقدى فى تقدير الشـــاعر والشعر . والآمدى وضع مقياس العمودية أو نظرية عمود الشعر ،

---

(١) كان من كبار ائمة العربيـــة اخذ النحو عن ابى الحســـين محمد الفارسى ، والف : المغنى فى شرح الايضاح فى نحو ثلاثين مجلدا ، واعجاز القرآن ، وكتـــاب عروض ، والعوامل المـــائة ، والمفتاح ، والعمدة فى التصريف ، والجمل والتلخيص بشرحه ، واسرار البلاغة ودلائل الاعجاز وغيرها (راجـــع فوات الوفيـــات لابن شـــاكر ص ٢٧٨ و ٢٧٩ ج ١ طبعة ١٢٨٣ هـ) .

والقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى وضع نظرية العدالة النقدية فى الحكم على الشـــاعر ، وعبد القاهر الجرجانى وضع نظرية النظم وطبق عليهـا تطبيقات نقـدية رائعة فى كتابيـــه « دلائل الاعجاز » و « أسرار البلاغة » •

ويقول الدكتور محمد منـــدور فى كتابه « فى الميزان الجـــديد » ص ١٤٢ : « ان لدينا كتب نقد منهجى مفصل لا نظن ان الأوربيين قد وضعوا فى آدابهم خيرا منها وخير مثل لتلك الكتب هو : « الموازنة » للآمدى ، و « الوســـاطة للقاضى الجرجانى » ومع ذلك فالفرق كبير بين عبد القاهر الجرجانى وبين الآمدى والقاضى الجرجانى ، فاذا كانت أحكام هذين الناقدين تعد الأساس القوى لنشأة النقد العربى ، فان دراســـات عبد القاهر قـــد بنت للنقـــد صرحا شامخا ، وكتاباه « الدلائل » و « الأسرار » جد مبتكرين فى تاريخنا النقدى والبيانى• ويرى الدكتور مندور أن كتاب « أسرار البلاغة » أقرب الى الفلســـفة النظرية منه الى النقد الأدبى • فالأدب فن لغوى ، ومنهجه هو المنهج الفقهى ، كما فهمه عبد القاهر وطبقه فى « دلائل الاعجاز » (٢) •

ولقد بلغ النقـــد الأدبى حتى نهاية القرن الرابع حدا كبيرا من النضـــوج والقوة شأنه فى ذلك شأن الأدب وسائر ألوان العـــلوم والثقافات ، وذلك برغم ما كان يغشى الحياة الاسلامية ابان ذلك العهد من ضعف سياسى بعيد الأثر فى مستقبل العالم الاسلامى ، وحين كانت رقعة الدول الاسلامية تمزق أديمها الحوادث العاصفة وتتداولها أيدى الملوك الغاصـــبين والدول الصغيرة الناشئة كالاخشـــيدية والفاطمية والحمدانية والبويهية وغيرها من مختلف الدويلات والعروش ، كان رجال العلم والأدب والفن جادين فى اقامة الحياة الاسلامية على أسس وطيدة من التفكير المثمر والانتاج الصحيح والتجديد المستمر فى شتى

---

(٢) ٤٧ : فى الميزان الجديد — للدكتور مندور •

ألوان الثقافة ومناحى الحياة ، وكانت رعاية الملوك لهم ، وتعضيد الأمراء وقادة العالم الاسلامى اياهم ، سببا من أسباب استمرار هذه النهضة الفكرية والعلمية والأدبية ، كما كانت حركة البعث العقلى التى غذاها الرشيد والمأمون قد آتت أكلها ، وهضمتها عقول المسلمين ، وأحالتها غذاء عقليا أنتج نتائجه العظيمة فى القرن الرابع الهجرى ، فكان أحفل عهد برجال الفكر والعلم والأدب والنقد والبيان وأمجد عصر شهدته العربية وآدابها الرفيعة ، وذاعت فى آفاقه شهرة كثير من الأدباء والكتاب والشعراء وأئمة النقد وفحول البيان ، وظهرت فى خلاله مؤلفات كثيرة ناضجة فى علوم الدين والدنيا ، وفى علوم التفكير والفلسفة ، وفى علم العربية وآدابها ، سواء فى اللغة — أم فى الأدب أم فى النقد أم فى البيان . وما زالت هذه المؤلفات أعظم المصادر وأجلها فى الثقافة الاسلامية ، وما زلنا ننشد السير على آثارها فى الابتداع والتجديد والانتاج ولعل من أظهر خصائص الثقافة الاسلامية فى هذه الحقيقة الرائعة ازدهار حركة النقد الأدبى ، وكثرة ما ظهر فيه من مؤلفات .

ففى القرن الرابع ازدهر النقد ، وتعدد النقاد واتجه علماء الأدب فى مشرقه الى الكتابة فى الأدب والنقد ، ثم مزجوا بحوث النقد والأدب والبيان ، ثم أفادوا من دراسات النقد فائدة جلى انتقلت بهم الى البحث فى مظاهر البيان ومشكلات البلاغة ، فاتجه تأليفهم فى آخر هذا القرن الى بحوث البيان نفسه .

ونقاد الأدب والشعر فى القرن الرابع فريقان : فريق كتب ونقد ووازن وحكم متأثرا بذوقه الأدبى وطبعه العربى وثقافته الخاصة من شوائب الثقافات الأخرى ومن هؤلاء : الحاتمى ٣٨٨ هـ صاحب « الرسالة الحاتمية ، فى نقد شعر المتنبى وبيان سرقاته من حكمة أرسطو الفيلسوف ، والحسن بن بشر الآمدى (— ٣٧١ هـ) صاحب الموازنة بين الطائيين ، وعلى بن عبد العزيز الجرجانى (٣٩٢ هـ)

صاحب « الوساطة بين المتنبى وخصـــومه » وابن وكيع (٣٩٣ هـ) صاحب « المنصف » فى سرقات المتنبى ، وأبو بكر الباقلانى (٤٠٣ هـ) مؤلف « اعجاز القرآن » ، وقبلهم أبو بكر الصولى (٣٣٦ هـ) صاحب « أخبار أبى تمام » وأبو الفرج الاصبهانى (٤٥٦ هـ) مؤلف كتاب « الأغانى » وفريق آخر كتب بروح أدبى هذبت فكرته ووسعت أفقه الثقافات الأخرى التى هضمها القرن الرابع ، وأحالها غذاء عقليا لكل من توسع فى الدراسة والبحث العميق • ومن هذا الفريق : جعفر بن قدامة (٣١٩ هـ) وقدامة بن جعفر (— ٣٢٧ هـ) صاحب « نقد الشعر » وابن العميد (٣٦٠ هـ) والصاحب بن عباد (٣٨٥ هـ) صاحب رسالة « الكشف عن مساوىء شعر المتنبى » وأبو هلال العسكرى (— ٣٩٥ هـ) صاحب « الصناعتين » و « ديوان المعانى » • وهـــذا الفريق الأخير يختلف نقده قوة وضعفا بحسب تمكن الطبع العربى من نفوس رجاله وأعلامه ، وتتفاوت منازلهم فى الاجادة والاحســـان بتفاوتهم فى الذوق الأدبى الذى يعتد به فى الحكومات الأدبية العادلة • ودعنا ممن نقـــدوا الأدب والشعر بدون تمكن الطبع الأدبى فى نفوسهم ، من النحويين علماء اللغة ، والمعنويين رجال العقل والفلســـفة ، الذين جاء حكمهم بعيدا عن الذوق المطبوع والفطرة السليمة ، والذين نقدهم الجرجانى فى « وساطته » نقدا لاذعا ، وطرح آراءهم فى النقد والبيان ، فلم يعتد بها ولم يعرها نصيبا من البحث والمناقشة ، اللهم الا حين ذكر بعض أخطائهم فى النقد لتكون حجة له فى هذا الاهمال •

ويجىء الباقلانى وكتابه « اعجاز القرآن » أثرا جليلا من آثار النقد والبلاغة وقد ألفه فى نهايات القرن الرابع الهجرى •

ثم جاء عبد القاهر الجرجانى فى القرن الخامس فأحدث بكتابيه : دلائل الاعجاز ، وأسرار البلاغة ، ثورة بيانية ونقدية رائعة •

وقد ظهر مع عبد القـــاهر وفى عصره فحول من النقاد من أمثال : ابن سنان الخفاجى صاحب كتاب « سر الفصاحة » ، وابن رشيق القيروانى

صاحب كتاب « العمدة فى صناعة الشعر ونقده » وكان لهم جميعا أثر كبير فى تطور النقد والبيان •

وعبد القاهر الجرجانى (— ٤٧١ هـ) من أجـل النقاد العرب فى تاريخ الثقافة الأدبية العربية •

وقد سبقه الآمدى والقاضى الجرجانى •

ومع ذلك فالفرق كبير بين عبد القاهر وبين الآمدى والجرجانى ، فاذا كانت أحكام هذين الناقدين تعد الأساس لنشـأة النقد العربى ، فان دراسات عبد القـاهر قد بنت للنقد صرحا شامخا فكتاباه الأسرار والدلائل من خير ما ألف فى النقد والبيان •

ويقول مندور (٣) : اننى لا أعدل بكتاب « دلائل الاعجاز » كتـابا آخر ، وأما « أسرار البلاغة » فمرتبته فى نظرى دون الدلائل بكثير • فالدلائل يشـتمل على نظرية فى اللغـة وتطبيق على تلك النظرية وأما « الأسرار » فأقرب الى الفلسفة النظرية منه الى النقد الأدبى ، فالادب فن لغوى ، ومنهجه هو المنهج الفقهى ، كما فهمـه عبد القاهر وطبقـه فى « دلائل الاعجاز » •

ويعتمد عبد القاهر على الذوق الأدبى الخالص اعتمادا كليا فى كل ما يقرره من أحكام ، مقررا أنه لا يصادف القول فى هذا الباب موقعا من السامع ، ولا يجد لديه قبولا ، حتى يكون من أهل الذوق والمعرفة ، وحتى يكون ممن تحدثه نفسه بأن لمـا يومىء اليه من الحسن واللطف أصلا ، وحتى يختلف الحال عليه عند تأمل الكلام ، فيجد الأريحية تارة ويعرى منها أخرى ، وحتى اذا عجبته عجب ، واذا نبهته لموضع المزية انتبه(٤)•

---

(٣) ١٤٣ المرجع •
(٤) ٢٨٤ الدلائل تحقيق الخفاجى •

وقد أثرى عبد القاهر البلاغة العربية والبيان العربى والنقد الأدبى اثراء جليلا ، يظهر فى نقده الأساليب وتحليلها ، وفى استنباطه الفروق والخصائص فميا بينها وفيما عرض له من أحكام نقدية دقيقة على أساليبه كثيرة من ضروب الشعر والنثر .

ويمثل عبد القاهر الجرجانى مؤلف كتابى : أسرار البلاغة ، ودلائل الاعجاز ، القمة العالية ، التى وصل اليها الذوق العربى .

وفى كتاب « أسرار البلاغة » يتحدث عبد القاهر عن الأصول الكبرى فى البيان العربى ، مثل التشبيه والتمثيل ، والاستعارة ، والمجاز والكناية ، والسرقات الشعرية ، وحسن التعليل وروائع الاهتداء الى دقائق المعانى فيها واختلاف الأدباء والشعراء فى الوصول الى أدق بلاغاتها ، وطرق اختلاف أساليبها من حيث النظم والصياغة والتصوير .

وفى « دلائل الاعجاز » يتحدث عبد القاهر عن نظرية النظم وتطبيقاتها الواسعة فى مختلف أساليب البيان ، ويتهدى بذوقه واحساسه بين روائع الأدب والشعر دارسا لها مبينا الفروق الأدبية والبيانية بين أساليبها من حيث وجهة رأيه فى النظم ، ويهتدى بفطنته وذكائه الى مناهج مفصلة يبنى عليها أحكامه النقدية والبيانية فى دقة وعمق وروعة فهم للأدب وخصائصه :

وأكاد أمثل ذوق عبد القاهر النقدى فى الكتابين بالترمومتر الزئبقى الذى يتأثر بمختلف درجات الحرارة تأثرا واضحا ، فان ذوق عبد القاهر يقف عند دقائق الأساليب ، ومختلف صور الأداء والبيان ، متأثرا مهتزا معبرا عن انفعالاته الأدبية والنقدية بأجلى بيان وأوضح تعبير ، وعندما يقف أمام روعة تعبير ، أو أدنى تغيير فى الأسلوب ، يعبر عن انفعالاته الفنية تعبيرا يدل على أصالة فهم ، وعمق احساس ، ودقة فطنة ، وعلى ذوق مرهف عجيب .

يرى عبد القاهر فى « دلائل الاعجاز » أن اللفظة رمز لمعناها ، ورمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة أو المعنى ، وقيمتها فيما ترمز اليه ، وليست البلاغة فيها وحدها ، فالألفاظ لم توضع ولا تستعمل لتعيين الأشياء المعينة بذواتها ، وانما لدينا صورة ذهنية لكل شىء ولكل حدث ونحن نضع ألفاظ اللغة ، ونستعملها ، لنحرك هذه الصور الذهنية الكامنة ، فلا يمكن أن يثير لفظ طفل مثلا فى نفوسنا شيئا ما لم يكن فى ذهننا صورة للطفل ، اللفظ رمز لها ومحرك (٥) .

وعبد القاهر فى ذلك يتلاقى مع كل النقاد العالميين القدامى والمحدثين ، فاذا قال أفلاطون من قبل : ان الكلمة انما تعنى الفكرة ذاتها وحقيقتها الخارجية المتمثلة فى صورة من كلمة على السواء (٦) ، واذا قال أرسطو : ان عملية النطق مستلزمة ضرورة للتفكير وان الكلمات رموز للمعانى (٧) ، فان عبد القاهر يقول : انك تطلب المعنى واذا ظفرت به فاللفظ معك وازاء ناظرك (٨) ، ويقول برجسون بعده بزمن طويل : انما نفكر بالألفاظ ، ويقول لاسل آبركرومبى أستاذ النقد الانجليزى بجامعة لندن : « على الأديب أن يجعل ألفاظه محاكية لتجاربه ورمزا لتلك التجارب ، وعليه أن يجمع بين مقدرته على التعبير عما فى نفسه بذلك الرمز ، وبين مقدرة ذلك الرمز نفسه على نقل تجاربه الى القراء (٩) ، فما وظيفة الألفاظ فى الأدب الا أن تكون رمزا (١٠) ، ويقول ميخائيل نعيمة فى كتابه النقدى المشهور « الغربال » : لا قيمة للغة فى ذاتها ونفسها : بل قيمتها فيما ترمز اليه من فكر وعاطفة .

---

(٥) راجع ٤٣١ دلائل الاعجاز ، ١٤٨ فى الميزان الجديد لمندور .
(٦) ١٢٧ الأدب وفنونه — عز الدين اسماعيل .
(٧) الخطابة لارسطو ٢٤٠ ب س ١٥ — ٢٤ .
(٨) ١٠٢ الدلائل لعبد القاهر ، مكتبة القاهرة .
(٩) قواعد النقد الأدبى — القاهرة ١٩٣٦ — ترجمة محمد عوض .
(١٠) ٢٥ المرجع نفسه .

النظرية واضحة ، وقد بحثت مدرسة لغوية كبيرة ، هى مدرسة « فنت الألمانى » نظرية الرمزية فى اللغة هذه ، وكشفت عنها ، ودرست تفاصيلها ، فى اتفاق كلى مع كل ما كتبه عبد القاهر الجرجانى وفصله فى دلائل الاعجاز (١١) » .

وفى مناظرة السيرافى لمتى بن يونس التى رواها أبو حيان التوحيدى فى كتابه « الامتاع والمؤانسة » ، يقول متى بن يونس : المعانى المدركة لا يتوصل اليها الا باللغة (١٢) .

ويجعل بعض المعاصرين عبد القاهر متأثرا فى دلائل الاعجاز بكل الأفكار التى تضمنتها هذه المناظرة (١٣) . وهذا ظلم لعبد القاهر وكتابه ، وخاصة أن الكاتب الدكتور طبانة لم يقيد كلامه حتى يجعله بمنأى عن الاطلاق ، وكأن أصول دلائل الاعجاز صياغة مباشرة لكل الأفكار التى تضمنتها هذه المناظرة ، ولو قلنا ان عبد القاهر اذا كان قد تأثر بأحد فانما تأثر بآراء ابن جنى (— ٣٩٢ هـ) فى كتابه « الخصائص » لكنا أقرب الى الصواب مع الاختلاف المطلق بين عبد القاهر وغيره من علماء اللغة والنقد من العرب ، لأن لعبد القاهر مذهبه المستقل المتميز فى كل ما يعرض له من نظريات وفلسفات نقدية وبيانية .

والعلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هى فى رأى عبد القاهر — فى كتابه « دلائل الاعجاز » — موطن البلاغة وهى ما عبر عنه بالنظم ، وما يعبر عنه النقاد بالشكل والصورة .. مع خلاف كبير بينهم فى تحديد معنى الشكل تبعا لاختلافهم فى تحديد معنى المضمون ، فمن مجموع العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة ، وفيها تظهر البلاغة

---

(١١) عقد محمد مندور الصلة بين عبد القاهر وفنت الالمانى فى رمزية اللغة فى كتابه « فى الميزان الجديد » ص ١٤٣ .
(١٢) راجع الامتاع والمؤانسة لأبى حيان .
(١٣) ١٦٧ البيان العربى — د. بدوى طبانة .

أو الجمالية .. وهذا هو أساس نظرية التحليل اللغوى عنـد سوسير السويسرى (١٤) ، الذى يذهب الى أن اللغة ليست مجموعة من الألفاظ ، بل هى مجموعة من العلاقات .

يقول عبد القاهر الجرجانى فى ذلك : ان نظم الكلام يقتفى فيه آثار المعانى (١٥) وليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها فى النطق، بل أن تناسـقت دلالتها وتلاقت معانيها ، على الوجه الذى اقتضاه العقـل (١٦) .

وهذا هو ما ذهب اليه النقاد المحدثون ، فاللغة عندهم حين يستعملها الشاعر تصبح لغة شعرية لا لأنها فى ذاتها لها هذه الخاصية ، ولكن لأنها خضعت للتجربة الشعرية فى نفس الشاعر ومقتضيات التعبير عن هذه التجربة ، فالشاعر يريد انتاج تركيب معين من خلال اللغـة ذات الطبيعة التحليلية واحداث الأثر التركيبى من خلال أداة تحليلية يمثل أعظم نجاح للشاعر (١٧) .

ويكاد يكون الناقد الايطالى بندتو كروتشيه (— ١٩٥٢) متأثرا بمذهب عبد القاهر تأثرا كبيرا . فقد اعتد بالشكل الأدبى ، ورأى الحقيقة الجمالية فيه لا فى المضمون (١٨) كما ذهب اليه عبد القاهر . فالشكل

---

(١٤) ومن مدرسة فرديناند سوسير رائد علم اللسان الحديث : العالم اللغوى الفرنسى انتوان مييه — راجع ١٤٨ فى الميزان الجـديد لمنـدور .

(١٥) ٩٣ دلائل الاعجاز — تحقيق خفاجى .

(١٦) ص ٩١ المرجع .

(١٧) راجع فى ذلك : الشعر المعاصر على ضوء النقد الحـديث، للسحرتى ، وقضايا الفكر فى الأدب المعاصر لوديع فلسـطين ، ١١١ ، ١١٢ الأدب وفنونه .

(١٨) يحدد كروتشيه المضمون بانه الاحاسيس او الناحية الانفعالية قبل صقلها صقلا جماليا اما الشكل فهو صقلها وابرازها فى تعبير عن طريق =

عنده هو النظم عند عبد القاهر ، والمضمون عنده صورة قريبة من المعنى عند عبد القاهر .

واذا كان بعض النقاد العرب قد فصلوا بين اللفظ والمعنى ، أو بين الشكل والمضمون ، أو بين الصورة والمحتوى ، ورأوا أنهما عنصران مستقلان تمام الاستقلال ، من حيث ذهب ابن رشيق (— ٤٥٦ هـ) فى كتابه « العمدة » الى أن اللفظ جسم وروحه المعنى ، فلا يمكن الفصل بينهما ، اذ هما متلازمان ، وكان رأيه ذلك قريبا من مذهب أرسطو فى العلاقة بين اللفظ والمعنى ، فان عبد القـــاهر الجرجانى كان من أكبر النقاد العرب الذين اهتدوا الى هذه العلاقات بين الألفاظ والمعانى فى النص الأدبى ، وسماها النظم ، وعرفه بأنه تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض (١٩) ، ورد على من يجعل مدار البلاغة ، أو الجمالية ، فى اللفظ أو فى المعنى ، ورأى أنها انما هى فى العلاقة بين الألفاظ فى العبارات وبين المعانى وأكد أن ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها فى النطق بل أن تناسقت دلالتها ، وتلاقت معانيها على الوجه الذى اقتضاه العقل .. وهذا هو ما اهتدى اليه فيما بعد النقاد الجماليون الذين يرون أن الصورة والمضمون فى النص الأدبى هما وجها النموذج الأدبى ، والفصـــل بينهما غير ممكن ، فليس هناك مضمون وصورة ، بل هما شىء واحد ، فالمعانى التى يحتويها النموذج الأدبى لا توجد قبل وجوده الا وجودا غامضا ، انما يتم وجودها حين تصاغ ، وحين تأخذ شكل قالبها المعين ، وتبرز واضحة فيه بكل خصائصها الفكرية واللفظية ، فمادة النموذج الأدبى وصورته لا تفترقان ، فهما كل واحد ..

= النشاط الفكرى ، ولاقيمة عنده فى الشكل للكلمات المفردة من حيث هى مادة للتعبـــير ، ولا من حيث الجرس والصـــوت منفصـــلين عن الفن والصورة .. وهذا كله هو رأى عبد القاهر الجرجانى فى دلائل الاعجاز نصـــا .

(١٩) راجع الدلائل فى أماكن كثيرة مثل ٤٣ و ٤٤ .

وبينهما نجد الكلاسيكيين يرفعون من شأن اللفظ والرومانسيين يهتمون بالمعنى ويقدمونه على اللفظ ودعاة مذهب الفن للفن يحررون النص الأدبى من كل قيود المضمون والمحتوى ، ما دام النص يغذى حاسة الجمال فينا ، ودعاة الرمزية يهتمون اهتماما خاصا بما توحيه الصور والألفاظ ، من رموز ومجازات عن طريق موسيقاها وأصواتها ، ودعاة الواقعية يهتمون بالمضمون فى النص الأدبى ومحتواه الواقعى أو الاجتماعى ، فان الفلسفة الجمالية — وهى مطابقة — تمام المطابقة لفلسفة عبد القاهر النقدية ، أو على أصح تعبير ، هى مأخوذة منها ، تؤكد وحدة العمل الأدبى ، وتربط بين مضامينه وأشكاله برباط وثيق من الوحدة والالتحام ، وهكذا نجد فلسفة عبد القاهر اللغوية ذات قيم جمالية مبتكرة ، فاللفظ يستمد عنده بلاغته من أنه ظل للمعنى ، والمعنى يستمد مزيته من حيث انه المادة الخفل التى يصوغها اللفظ (٣٠) .

ومن أجل ذلك رفض عبد القاهر الاعتداد بالمعنى وحده مرددا ما ردده الجاحظ (٣١) من قبل من أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى ، والقروى والبدوى وانما الشأن فى اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع وجودة السبك ، وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٣٢) ، وهذا هو ما قاله مالارميه الفرنسى فيما بعد من أن الشعر لا يصنع من الأفكار ولكنه يصنع من الألفاظ (٣٣) . ويقول بعض الباحثين أن الشاعر لا يكفيه أن يحصل قدرا من الأفكار حتى يستطيع أن يقول الشعر ، فنحن لا نحكم على الشاعر الا بعد أن نقرأ الألفاظ التى كتبها (٣٤) .

---

(٣٠) راجع ١٦٢ وما بعدها من كتاب « فى النقد الأدبى ، د. شوقى ضيف » .
(٣١) راجع الحيوان للجاحظ (٣ : ٤٠) ، ودلائل الاعجاز ص ٢٥٧ .
(٣٢) ٢٥٧ دلائل الاعجاز : تحقيق الخفاجى .
(٣٣) ١٠٩ الأدب وفنونه .
(٣٤) ١١٠ المرجع نفسه .

كما رفض عبد القاهر كذلك الاعتداد باللفظ وحده ، فنفى أن تكون الفصاحة صفة اللفظ من حيث هو لفظ • وذلك فى مواضيع كثيرة من دلائل الاعجاز (٢٥) • والألفاظ فى ارتباطها الفنى انما تكون فى القصيدة — مثلا — مجموعة الصور التى تنقل الينا الفكرة أو التجربة أو المشاعر النفسية •

ولا يغفل عبد القاهر أهمية المعانى الثانوية ودلالتها الجمالية فى النص الأدبى ، سواء كانت هذه المعانى الثانوية معانى لزومية ، أو من مستتبعات التراكيب ، أو أثرا لرموز صوتية أو ايحاءات نفسية ، فهى التى تعطى للأسلوب دلالته البلاغية ، وتمنحه قيمة جمالية ، وكثير من المهارة الأدبية انما هو فى اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تأثيرها فى الخيال ومن أجل ذلك قرر عبد القاهر — فى كتابه « دلائل الاعجاز » أن الكلام على ضربين : ضرب أنت تصل منه الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، وضرب آخر أنت لا تصل الى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذى يقتضيه موضوعه فى اللغة ، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها الى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الاستعارة والكناية والتمثيل (٢٦) ، وقرر أن المعنى هو المفهوم من ظاهر اللفظ ، أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ معنى • ثم يفضى بك ذلك المعنى الى معنى آخر (٢٧) ، وشرح وجوها أخرى كثيرة لمعنى المعنى (أو المعانى الثانوية) فى مختلف فصول الكتاب ، وعبد القاهر فى ذلك يتلاقى مع كل النقاد الكبار فى مختلف العصور ، بل انهم هم الذين يتلاقون معه ، ويدورون حوله ، يقول كرومبى الناقد الانجليزى المشهور : ان المعنى الذى نجده فى معاجم اللغة للكلمة ما هو الا النواة التى يتجمع حولها طائفة من المعانى الثانوية ، وكثير من المهارة الأدبية

---

(٢٥) راجع مثلا ص ١٠٢ و ٣٧١ و ٤٩٥ الدلائل .
(٢٦) ٢٦٢ دلائل الاعجاز تحقيق الخفاجى .
(٢٧) ٢٦٣ المرجع .

عبارة عن اطلاق تلك المعانى الثانوية لتؤثر تأثيرها فى الخيال (٢٨) ، فان أسمى ما يصل اليه فن الأدب أن يجعل (٢٩) الايحاء اللفظى من القوة والسيطرة وبعد المدى والحيوية والقوة بمكان عظيم • فالشاعر (٣٠) يستخدم المعانى العقلية للألفاظ ويستخدم كذلك علاقاتها وايحاءاتها وصورها وايقاعها والصور الموسيقية وغيرها مما تكونه الألفاظ حين يربط بعضها ببعض ، فان عناصر الصورة تتكون من الدلالة المعنوية للألفاظ والعبارات ، ويضاف الى ذلك مؤثرات أخرى يكمل بها الأداء الفنى • وهذه المؤثرات هى : الايقاع للكلمات والعبارات والصور والظلال التى يشعها التعبير (٣١) • وأصبحت هذه المعانى الثانوية ذات أصالة كبيرة فى الصورة الأدبية (٣٢) •

ومن كل هذه القيم صاغ عبد القاهر فلسفته البلاغية أو الجمالية• التى جعل محورها نظريته فى النظم التى ربط فيها بين اللفظ والمعنى • وبين دلالات الألفاظ الأسلوبية ودلالتها الثانوية ، وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة ومثار القيمة الجمالية فى النص الأدبى •

وهذه الفلسفة البلاغية هى أساس فكرة عبد القاهر فى كتابه « دلائل الاعجاز » الذى شرح فيه نظرية النظم ، وجلاها فى أوضح صورة ، وأجلى بيان • وطبق عليها تطبيقات أدبية واسعة • شملت كل ألوان النظم وصور الأسلوب أو الشكل الأدبى • وجعل عبد القاهر كل هذه القيم الجمالية دلائل الاعجاز ، أو مقدمات لدراسة وجوه الاعجاز فى القرآن الكريم على أصح تعبير •

---

(٢٨) ص ٤ قواعد النقد الادبى — لاسل آبرو كرومبى — ترجمة محمد عوض •
(٢٩) ص ١٣٨ المرجع •
(٣٠) ١٠٢ الأدب وفنونه ، وكذلك الشعر المعاصر للسحرتى ص ٦٩ ، ودراسات فى النقد الادبى للمؤلف •
(٣١) ٦٩ دراسات فى النقد الأدبى للمؤلف •
(٣٢) راجع ٤٥ الشعر المعاصر للسحرتى •

وأسرار البلاغة كتاب مشـــهور رائع ، ألفه الامام عبد القـــاهر الجرجانى (٤٠٠ — ٤٧١ هـ) ، ويعد من أهم الأصول والمصادر — فى النقد والبلاغة العربية .

ويشرح لنـــا عبد القاهر غرضه من الكتاب فيقول :

اعلم أن غرضى فى هذا الكلام الذى ابتدأته ، والأساس الذى وضعته ، أن أتوصل الى بيان أمر المعانى ، كيف تتفق وتختلف ، ومن أين تجتمع وتفترق ، وأفصل أجناسها وأنواعها ، وأتتبع خاصيها ومشاعها ، وأبين أحوالها ، فى كرم منصبها من العقل ، وتمكنها فى نصابه ، وقرب رحمها منه ، وأبعدها حين تنتسب عنه ، وكونها كالحليف الجارى مجرى النسب أو الزنيم الملصق بالقوم لا يقبلونه ولا يمتعضون له ولايذبون دونه (٣٣) . ثم يردف ذلك بقوله : وان من الكلام ما هو شريف فى جوهره كالذهب الابريز الذى تختلف عليه الصور ، وتتعاقب عليه الصناعات ، وجل المعول فى شرفه على ذاته ، وان كان التصوير قد يزيد فى قيمته ، ومنه ما هو كالمصنوعات العجيبة من مواد غير شريفة ، فلها ، ما دامت الصورة محفوظة عليها ، قيمة تغلو ، ومنزلة تعلو (٣٤) ، ثم يقول : وأول ذلك وأولاه ، وأحقه بأن يستوفيه للنظر ويتقصاه ، القول على التشـــبيه والتمثل والاستعارة فان هذه أصول كثيرة جل محاسن الكلام ان لم تقل كلها ، متفرقة عنها ، راجعة اليها ، وكأنها أقطاب تدور عليها المعـــانى فى متصرفاتها (٣٥) .

وفى هذه النصوص يوضح لنا فيها عبد القاهر أمورا كثيرة :

١ — فهو يذكر أولا أن جل اهتمامه فى الأسرار موجه الى التشبيه

---

(٣٣) ١٧و ١٨ اسرار البلاغة تعليق محمد رشيد رضا ، ط ١٩٥٩ — مكتبة محمد صبيح . يذب يدافع .
(٣٤) ١٨٥ المرجع .
(٣٥) ١ : ١١٨ اسرار البلاغة — مكتبة القاهرة — ١٩٧٢ .

والتمثيل والاستعارة وقد عنى بها حقا عبدالقاهر فى الكتاب عناية فائقة، وأشرك معها فى البحث فى هـذا الكتاب الكناية والمجاز وبعض ألوان المحسنات البديعية كالتجنيس والسـجع والمبالغة والطباق والأخـذ والسرقة ، وغير ذلك .

٢ — ويذكر ثانيا أنه يعنى بذلك لبيان أمر المعانى فى اتفاقهـا واختلافها وصلتها بالعقل وقربها منه أو بعدها عنه ، ويريد عبد القـاهر بالمعـانى هنا ما يريده بها فى قوله : ان المطابقة والاستعارة وسائر أقسام البديع لا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بها الا من جهة المعـانى خاصـة (٣٦) ، ويفسر لنا ذلك رأيه فى أن الاختصاص — أى البلاغة — فى ترتيب الكلم يقع فى الألفـاظ مرتبة على المعـانى المرتبة فى النفس (٣٧) ، مريدا بالمعانى هنا معانى النحو التى يذكـرها فى تعريف النظم وأنه توخى معانى النحو فيما بين الكلم ، فليس المراد من كل ذلك الا تقـرير أن بلاغة التشبيه والتمثيل والاسـتعارة وغيرها راجعة الى النظم أو هى بسبب منه ، فحديثه عنها فى هـذا الكتاب انمـا هو تطبيق على نظريته فى النظم التى يجعل بلاغة الكلام راجعة اليه ، ويؤكد ذلك قوله فى آخر كتابه « دلائل الاعجاز » : وجملة الأمر أنا ما رأينا فى الدنيا عاقلا اطـرح النظـم والمحاسن التى هو السبب فيها من الاستعارة والكناية والتمثيل وضروب المجاز ، والايجاز ، وصد بوجهه عن جميعها ، وجعل الفضل كله والمزية أجمعها فى سلامة الحروف (٣٨)، حيث يقرر أن البلاغة انما هى فى النظم وفى المحاسن التى هو السبب فيها فى الاستعارة والتمثيل والكناية .. الخ ، ونظريته فى النظم هى موضوع كتابه « دلائل الاعجاز » ، ورأيه فى المحاسن — التى يرجع

---

(٣٦) ١٤ سطر ١ و ٢ اسرار البلاغة — رشيد رضا .
(٣٧) ص ١٢ و ١٣ المرجع نفسه .
(٣٨) ص ٤٠٢ دلائل الاعجاز (طبع المنار ١٣٣١ هـ) ، ٣٣٢ الدلائل — طبـع المكتبة المحمودية .

السبب فيها الى النظم — فى الاستعارة والتمثيل .. الخ . هو موضوع كتابه « أسرار البلاغة » .

٣ — فعبد القـــاهر اذ تدور أفكاره التى كتبها فى كتابه حول فكرة واحـــدة لا فكرتين ، وهـــذه الفكرة هى أن البلاغة ترجع الى النظم والصياغة سواء فيما يتصـــل بالأسلوب أو بأهم عناصره من التشبيه والتمثيل والاستعارة والكنـــاية والمجـــاز .. الـــخ ، وقـــد بحث بلاغة النظم فى الدلائل وبلاغة التشبيه واخواته فى الأسرار الذى يقرر فيه أن بلاغة هـــذه الألوان راجعة فى الحقيقة الى النظم ، فبلاغة الاســـتعارة عنـــده راجعـــة الى نظم عبارتها وما بين المعانى من الارتباط (٣٩) ، وليست المزية التى يثبتها للكناية على الافصاح راجعة الى نفس المعنى الذى يقصد المتكلم اليه ، ولكن المزية فى طريق اثبات هـــذا المعنى (٤٠)، وكذلك الأمر فى التشبيه ، فبلاغة كل هذه الألوان تعـــود الى الذى هو ارتباط معانى الكلم بعضها ببعض وترتب بعضها على بعض على وفق ترتيبها فى الذهن وانظر الى قول عبد القاهر فى دلائله فى شرح الاستعارة فى بيت ابن المعتز المشهور :

سألت عليه شعاب الحى حين دعا أنصـــاره بوجـــوه كالدنـــانير

قال : فانك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها انما تـــم لهـــا الحسن ، وانتهى الى حيث انتهى ، بمـــا توخى فى وضع الكلام من التقـــديم والتـــأخير ، وتجـــدها قـــد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته (٤١) .

فمن الخطأ ما ذهب اليه مؤلف كتاب « من الوجهـــة النفسية فى دراسة الأدب ونقـــده » من أن دراسة الفن الأدبى تعتمد على ناحيتين : ناحية البنـــاء والنظم والتركيب ، وهذا ما درسه عبد القـــاهر فى

---

(٣٩) الأسرار ط ١٩٣٩ — عيسى الحلبى ص ١٤ ، ١٥ .
(٤٠) الدلائل ط ١٢٣١ ص ٥٦ (ط ١٣٣٧) .
(٤١) الدلائل ص ٦٨ المكتبة المحمودية وتحقيق المراغى .

دلائل الاعجاز ، وناحية الصياغة والتصوير والجمال وهي — ما درسه عبد القاهر فى أسرار البلاغة (٤٢) • ذلك أنه ليس هناك فاصل فكرى بين الكتابين ، فضلا عن أن هاتين الناحيتين اللتين ذكرهما انما هما ناحية واحدة وفكرة واحدة • ويتابع المؤلف شرح رأيه فيقول : أن مقياس الجودة الأدبية عند عبد القاهر هو تأثير الصورة البيانية فى نفس متذوقها ، وهذا هو الفكرة الرئيسية التى تبرز فى أسرار البلاغة (٤٣) ، وهو يريد ربط (الأسرار) بالمذهب النفسى فى دراسة الأدب ونقده ، وقد يكون ذلك صحيحا لو أننا جعلنا هذا الربط هو أحد ما اتجه اليه عبد القاهر فى كتابه « أسرار البلاغة » لا أن نجعله هو كل ما اتجه اليه ، أو الغاية والهدف له من الكتاب •

فاذا كان عبد القاهر قد دارت فكرته فى « دلائل الاعجاز » حول البلاغة وأنها تكون فى النظم وأن النظم هو تعليق معانى الكلم بعضها ببعض ، فان فكرته فى الأسرار تدور حول ذلك أيضا لاظهار أسرار هذه المعانى فى التشبيه وأخواته ، فدلائل الاعجاز موضوع نظرية عامة فى الأدب لاتصالها بالاعجاز أما « أسرار البلاغة » فشرح وتطبيق لهذه النظرية على التشبيه وأشباهه ، لأن ذلك وثيق الصلة بالخلق الأدبى ، ففى الدلائل يتناول الجرجانى شرح المقياس الذى يقاس به الاعجاز وهو النظم ، وفى الأسرار درس أبواب التشبيه ، وهكذا تجد فلسفة عبد القاهر اللغوية ذات قيم جمالية مبتكرة ، فاللفظ يستمد عنده بلاغته من أنه ظل للمعنى • والمعنى يستمد مزيته من حيث أنه المادة الخفل التى يصوغها اللفظ ، ومن أجل ذلك رفض عبد القاهر الاعتداد بالمعنى وحده ، مرددا ما ردده الجاحظ من قبل (٤٤) من أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والقروى والبدوى ،

---

(٤٢) ٧٤ ، ٧٥ من الوجهة النفسية ط ١٩٤٧ .
(٤٣) ٩٢ ، ٩٦ المرجع .
(٤٤) راجع ص ١٢ فى النقد الادبى للدكتور شوقى ضيف .

وانما الشـــأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وســـهولة المخرج وصحة الطبع ، وجودة السبك ، وانمـــا الشعر صياغة وضرب عن التصـــوير ، وهـــذا هو ما قرره مالارميه الفرنسى فيما بعد من أن الشـــعر لا يصنع من الأفكار ولكنـــه من الألفـــاظ (٤٥) ، ومن ثم فان الشاعر لا يكفيـــه أن يحصل على قدر من الأفكار حتى يستطيع أن يقـــول الشعر • فنحن لا نحكم على الشاعر الا بعد أن نقـــرأ الألفـــاظ التى كتبها (٤٦) •• كمـــا رفض عبد القـــاهر الاعتداد باللفظ وحده ، فنفى أن تكون الفصاحة صفة للفظ من حيث هو لفظ والألفـــاظ فى ارتباطها الفنى انمـــا تكون فى القصـــيدة مجموعة الصـــور التى تنقـــل الينـــا الفكرة أو التجـــربة أو المشاعر النفسية •

٣ ــ والبلاغة عند عبد القاهر :

(أ) لا ترجع الى اللفظ وحده ، وفى ذلك يقـــول عبد القاهر فى أول كتابه « أسرار البلاغة » أما رجوع الاستحسان الى اللفظ ، من غير شرك من المعنى فيه ، فلا يكاد يعـــدو نمطا واحـــدا ، وهو أن تكون اللفظة مما يتعارفه النـــاس فى استعمالهم ، ولا يكون وحشيا غريبا ، أو عاميا سخيفا (٤٧) ، ويؤكد أن البلاغة ليست فى اللفظ بل فى النظم بمـــا يقـــرره من أن الاختـــلاف فى فضـــيلة الكلام وبلاغته ليس بمجرد اللفظ بل بالنظـــم •

ويرد على من يحاول الاعتراض على عبد القـــاهر بالتجنيس فيقرر أن بلاغة التجنيس ليست باللفظ وحده ، بل لا تتم الا بنصرة المعنى أى النظم •• وهـــذا ما يقرره عبد القـــاهر من أن البلاغة انمـــا هى فى النظم لا فى اللفظة المفـــردة •

(ب) وكذلك لا ترجع البلاغة عند عبد القاهر الى المعنى وحده فان

---

(٤٥) ١٠٩ الادب وفنـــونه •
(٤٦) ص ١١٠ المرجع نفسه •
(٤٧) ص ٢ سطر ٢ ، ١٠ المرجع •

من الداء الدوى غلط من قدم الشعر بمعناه وأقل من الاحتفال باللفظ ، وجعل لا يعطيه من المزية ان هو أعطى الا ما فضل من المعنى ، يقول : ما فى اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام الا بمعناه ، فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد أودع حكمة وأدبا ، واشتمل على تشبيه غريب ومعنى نادر ، فان مال الى اللفظ شيئا لم يعرف غير الاستعارة ، وان الأمر بالضد اذا جئنا الى الحقائق لأنا لا نرى متقدما فى علم البلاغة الا وهو ينكر هذا الرأى ويعيبه (٤٨) ، وليس ذلك فى رأى عبد القاهر ناشئا عن الجهل بأن المعنى اذا كان أدبا أو حكمة أو كان غريبا نادرا ، كان أشرف من غيره ، ولكن لأن التقديم اذا كان على أساس المعنى — هذا — لم يكن الكلام من حيث هو شعر وكلام (٤٩) . وهذا هو نفس ما يقرره عبد القاهر فى الدلائل وفى أسرار البلاغة ، وما قرره الجاحظ من قبل من أن المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوى والقروى (٥٠) .

(ج) وانما ترجع البلاغة عند عبد القاهر الى النظم باعتباره توخيا لمعانى النحو فيما بين الكلم ، فالبلاغة تعود الى معانى الأسلوب ، والنظم هو مظهر هذه البلاغة ، وهذه هى المعانى التى يفيض عبد القاهر فى شرحها وبيان أسرارها فى كل أسلوب وكل تصوير : وهو ما أشار اليه الجاحظ من قبل من أن الشأن فى اقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولته ، وسهولة المخرج ، وفى صحة الطبع ، وجودة السبك ، فانما الشعر صناعة ، وضرب من الصبغ ، وجنس من التصوير .

وهكذا تجد عبد القاهر فى الاسرار يؤكد نظريته التى ذهب اليها ، وهى أن البلاغة لا تعود الى اللفظ بل الى النظم من حيث هو مراعاة لمعانى النحو فيما بين الكلم ، ويؤكد هذه القضية فى كل مجال حتى فى باب

---

(٤٨) راجع ١٦٤ دلائل الاعجاز ، المكتبة المحمودية .
(٤٩) ١٦٦ المرجع نفسه .
(٥٠) ٣ : ٤٠ و ٤١ الحيوان ، طبعة التهامى — القاهرة ١٣٤٣هـ .

الجناس والسجع فلاتجد تجنيسا مقبولا أوسجعا حسنا حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وكذلك لا شبهة فى أن المطابقة والاستعارة وسائر اقسام البديع لايعترضها الحسن والقبح الا من جهة المعانى خاصة ثم يفسر لنا عبد القاهر غرضه من كتابه (الاسرار) ويؤكد نظريته فى النظم ومعانى النحو .

وينتقل بعد ذلك الى الكلام على الاستعارة ، ثم التشبيه والتمثيل ثم الفرق بين الاستعارة والتمثيل ويشرح الاستعارة التمثيلية ، ويتحدث عن الأخذ والسرقة ، ويبدأ بتقسيم المعانى الى عقلية وتخييلية ويتكلم عن كل قسم منها وصوره وألوانه (٥١) .. كما يتكلم على الأخذ والسرقة ، وعلى أقسام المعانى من عقلية وتخييلية ، وعن المجاز العقلى واللغوى والمجاز بالحذف .. وبذلك ينتهى الكتاب .

ويشرح لنا عبد القاهر سر ترتيب فصول الكتاب فيقول : اعلم أن الذى يوجبه ظاهر الأمر نبدأ بجملة من القول فى الحقيقة والمجاز ، ونتبع ذلك القول فى التشبيه والتمثيل ، ثم ننسق ذكر الاستعارة عليهما ، ونأتى بها فى أثرهما وذلك أن المجاز أعم من الاستعارة ، والواجب أن نبدأ بالعام قبل الخاص ، والتشبيه كالأصل فى الاستعارة ، وهى شبيهة بالفرع له . أو صورة تقتضيه من صوره ، الا أن ههنا أمورا اقتضت أن تقع البداية بالاستعارة وبيان صور منها ، والتنبيه على طريق الانقسام فيها ، حتى اذا عن بعض ما يكشف عن حالها ، عطف عنان الشرح الى الفصلين الآخرين ، فوفى حقوقهما ، وبين فروقهما ، ثم ننصرف الى استقصاء القول فى الاستعارة (٥٢) .

واذا كان عبد القاهر قد عرض للتشبيه والاستعارة والكناية فى

---

(٥١) فالمعانى العقلية يتحدث عنها فى ٢١١ — ٢١٣ الاسرار ، والمعانى التخييلية كذلك (ص ٢١٤ وما بعدها) .
(٥٢) ١٩ ، ٢٠ الاسرار ط ١٩٥٩ .

الدلائل ، فانما عرض لها لبيان ارتباطها بالنظم والمعنى ، بينما عرض لها فى الاسرار لمعرفة أقسامها والفروق بين بعضها وبعض ، ومعرفة القوى والضعيف من هـذه الأقسام والأمر فى السرقة كذلك ، فقـد عرض لها فى الدلائل لبيان أن اللفظ تابع للمعنى وان المعنى يغير بتغير الصـور ، وفى الاسرار لبيان أنها انما تكون فى المعانى خاصة .

ان المعنى وحده — الغرض والفكرة — مشترك عام بين الناس جميعا ، ولكنه ملك لمن يصوره ويثبته فى الأذهان ، فللناس أفكار واحـدة بوجه التقريب ، ولكن الأسـلوب هو الذى يفرق بين كاتب وكاتب كما يقول فولتير .

والى هذا يذهب النقاد ، ويقرر عبد القاهر خاصية الأسلوب ، وملكية كل أديب لأسلوبه ، وأن الاسلوب هو الذى يميز بين موهبة وموهبـة ، وبين شاعر وشاعر ، وهـذا الأسلوب ليس سردا لألفاظ ، بل ترتيبـا لمعانيها وفق ترتيبها فى النفس ، فهو المقصود من كلام عبد القاهر على المعنى ، وأنه الذى يستحق أن تكون فيه المزية والفضيلة والاختصاص .

ففكرة عبد القاهر فى البلاغة أنها راجعة الى النظم والأسـلوب والصياغة والتصـوير ، وأن هذا الأسلوب هو مجال الابداع الفنى ، وموطن الخلق الأدبى ، ففيه تتميز المواهب وتختلف الأذواق ، وتتباين المراتب والاقدار ، ومن ثم فقد شرح فى « الدلائل » هذه النظرية ، وبنى عليها تطبيقا واسعا فى « أسرار البلاغة » لفنون التشبيه والتمثيل والمجاز والكناية وألوان المحسنات البديعية .

ومن ثم فان دلائل الاعجاز أسبق فى التأليف على الأرجح من أسرار البلاغة ، فدلائل الاعجاز يتضمن قضـية وشرحهـا ، والأسرار يتضمن تطبيقا واسعا على بعض دعائم هذه القضية ، ولذلك نراه فى صدر الكتاب يوجز فى بيان هذه النظرية التى بسط الكلام عليها فى الدلائل ، وهى نظريته فى النظم ، ثم يبنى عليها أحكامه الواسعة الجيدة التطبيق على الاستعارة والتشبيه والتمثيل والكناية والمجاز والأخذ والسرقة ، وضرب المعانى التحقيقية والتخييلية .

على أن عبقرية العمل الأدبى تظهر فى أمرين :

١ — الشكل الذى يختاره الأديب مظهرا للحقيقة الجمالية •

٢ — الكلمة من حيث علاقاتها اللزومية المرتبطة بمعناها •

أما الشكل (النظم أو الصورة أوالصياغة أو الأسلوب) فقد درس عبد القاهر وجوهه البلاغية فى كتابه « دلائل الاعجاز » دراسة مفصلة• وأما ما يتصل بالشكل وهو الكلمة من حيث دلالتها على معانيها اللزومية فى المجاز والاستعارة والكناية ، وصلة ذلك بالتشبيه والتمثيل ، ومن حيث دلالتها كذلك على المعانى التحقيقية والتخييلية والعامية والخاصية ، فان ذلك كله وثيق الصلة بالخلق الأدبى من ناحية ، وبالنظم والصياغة من ناحية أخرى ، وهو ما بحثه عبد القاهر فى « أسرار البلاغة » بحثا مفصـــلا وجعله من المحاسن التى يكون النظم السبب فيها •

وفى كتاب « أسرار البلاغة » تظهر بوضوح ملكة عبد القاهر الجرجانى كناقد من أعظم النقاد العرب ، الذين يدركون بأذواقهم أسرار الكلام ، ودقائق بلاغاته ، ويفرقون بمشـــاعرهم الفنية بين أسلوب وأســـلوب ، ولفظة ولفظة ، وحرف وحرف •• ومع أن عبد القاهر قد استفاد من جهود النقاد العرب قبله فانه كان ذروة لم يصـــل اليها أحد من قبـــله ولا من بعده ، وكان قوة تجديدية كبيرة فى الأدب ونقده وفهم موازينه وادراك أسرار بلاغاته على السواء •

وفى الأسرار أروع الفصول التحليلية فى النقد ، والجديد المبتكر من الدراسات لخصائص التشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز والكناية ، وأعمق الآراء وأطرفها فىالكثير منمشكلات البيان حتىعصرالجرجانى، ويمتاز كتاب الأسرار بربطه بين النقد والتأثير النفسى للنص الأدبى ، وبمحاولاته الجيدة فى سبيل الكشف عن مدى هذا التأثير ، وأثره فى بلاغة النص ، وكل ذلك مما جعل للكتاب أهمية كبيرة ، ومنزلة ضخمة فى النقد الأدبى •

فالغاية الأولى التى يقصدها عبد القاهر من الأسرار هى تحقيق أمر المعانى (٥٣) وأن ضروب البيان ترجع الى ائتلاف المعنى أكثر مما ترجع الى سحر اللفظ ، وأن المعنى هو الذى يتطلب كل شىء ، وأن المعانى قسمان : معان عقلية ومعان تخييلية ، فالمعانى العقلية قد تكون مجازا واستعارة وتشبيها وتمثيلا ومجازا عقليا أو لغويا ، وأما المعانى التخييلية فلها ضروب شتى وأنواع ساحرة .

ثم المعانى خاصية وعامية ، والعامية قد تصير بالتحوير والصياغة خاصية ، والمعانى الخاصية هى التى يحكم فيها بالسرقة دون العامية .

وخلاصة بحوث « أسرار البلاغة » هى بيان ما يأتى :

(أ) يذكر فضيلة البيان وألوانه الساحرة ، وأن سحر الكلام فى حسن نظمه وتأليفه .

وقد أوضح عبد القاهر أثر ذلك غايته وفكرته التى يريد ايضاحها فى كتابه وهى بيان أمر المعانى وأحوالها وتفصيل أجناسها وأنواعها .

(ب) وتكلم على الاستعارة وأقسامها وألوانها فى افاضة .

(ج) وذكر التشبيه والتمثيل ومظاهرهما وحقيقتهما وبلاغتهما واقسامهما فى افاضة ودقة وتحليل .

وعقد موازنات جيدة بين التشبيه والتمثيل . وذكر أسلوب التجريد ومنع أن يكون استعارة أو تشبيها .

ثم فرق بين الاستعارة والتمثيل فى افاضة . وفرق بين الاستعارة والتشبيه البليغ .

---

(٥٣) من النقاد من يجعل المضمون هو التعبير أو الحقيقة النفسية المتجلية فى التعبير ، ويقصد بالشكل المادة الخفل للتصوير الفنى كالالوان للتصوير مثلا ، وهذا عكس ما ذهب اليه كروتشيه الذى ذهب الى ان البلاغة فى الشكل والجمالية فيه ، كما راى عبد القاهر ، فالشكل او النظم لا فصل بينهما عند الناقدين العالميين اى بين اللفظ والمعنى على ما قررناه .

(د) ثم تكلم عن المعانى العقلية والتخييلية وألوانهـا وبلاغة كل منها ، وآثر جانب الحقيقة على جانب الخيال وذكر أنه أعز جانبا وأكثر اتساعا مما يظنون ، وحلل معنى قولهم : أعذب الشعر أكذبه ، وأنهم انما أرادوا به التدقيق فى المعانى والتعمق فيها ، لا وصف الوضيع بأوصاف العظيم وما شاكله .

كما تكلم على الأخذ والسرقة والاستعارة .

(هـ) وأفاض فى شرح حدى المجاز والحقيقة ، وفى الكلام على المجاز العقلى وحقيقته ، وتكلم على أنواع من المجاز اللغوى والمجاز بالحذف ، وعلى بعض جوانب الاستعارة .. وبذلك ينتهى الكتاب .

ولقد أساء عبد القـاهر عرض أفكاره فى كتابة الأسرار وكذلك فى الدلائل فخرج تاليفه مشوها مضطربا معادا مكرورا .

ولذلك نجد البحث الواحد قد يكرره فى الكتاب ، وقد يذكر بعضه فى كتاب ويكمله فى كتاب آخر :

فالتجنيس والسجع مثلا بحثهما عبدالقاهر فى الأسرار وفى الدلائل .

والتعقيد اللفظى تجده مفرقا فى الأسرار .

والاستعارة فى مواضع متعددة من الأسرار والدلائل ... وكذلك التشبيه والتمثيل .

والاتفاق والأخذ والسرقة عرض لها عبد القـاهر فى الأسرار وفى الدلائل .

والمجاز العقلى واللغـوى أفاض فى الحـديث عنهما فى الأسرار والدلائل ، وذكر بلاغة المجاز الحكمى فى الدلائل .

وتكلم على الكناية فى الصفة وفى الاثبات فى مواضع عدة .

وذكر الشعر وأثره وسحره موزعا فى الكتابين .. الى آخر هـذه البحوث الموزعة المفرقة .

خاتمـــــة

انتهى الجزء الرابع من هذا الشرح بحمد الله وتوفيقه •

ويليه الجزء الخامس ، وأوله الحقيقة والمجاز ، وقد اضـــطررنا لحذف بعض البحوث الملحقة بآخر الجزء الثالث والرابع ، وسنبشرها كلها فى آخر الجزءين الباقيين : الخامس والسادس ، ان شاء الله •

وسنوالى نشر الجزءين الباقيين من هذا الشرح ، على أن ننتهى منهما قريبا ، باذن الله ومشيئته ، وبالله التوفيق ، ومنه السداد •

محمد عبد المنعم خفاجى

فهـــرســت كتــاب الايضـــاح

للخطيب القــزوينى

ص	الموضوع
٣	علم البيـــان
١٥	التشبيـــه
١٦	القول فى التشبيـــه
٢٩	اركان التشبيـــه
٢٩	طرفا التشبيـــه
٣٣	وجه التشبيـــه
٣٧	الوجه اما خارج او غير خارج
٣٩	الوجه اما واحد او متعدد او مركب
٤٧	وجه الشبـــه الواحد
٤٨	وجه الشبه المركب
٥١	التشبيه المركب الحس الواقع فى هيئة الحركات
٦١	التركيب فى هيئـــة السكون
٦٣	المركب العقلى
٦٦	التشبيـــه المتعدد
٦٦	أداة التشبيه
٦٨	الغرض من التشبيـــه
٨٠	تقسيم التشبيـــه
٨٠	تقسيمه باعتبار طرفيـــه
٩٠	تقسيم التشبيه باعتبار الوجه
٩٠	تشبيه التمثيل وغيره
٩٦	التشبيه المجمل والمفصل
١٠٠	التشبيه القريب والبعيد
١١٩	الفرق بين التشبيه البعيـــد والتعقيـــد
١٢٢	التصرف فى التشبيـــه القريب بما يجعله بعيدا
١٢٣	التشبيه المشروط
١٢٥	تقسيم التشبيه باعتبار اداته
١٢٩	خاتمة عن التشبيه
١٣١	ملحق للجزء الرابع ويشمل :
١٣١	التشبيه والبحث البلاغى
١٣١	عناصر التشـــبيه
١٣٢	التشبيه والاسلوب
١٣٣	التشبيه فى الشعر الجاهلى
١٣٧	التشبيه فى الشعر الاسلامى
١٣٦	التشبيه فى القـــرآن الكريم
١٤٠	التشبيه فى شعر المحدثين
١٤٢	شخصية عبد القادر الجرجانى
١٦٨	خـــــاتمة